

أبوظارة

أمام الصراقة الفخامية المصرية وزعيم المسرح في مصر
١٨٣٩ — ١٩١٢

تأليف

الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد



الناشر

مكتبة الآداب بدرب الخمايزت : ٤٢٧٧٧

الطبعة الأولى
١٩١٢

الطبعة الأولى ١٩٥٣
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

للمؤلف

١ - كتب في الصحافة

- ١ - تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحقبة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١)
الطبعة الأولى ١٩٤١ }
الطبعة الثانية ١٩٥٠ }
- ٢ - تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ - ١٩٤٢)
الطبعة الأولى ١٩٤٢ }
الطبعة الثانية ١٩٤٢ }
الطبعة الثالثة ١٩٤٦ }
- ٣ - تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية
الطبعة الأولى ١٩٤٤ }
الطبعة الثانية ١٩٤٥ }
الطبعة الثالثة ١٩٥١ }
- ٤ - أعلام الصحافة العربية
الطبعة الأولى ١٩٤٤ }
الطبعة الثانية ١٩٤٨ }
- ٥ - حول الصحافة في عصر اسماعيل (حقائق غير مطوية)
الطبعة الأولى ١٩٤٧ ()
- ٦ - تاريخ جريدة الاهرام في خمس وسبعين سنة
الطبعة الأولى ١٩٥١ ()
- ٧ - Etudes Journalistiques en Europe
الطبعة الأولى ١٩٥١ ()
- ٨ - دراسات في الصحافة الأوروبية (تاريخ وفن)
الطبعة الأولى ١٩٥١ }
الطبعة الثانية ١٩٥٢ }
- ٩ - أبو نظارة - إمام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح في مصر
الطبعة الأولى ١٩٥٣ }

٢ - كتب في التاريخ

- ١٠ - في السودان
الطبعة الأولى ١٩٣٦ }
الطبعة الثانية ١٩٤٦ }
- ١١ - تطور النهضة النسائية في مصر - بالاشتراك (تاريخ تعليم البنات في مصر الحديثة)
وله طبعة باللغة الانجليزية تصدر في واشنطن بعد أسابيع
الطبعة الأولى ١٩٤٥ }
- ١٢ - تذكارات طلمت حرب - بالاشتراك (دراسة تاريخية لفكرة بنك مصر في عهدى محمد على واسماعيل)
الطبعة الأولى ١٩٤٥ }

٣ - كتب في الأدب

- ١٣ - الحياة الثانية (قصة إجتماعية للحياة في مصر والسودان)
الطبعة الأولى ١٩٣٣ }
الطبعة الثانية ١٩٤٤ }
الطبعة الثالثة ١٩٤٧ }
الطبعة الرابعة ١٩٥٠ }
- ١٤ - في المصايف (دراسة للحياة الاجتماعية في المصايف)
(الطبعة الأولى ١٩٣٤)

تحت الطبع

- ١٥ - دراسات في الصحافة الأمريكية . (تاريخ وفن)
١٦ - صحافة العرب في الأمريكتين

الاهداء

أحب أن يقرأ الصغيران سيرة الفنان المفتن الذي حاربه
بعض مواطنيه وأنكروه ، فأوفى بالعهد وحمل الأمانة وقضى
شهيداً في منفاه ...

أحب أن يقرأ الصغيران هذا الكتاب ، ليعلم أن
المواطن الأبى لا يموت ولو كان خصومه من الملوك والوزراء ...
إلى ولدى كمال وعصام

أهدى هذا الكتاب

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ ثمانية عشر عاماً توافرت على دراسة تاريخ الصحافة المصرية ، ونشرت في هذا التاريخ نحو عشرة كتب ، عرضت فيها سيرة الصحافة في مصر ، سواء اتصلت السيرة بصحيفة من الصحف أو بصحفي جدير بالذكر والخلود .

ولم يقف بحثي في هذا الحقل الجديد عند الكتب والرسائل ، بل أعلنت عن صحافتنا في المجلات العلمية والأدبية ، وفي دور الإذاعة في مصر والخارج ، عييناً أن هذا التاريخ حري بعناية المؤرخين ، إذ أنه سجل لآمالنا وآلامنا ، فضلاً عن أنه دراسة حية للشعب المصري ، لا يمكن أن تصدق روايتها وتبين حقائقها وتكشف دقائقها إلا بالعودة إلى هذا التاريخ ، وكشف المستور منه بصدق وأمانة ، وفي شجاعة لا تخشى غضب الحاكم ولا تناقض المحكومين !

وقد نشرت فصلاً عن تاريخ يعقوب بن صنوع ، أو (أبو نظارة) كما يسميه التاريخ ، ولم أَرْضَ قط عن هذا الفصل المنشور ، لأن مراجعي فيه كانت شذرات كتبت عنه هنا وهناك ، وبعض أعداد قليلة عثرت عليها في مكاتب مصر العامة والخاصة ، وهي لا تبلغ جزءاً من مائة من أعداد صحفه التي نشرها في مصر وباريس زهاء ثلاثين سنة دون توقف أو تخلف بالرغم مما صادفه من ضيق وأزمات . . .

وكنت حريصاً أشد الحرص على أن أدرس يعقوب بن صنوع ، إمام الصحافة الفكاهية المصورة وأستاذ المسرح في مصر ، فبحثت عن آثاره في المكتبة الأهلية بباريس حيث أمضى معظم حياته منفياً عن وطنه ، كما بحثت عن تلك الآثار في المتحف البريطاني بلندن والمكاتب العامة في نيويورك وواشنطن ، فلم أجد إلا بضع أعداد متناثرة من صحفه الكثيرة التي أصدرها ، ولا تزيد تلك الأعداد عما في متناول أيدينا في القادرة .

وشاء حسن الطالع أن أعلم أن يعقوب بن صنوع ابنة في باريس ، تعيش عنواناً طيباً للمرأة الفرنسية العاملة ، وقد هيا لي صديقي الأستاذ الدكتور شحاته ، أحد العاملين

على إعلاء شأن مصر في سفارتنا بباريس إذ ذاك ، فرصة التعرف بتلك السيدة الوقور .
وما طربت لشيء في بحوثي العلمية طرني لوجود مجموعة صحف المترجم له عند
كريمته السيدة « لولى صنوع » التي راعني أن يكون بين النساء سيدة مثلها علماً
وفضلاً وأدباً .

ومدام (صنوا ميلهو Sanua-Milhaud) أولولى صنوع ، سيدة فاضلة لها
تاريخ عظيم ، إذ درست في كلية سيفينييه Sévigné وخدمت فرنسا بالقدر الذي خدم
به والدها مصر ، فقد أسست قبيل الحرب العالمية الأولى وعقب وفاة والدها سنة
١٩١٢ اتحاداً للمدرسات ، كما أنشأت في مايو ١٩١٦ معهداً للدراسات التجارية العالية
خاصاً بالإناث ، وقد اعترفت الحكومة الفرنسية بهذا المعهد سنة ١٩٢٢ ، وتخرج
فيه عدد من الأسات شغلن وظائف هامة سواء في الشركات أو في مصالح الدولة ؛
وفي سنة ١٩١٦ أنشأت أيضاً مدرسة للتدبير المنزلي لقيت نجاحاً منقطع النظير ، هذا
إلى مدرسة أخرى للإعلان أسستها السيدة لولى صنوع في سنة ١٩١٩ ، وقد ضمت
بعد ذلك إلى معهد الدراسات التجارية العالية .

وفي سنة ١٩١٦ ، وبعد رحلة قامت بها إلى الولايات المتحدة ، قدمت مدام صنوا
إلى الغرفة التجارية الفرنسية مشروع إنشاء مدرسة فنية للبيع ، الغرض منها إعداد
نخبة من مستخدمات المحال التجارية ، إعداداً تجارياً ، ثم أسست اتحاداً رياضياً يجمع
شمل خريجات مدرستها ، وقد أصبح هذا الاتحاد جزءاً من اللجنة الرياضية التابعة
لأكاديمية باريس والمعهد الأهلي للتربية البدنية .

وقد قامت تلك السيدة خلال رحلاتها المتعددة إلى أمريكا والسويد والنرويج
وانجلترا وألمانيا وإيطاليا ومصر وسوريا بزيارة مدارس التعليم العام والتعليم الفني
في تلك البلاد ، الأمر الذي دعا مجلس الوزراء الفرنسي إلى تعيين مدام صنوا في سنة
١٩٢٥ عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الفني .

لقد امتازت تلك السيدة طوال سني حياتها بصفة قلبا نجدها في الكثرات ، إنها
تنظر إلى المستقبل وتحتاط له ، وتنبأ للاحداث قبل وقوعها بسنوات عدة ، لقد
أدركت مدام صنوا في أوائل الحرب العالمية الأولى بأن المرأة الفرنسية ستضطر قريباً
إلى العمل لتكسب عيشها ، فأعدت لها المدارس والمعاهد الكفيلة بأن تضمن لها عيشاً

كراماً وحياة بعيدة عن مذلة السؤال ؛ وإن المرأة الفرنسية التي تعمل اليوم في التجارة والصناعة والتعليم لتذكر فضل تلك السيدة في هذه الميادين .

لقد نهلت السيدة لولى صنوع كثيراً من علم والدها وأدبه ، حتى ذخرت المكتبة الفرنسية بمؤلفاتها العظيمة ، وأصبحت مرجعاً وحجة في النشاط النسائي في فرنسا جميعاً وقد شملتني السيدة لولى صنوع بعطفها ، ومنحتني مجموعة والدها الصحفية كاملة غير منقوصة ، فوجدت أخيراً تحت يدي الجدول الأصيل لمن يريد أن يعترف من تاريخ يعقوب وفنه ، فضلاً عما أهدتني من وثائق وصور وكتب مخطوطة متصلة بهذا الموضوع ؛ تكمل تاريخ أبي نظارة وتجعله حياً قوياً جديراً بالنشر في أوسع نطاق وفي مقدمة ذلك تاريخه الذي كتبه عن نفسه بخط يده ، وكناشة سجل فيها الأعداد الخمسة عشر الأولى التي نشرها في مصر ولا يوجد لها نظير في مكتبة عامة أو خاصة وفي هذا الكتاب أيين حقيقتين هامتين ، الأولى تتصل بنشأة الصحافة الفكاهية ، وهي نشأة مصرية خالصة ، لم يسبقنا إليها أحد من بلاد الشرق الأدنى ، كما أثبتنا في بحثنا من قبل أن الصحافة في مصر من صنع أيدينا ، وليس لغير مصري فضل في إنشائها ، بل أثبتنا أننا أسبق البلاد العربية جميعاً علماً وفهماً لهذا الفن الجليل .

وتؤكد الحقيقة الثانية أن إنشاء المسرح في مصر سنة ١٨٦٩ قام على كواهل المصريين ، ولم يقم به أحد من غير المصريين ، وأن الفرق التمثيلية التي شاهدها البلاد في عهد اسماعيل بعد ذلك بسنوات ، جاءت متأخرة من الشام ، وفي أعقاب وعى مسرحي مصري ملحوظ ، كما يتضح من هذه الحقيقة أيضاً أن عمر المسرح المصري أربع وثمانون سنة ، وليس عمره ثلاثين عاماً كما خيل للسواين وهم يحتفلون بنشأة المسرح منذ أسابيع . . .

وهناك طرائف انطوت عليها سيرة يعقوب بن صنوع ، وبسطناها في هذا الكتاب بسطاً لا مزيد عليه لمستزيد ، ومنها أن المترجم له ولد مسلماً من أبوين يهوديين أتم تزوج كاثوليكية أنجب منها طفلين احتفظا بدين أمهما أفكأت شخصية يعقوب همزة الوصل بين الأديان الثلاثة التي يعيش في أعطافها العالم المتحضر منذ آلاف السنين ومن الطرائف التي عرضت لها في هذا البحث ، تصوير العناد الرائع المروع الذي سيطر على نفسية الكاتب في الخلعة على البيت المالك والسياسة الانجليزية عامة

وسياستها في مصر خاصة ، وهو عناد لم تنفع في تخفيفه وسيلة أو حيلة ، ولم يقد في تهوينه ترغيب أو ترهيب ، وهو عناد حرم المواطن نسمات الوطن حيا ، كما حال بين جثمانه وبين نراه حين نزل به قضاء الله .

وقد كبا في الميدان صحفيون وصحفيون ، فانتقلوا من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين . ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، فأفسدوا كل عهد بنفاقهم وتدليسهم ، ومضوا يضربون لكل ساحم ويزمرون لكل طاغية ، حتى سقطت القيم الاخلاقية وهوت المهنة الرفيعة الى الخضم ، ولم نجد في سيرة الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا إلا قلة نادرة تقف في التاريخ إلى جانب يعقوب بن صنوع ، صلبة على الشدائد ، قوية على المحن ، لا تنزعزع ثقتها في وطنها أو مثلها ، ولا تقف دون رسالتها حواجز وعقبات ، ولا تحول دون عقيدتها سدود أو قيود .

حقا إنها طريفة ، قينة بالرواية والتفصيل

الشيخ

القاهرة في ٧ أبريل سنة ١٩٥٣

روح العصر

كان روح العصر الذى نشأت فيه الصحافة الشعبية يدعو إلى لون جديد من الصحف التى لم تعرف من قبل فى الشرق الأدنى ، ولم يكن من طبيعة الأشياء أن تصدر صحف ساخرة إلا فى البلاد المصرية التى ولى أمرها الخديو إسماعيل ، وأشاع بالآزمات التى مرت بها أثناء حكمه كثيراً من الفكر الجديدة التى كانت منطوية فى نفوس النخبة المتفتحة من أعلام الرأى الذين درسوا فى مصر أو نهلوا من أوروبا .

ولى إسماعيل الأريكة الخديوية ، فكان ضرورة لمصر بخيره وشره ، فقد كان الرجل مغرمًا بالمظاهر معنيًا بتقليد الأوروبيين ، يريد أن يأخذ حياة شعبه كما يأخذ ملوك أوروبا حياة شعوبهم ، واعتمدت فى نفسه تيارات مختلفة من القديم والجديد ، وتطاحن إرث الآباء والأجداد المنطوى على احتقار الشعب كبيره وصغيره ، مع فكرة التقليد الذى يرفع من قدر الوطن ويضع له فى الحساب وزناً واعتباراً ، ودارت المعركة حامية الوطيس بين نفسية الخاكم الشرقى العتيقة وبين نفسية الأمير الذى يريد جديداً يماثل حياة الغرب المتحضر الوثاب .

وخرج إسماعيل من هذا الصراع العنيف يترنح من هول المعركة ، فلا هو على سجية الأسلاف ، ولا هو صورة من أمراء الغرب المحدثين ، كثير التردد ، يذهب مرة إلى أقصى اليمين ، ويذهب أخرى إلى أقصى اليسار ، فنجده يحتضن حيناً رجال المدرسة القديمة من الأتراك ، فأوغل عليه بذلك خونة الشعب وخصومه الطبعيين ، ثم نراه حيناً آخر يفتح صدره لنخبة من الشبان المجتهدين الذين درسوا فى أوروبا وهم من أبناء الفلاحين ، فأكبر بذلك الوطن والوطنيين ، وبقاة ينصرف عن الأتراك والمصريين ، فيجعل من بطانته وأصدقائه جماعة من الفرنجة يسمع إليهم ويصغى إلى نصائحهم ويعمل بمشورتهم ، وإن خالفت صحبتهم عرف البلاد ودينها ، وإن أساءت أيضاً إلى خزانة الدولة وأغرقت الأمير فى الديون .



ومن الأدلة على هذا الاضطراب
الفكري الذي كان يعمل في نفس إسماعيل،
موقفه من الصحافة والصحفيين ، وموقفه
من التمثيل والممثلين . . .

ولى إسماعيل الحكم فبدأ يصلح من
جريدة (الوقائع) صحيفة الدولة الرسمية حتى
أرفعها إلى مقام الصحف « المعتمدة » كما يقول ،
ثم أنشأ إلى جانبها صحفاً شتى تصدرها الحكومة
ولا تبخل عليها بالأدوات الأدبية والمادية ،
فكانت لها صحف يعسوب الطب ، والجريدة
العسكرية المصرية ، وجريدة أر كان حرب

الحديث إسماعيل أو شيخ الحارة

الجيش المصري ، ثم روضة المدارس صحيفة التلاميذ والمعلمين .

فهذا الأمير الذي يصطنع حياة الأوروبيين وتفكيرهم يصدر الصحف على سبيل
المحاكاة والتقليد ، ثم يذهب إلى أبعد من صحف رسمية تخضع خضوعاً شاملاً لتوجيهه
وإرادته فيأذن بأصدار صحيفتي « وادي النيل وروضة الأخبار » وكلتا هاتين الصحف
الشعبية الأولى ، ولكنها تخضعان لتوجيه الحكومة ، وتتلقيان منها مقابل ذلك إعانة مالية
مجزية ، وهي إعانة مستغفية لا يعرفها عامة الناس أو خاصتهم ، حتى تبدو الصحيفتان
حرتين لا رقيب عليهما .

فيأظن بعض المجددين من الشباب المصريين أن إسماعيل ينهج نهج الغرب ، فيمنح
لمن يشاء ترخيصاً بأصدار صحف حرة ، تقدم من بينهم اثنان ، ونالا ترخيصاً بأصدار
صحيفة « نزهة الأفكار » وكتب فيها كما يكتب الأحرار ، فإذا هي مغلفة بأمر منه بعد
صدور العدد الثاني ؛ ذلك أن طبيعة الحاكم الشرقي الموروثة أبت عليه أن يبعد بحرية
الكتابة إلى أكثر من صحف تصدرها الدولة أو صحف تخضع للرقابة والرقيب .
وكذلك كان الشأن في أمور التمثيل والممثلين ؛ كان يأذن للممثل أن يؤلف أو
يترجم أو يعتلي خشبة المسرح ، حتى إذا وجد أنه قد تجاوز المفهوم في ذلك الزمان ،
عصف به وحرمه مهنته أو نفاه كما صنع مع صاحب هذا الكتاب الذي نترجم له ،

وقد حال فعلا بين كثيرين من أبناء البلاد الشامية وبين الاستمرار في التمثيل حين وجد منهم انحرافاً في إشارة أو عبارة ، ولم يثق إلا على المسارح الرسمية وفي مقدمتها دار الأوبرا التي شهدت خيرة الفرق الأوروبية في سنوات حكمه .

ولم يكن من المختصين أن تتجاوز الصحافة المصرية هذا المدى الذي رسمه لها إسماعيل ، غير أن الحوادث كانت أقوى منه ، بل ألزمت الحوادث بأن يفرع هو إلى الصحافة والصحفيين ، يستعين بها وبهم فيما جد على وطنه من أحداث ، الأمر الذي فرض عليه أن يفتح صدره للمصريين والشاميين ليتخذوا من الصحافة مهنة لهم ، حتى إن الممثلين الذين عجزوا عن أداء رسالتهم التمثيلية لسبب أو آخر ، رحبوا بذلك الظروف ، وانتقلوا إلى الصحف مذمئين لها أو محزين فيها .

كانت من أهم الأحداث التي فتحت ثغرة في طبيعة الحاكم الشرقي ، وفرضت عليه محاكاة الغرب محاكاة سليمة في تكريم الصحافة وإطلاق قيودها ، الحرب التي قامت بين الأتراك والروس ، وقد مست الحرب حياة المصريين مساً شديداً ، بما كان يجب عليهم تقديمه لسلطان الأتراك من عتاد ومال ورجال ، وأراد إسماعيل أن يهرب من أداء هذه الالتزامات التي فرضتها الفرمانات المختلفة ، فجمع مجلس نوابه ، وعرض عليه العجز المالي ، فأقره بالطبع على وجهة نظره ، وفي هذا إعلان رسمي عن قصر يد الحكومة المصرية في القيام بالواجب المفروض عليها في محنة أمير المؤمنين و سلطان العثمانيين .

ثم كان إسماعيل يرى في اشتباك الدولة العلية في حرب قاسية مع الروس فرصة لتوسيع سلطانه ، ولا يمكن أن يتم توسيع سلطانه إلا إذا تبوأ الرأي العام الأوروبي وتبأ الرأي العام المصري لقبول هذه الفكرة بكشف نواحي الضعف في دولة الرجل المريض ، وذلك بذكر مساوي الأتراك على صفحات الجرائد والمجلات ، ونشر مفاصل الحكم في القسطنطينية وإيالاتها في الشرق والغرب على السواء .

وكانت تلك الحرب مفترق الطرق في رسالة الصحافة والصحفيين .

فقد نشأت عدة صحف ، القليل النادر منها وقف إلى جانب السلطان ، والكثير القادر فيها كان حرباً عواناً على مفاصل الأتراك ، وهلل إسماعيل لهذه الحرية التي نالتها الصحف ، والتي كشفت بمقتضاها عن مواطن الضعف في الدولة العثمانية ، ولم

يفطن إلى أن حرية الصحافة مكنت للصحف وهي تتناول قصة الحرب وأمبيها من أن تعلن عن مبادئ الملك في دولته وهي تقارن بين الدول الغربية الحرة وبين دولة الخليفة المريضة وما يدور في فلكها من دويلات ، ولم يطل الزمن حتى سفرت الصحف المصرية ورفعت النقاب ، وهاجمت في عنف وشدة حاشية الخديو ويده المبسوطة من غير حساب ، وتدخل الأجنبي في مقدرات البلاد ، وسلطة الحاكم المستبد الذي أفسد طبائع الناس ومد للرشى والظلم والعدوان .

وجاءت المصادقة برجل أشعل في النفوس هيب الثورة بما نشرته له الصحف من مقالات ، وبما ألقاه على الصفوة في المناظر والبيوت من الآراء والأفكار ، وكان هذا الرجل شعلة متنقلة في بلاد الشرق جميعا ، واحتفلت به مصر احتفالا منقطع النظير ، واستطاع في الفترة الوجيزة التي قضاها في البلاد أن يكسب اكبار العلماء والفضلاء ، ويكسب رجال السياسة والحكم ، وينشئ مدرسة من الصحفيين والأدباء



كان السيد جمال الدين الأفغانى ومضة برقت في حياة خاصة المصريين لم ينطق نورها قط ، فقد استمر هذا النور في تلاميذه جيلا بعد جيل ، وإن كان توفيق قد استطاع أن يقصيه عن البلاد حين ولي أمور الحكم ، وكان في عهد أبيه — وهو ولي للعهد — من أشد أنصار الشيخ وأكثر رجالات مصر إعجاباً به ربما نقله إلى البلاد من تيارات فكرية بقيت على

مدى السنين .

الأفغانى يهذى بخط يده صورته إلى يعقوب بن صنوع

كان جمال الدين الأفغانى

يرحب بالمثلين والصحفيين أيما ترحيب، فقد كانت هاتان الفئتان في مقدمة من استعان بهم على اشاعة ما يرجوه لمصر من تقدم وانتباه فكان يكتب للصحف ويسعى لأصحابها عند الحكومة لمنحهم تراخيص الصدور ، وكان يستمع الى الروايات التي يزعم البعض تمثيلها ، وكانت ندوات الأدب والفن تستيقظ في بيته منذ الصباح الباكر وتمضي الى ساعة متأخرة من الليل ، وكان يؤثر جماعة خاصة من أهل الفن والأدب بالحلب والعطف والتقدير .

وكان من بين من آثرهم بالود والتأييد يعقوب بن صنوع صاحب هذه الترجمة ، فقد كان له موجهما على نحو ما سنقرأ في هذا الكتاب .

فروح العصر كانت تفترض فيما تفترض من جديد أن تكون في مصر صحافة لم تعرفها من قبل ، ولم يكن الجديد ، تلك الصحافة الشعبية الحرة التي أصدرها جماعة من الأحرار ، فقد عرفت تركيا وبعض بلاد الشرق العربي هذه الصحافة ، يد أن الجديد حقاً ما جاء به أبو نظارة في صحيفته الخالدة على التاريخ ، وهي صحيفة كان فيها للمؤانسة والطرائف والفكاهات والرسوم مكان الصدارة ، ولم يكن في صحيفة أخرى شيء من هذا لعدة سنين ، فأصبح ما جاء فيها من حكايات ومخاورات وصور حدثاً لم يعرف له نظير في الشرق من قريب أو بعيد .

ولامت (أبو نظارة) طبع صاحبها ، بل لا امت طبع العصر نفسه ، وقد جاءت في زمن تعددت فيه ألوان الحياة وتباينت غرائبها وأصبحت سجلاتها يرويهها على طريقة كاتبنا الساخرة ، وكانت صحيفتنا نعم السجل لتلك الحياة التي رقت ولانت وماعت في بعض الأحيان !

أنظر كيف أخذ الناس حياتهم اليومية في عصر إسماعيل . . .
إنك لتدخل بيوت الأمراء والعظماء والأغنياء فتسمع إلى الموسيقى والأغاني ، وتسمع توقيع نسائهم على البيانو أو أناشيد بناتهم في (مقابلات) الصديقات والقريبات . . .

وإنك لتدخل بيوت السادة القنادين فتجد أكثر من بحلة أجنبية للتجمل والأزياء ، وتسمع حديثاً باللفة الفرنسية بين سيدات البيت وآساته ، وتكاد تنكر أنك في بيت شرقي وأنت تنصت إلى الموسيقى أو إلى الحديث أو تشاهد ربة البيت

وبناها جالسات إلى لوحات الرسم تقضين أمامها وجه النهار . . .
ولأنك لتدخل بيوت الموسرين فتجد الموائد قد أعدت على الطريقة الفرنجية ،
أو تجد الصخب يملأ فراغ أصحاب البيت ، فقد كانت بيوت القوم منتديات للسمر
العابث في كثير من الليالي ، وللرقص الخليج حتى الصباح ، وكان للخمر وغير الخمر
مكان في سمر الرجال بل في سمر النساء بين آن وآن . . .

ولأنك لتسمع الناس يتحدثونك عن مباحج القصر الخديوي ، وما شهدته من حفلات
(باللو) كما تقول صحف ذلك العهد ، ويروى لك عظمة الناس قبل خاستهم مآذار
في تلك الحفلات من ألوان الرقص الفرنجي . كما تنصت إليهم وهم يتندرون بملابس
النساء والرجال ، ويحكون لك عن الشراب والطعام ، وما يصحب الشراب والطعام
من موسيقى صاخبة أو حاملة ، ويرتبون على ذلك كله أشياء وأشياء . . .

ولأنك لتقرأ في الصحف المعاصرة وفي مقدمتها الوقائع الرسمية ، وصفاً بمتعاً لسباق
الحيل ، وهو السباق الذي كان يشارك فيه الخديو ووزرائه وأعيان البلاد ، وينهج
نهجهم الفقراء من العامة ، حتى اختلت موازينهم بالمرأهنة والمقامرة ، وما ترتب
عليهما من فساد الحال وسوء المثال وذل السؤال . . .

ولأنك لتذهب إلى قهوات الفرنجة أو إلى قهوات أبناء البلد فتجد السمر أارجلوساً
فيها ، قل منهم من ينصرف إلى صحيفة القهوة فيقرأها ، وكثر منهم من يلعب الترد أو
الورق ، وكثر منهم أيضاً من يحكي النوادر أو يروي الحكايات فيضحك لها المستمعون
حتى يستلقوا على أفقيتهم ، ويتنقلوا بها من مكان إلى مكان ، وبذلك طافح قاموس
النكات المصرية بأروع مآثر عن المصريين من نكات ، واحتفظ لهم العصر بالصدارة
في التكبك والتبكيك على أنفسهم وعلى غيرهم من المواطنين ، بل على غيرهم من
شعوب الأرض قاطبة ، وبذلك أصبحت القهوة المصرية في أيام إسماعيل تدوة
للرواية والحكاية والنكتة ، ومكاناً يخف إليه كل مفتن وأديب

كان روح العصر يفرض على صاحب الترجمة أن يصدر صحيفته ، فكل شيء في
عصر جديد . . . ارتفعت طوائق المنازل ، وأثيرت الشوارع ، وأبيحت الخمر في
كثير من الأحياء التي ما كان يستطيع أن يشرب الخمر فيها مواطن من المسلمين أو
المسيحيين ، وجرت العربات بخيولها المظهمة في الشوارع والميادين المرصوفة ، وانتشرت

دور التمثيل وفي مقدمتها دار الأوبرا الخديوية ، وخفت العذارى إلى الحدائق العامة في جنح الليل أوفى وضح النهار ، وصفت العربات في أطراف المدينة تزخر بما يندى له الجبين

كل ذلك كان في حاجة إلى مؤرخ أو أديب ، وكان ابن صنوع هذا المؤرخ وذاك الأديب ، وإن اختلف الناس في شأنه ، فقل إنه صحفي ، وقل إنه ممثل ، واختصم مؤرخوه فيما كانت عليه طبيعته ، أكان صحفياً أم كان مؤرخاً وأديباً أم كان ممثلاً بعيد الصيت ؟ . . .

وفي تمثيلاته ، مؤلفة ومعربة ، تبين قدرة الممثل وتبرز ملكة النقد وتظهر شخصية الفنان المفتن . . .

وفي صحفه تروى الحقائق طبيعة يعقوب بن صنوع ، الأديب الشاعر النائر ، والصحفي القارح الساخر ، وإمام الصحافة الفكاهية من غير منازع

مدارج الطفولة

هذه قصة الفنان المقتن يعقوب بن صنوع ، الفنان الذي خلق في بيئته وجيله ما لم يعرفه من قبل جيله وبيئته ، نروى تلك القصة منذ ولدت سنة ١٨٣٩ إلى أن قضى صاحبها في مطالع القرن العشرين .

هي قصة اليهودى المسلم الذى قرن بين دينين ، وكان تحية كريمة من اليهود إلى إخوانهم المسلمين ، لقد حملت فيه أمه اليهودية ، وولده مسلماً ، هبة منها للإسلام والمسلمين وإصغاء منها لوحى في قلبها ، وتلبية لتعاليم العراف الذى أنبأها بالخبر اليقين . .
حقاً إن مولد يعقوب يشبه سيرته الحافلة بأمتع ما أثر عن سيرة صحفي في تاريخ القرن التاسع عشر

إن قصة مولده يرويها صاحبها في ذكرياته التى كتبها عن تاريخه بخط يده ، وأخذنا على عاتقنا إذاعتها وتحقيق ما فيها من بيانات جانبى الصواب فى قليل من الحوادث والتفاصيل ، غير أنها قصة ممتعة ، ما كان لأحد أن يعرف دقائقها لولا أن صاحبها كتبها فى ساعات من التجلى ، ولم تسعفه تلك الساعات ليواصل كتابة هذا التاريخ الجليل فوقف به عند نفيه الى باريس ^(١)

كان الولد الوحيد لأمه وأبيه ، لم يرزقهما الله غيره من البنين ، وقد وارىا قبل مولده أربعة أطفال لم يروا نور الحياة الا أسابيع . ثم مضوا الى جوار ربهم مخلفين الحسرة فى قلب الوالدين اللذين كانا ينشدان طفلاً يخفف من غصة الحياة ، وما أصعب الحياة على والدين يفقدان فى كل سنة وليداً بعد قليل من ولادته المعسرة !

(١) إن تاريخ ابن صنوع الى يوم نفيه لا يزال مخطوطاً عند ابنته فى باريس ، وقد سمحت لنا بنقله فاعتمدنا عليه ، بالرغم من أن المترجم له نشر هذا التاريخ فى أبيات شعرية باللغة الفرنسية ، واسكنه لم يذكر هذه التفاصيل المهمة التى فى المخطوط ولا تزال ابنته تعتقله به الى الآن - راجع فى ذلك *Les Soupirs du Proscrit* وكتاب *Ma Vie en Verets Mon Théâtre en Prose* وهما من قلم المترجم له ثم ما نشرته جلالته وأشرنا اليه فى موضعه

يذكر يعقوب بن صنوع أنه مات لأمه أربعة أطفال، فأذا دب هو في أحشائها نصحت لها صديقاتها أن تفرغ إلى شيخ مسجد الشعراى فعنده التأمم والتعاوية . وعنده المحسنات ضد موت الأطفال لوفيه من الصفات الطيبة ما يقربه إلى الله ، فأذا استجار به من أجلها ، قبل شفاعته وأبقى على جنينها وحفظ له الحياة إلى أمد طويل . . .
وإن الأم الحزينة لتفرح إلى شيخ مسجد الشعراى ، وهو رجل وقور شارف على المائة ، فيه صلاح وتقوى ، نرجوه أن يتوسل إلى الله أن يحفظ لها جنينها ويبقيه قرة لعين والدته ، وقال الشيخ الوقور وكأنه يكشف عن النيب البعيد : ان ربنا سيبارك ثمرة أحشائك وسترزقين بولد . وكادت الأم تفقد من الفرح انزائها ، فأن الله سيبقى على جنينها وهو ولد . وما أعد أمهات ذلك الزمان حين يكون في بطونهن ولد ، فأن ذلك يكبر من مقامهن عند أزواجهن ويبعدهن عن الحسرة التي تشعر بها كل أم توجب بنتا غير أن الشيخ الوقور يستكمل نبوءته بقوله . . . وان نذوته للدفاع عن الإسلام فلسوف يعيش ، إكسه من حسنات المؤمنين ليكون متواضعا ، وسوف يجد ما يريد بفضل بركة خالقه .

وأصغت أم يعقوب إلى نصيحة الشيخ وأطاعت ما أمرها به وأقرها زوجها على أن يرب ابنه للإسلام والمسلمين ، فغير أنه اعترض في أول الامر على فكرة كساء الطفل المرتقب من حسنات الحسين ، واعتبر في ذلك مهانة لا تليق به . وهو يتمتع بالحظوة لدى البلاط ويستشير الأمراء في مسائلهم الخاصة ، غير أن الزوجة أصرت على أن تلبى نصيحة شيخ الضريع بهذا فبرها حتى تضمن سلامة وليدها حين يرى النور .

ويذكر أبو نظارة أنه حين كبر حفظ القرآن وعاهد والدته على أن يرفي نذرهما وأن يخدم نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين ، ويحكى لنا عن مولده فيقول وما أن فتحت عيني لأرى نور الحياة حينما وصلت إلى وادي الدموع حتى انزلت من بين يدي المولدة التي كانت في استقبالى . وظللت ثلاثة أيام بين الحياة والموت دون أن يعرفوا أن رأسى قد شج ، ولكن كان مكتوبا على أن أعيش لأودى رسالة مقدسة ألا وهي مكافحة الأباطيل التي تفرق بين المسلمين والمسيحيين ، بأظهار سماحة القرآن وحكمة الإنجيل ، وهكذا تنسجى لي الملازمة بين قلوب الفريقين .



أم يعقوب بن صنوع

ومن الطريف أن يعقوب بن صنوع لم يشر قط في تاريخه إلى أنه ولد من أبوين يهوديين ، مع أن جميع الكتب وكل من ذكره عابراً أو محققاً أكد هذه الحقيقة التي ينطق بها لقب الأسرة ، وتنطق بها معالم وجهه اليهودي الأصيل ، وخاصة عينيه ، وفيها من نظرات اليهود الشيء الكثير ، وإن كان قد رد ما فهمنا إلى الرمذ الذي أصابه وهو صغير ، وبقي يلزمه مدى حياته لافتقار أبويه ، طليبا إخصائيا يعالج ما أصاب عيني ولدهما من هذا الداء الثقيل ، غير أن صحفياً أجنبياً زار مصر وكتب بعد عودته في سنة ١٨٧٩ عن يعقوب

ابن صنوع فصلاً ممتعاً (١) أنبأنا فيه عن مرض عينيه ، وحال المرض وهو يحكي لنا عن المترجم له بقوله ومن البداهة بمكان أنه أستاذ من قرة رأسه إلى أخمص قدميه ، ومن أخمص قدميه إلى قرة رأسه ، فلتتخيل رجلاً ربع القامة أصلع نوعاً إلا من بضع شعرات سوداء متناثرة ، وهي من السواد الخاص الجيل الذي يميز الجنس الإسرائيلي . إنه مصاب بنوع من الرمذ أو بالأحرى بشيء من الضخامة في العينين ناشئة فيما يظن من توهج الرمال في فلسطين ، وقد انتقل إليه أثر هذا التوهج بطريق الوراثة من جيل إلى جيل ،

ثم يستطرد الصحفي متحدثاً عن المفارقات في (يهودية) يعقوب بقوله « وكثيراً ما سمعت حولي العبارة الآتية : إن في عيني يعقوب صنوع ذاك اللهب الوهاج الذي نراه في عيني البارون جيمس روتشلد وهي الصفة الوحيدة التي تجمع بينهما . . . لقد أصابوا كبد الحقيقة ، ذلك لأن يعقوب صنوع لم يسم بأية صفة من صفات

رجال المال ، فزاجه ثامر على الأرقام والتشكيلات الحسابية إلى أبعد مدى بل إن الخلاف مستحكم الحلقات بينه وبين علم الحساب منذ نعومة أظفاره

هذا رأى الصحفي في كاتبنا العظيم ، وقد أخطأه التوفيق في تقدير كفاية المترجم له في شئون المال والحساب ، وإن كفاحه وصلاته فيما بعد برجال الحكم والمال لدليل على أن كثيراً من صفات آل إسرائيل لا يزال لها مكانها المقدور في نفسية الكاتب الأديب

حقاً إن المترجم له لم يقم وزناً لمخربات الخديو اسماعيل حين قرر مخاصمته ، ومضى في هذه الخصومة إلى نهاية الشوط ، ولم يقف خصومته عند اسماعيل الخديو الذي نفاه بل مضى يجاهد ابنه الخديو توفيق ، ويكافح معه أنصاره من الوزراء ورجال الاحتلال ، وكان في مقدوره أن يحصل على المال الوفير إذا مشى في الركب وانتظم في صف المنافقين وطلاب المصالح ، إلا أن هذا كله لا ينفي أن عامل الوراثة أهله للكفاح المادي ، فانتصر في باريس ، وحصل على المال اللازم الذي مكنته من تخليد اسمه في التاريخ

ثم نصغى إلى صاحب التاريخ يروي تاريخه فيقول : « حين بلغت الثانية عشرة من عمري كنت أقرأ التوراة بالعبرية والإنجيل بالإنجليزية والقرآن بالعربية وأفهمها تماماً . وكان أول شعر نظمته باللغة العربية مديحاً لناظر المدرسة الذي كان يعاقب التلاميذ الذين دأبوا على الضحك مني بسبب عيني المحمرتين ، وقد تلوت هذا الشعر على والدي ، وكان يقرض الشعر ، فبصرني بأخطائي فيما نظمت ونصحتني أن أصيغ قصيدة في مدح الأمير أحمد حفيد محمد علي الكبير ، فكتبت قصيدة طويلة قدمها والدي لسمو الأمير الذي لم يصدق أن صيياً في سن الثالثة عشرة يستطيع أن يكتب هذه الأشعار التي — بيني وبينك ! — لم تكن جيدة ، وقال لأبي إنه يريد أن يرى هذا الطفل ذا الذكاء الخارق »

وتم لقاء يعقوب بالأمير الكبير ، وكان أبوه قد أوصاه حين يحظى بهذا اللقاء أن يتقدم فيقبل يد الأمير باحترام وتوقير ، وفي هذا اللقاء تكشف طبيعة الصبي الثائر على الأوضاع والتقاليد ، وهو يرويها لنا في بساطة ووضوح لا يشكك في صحة معظمها ، ومستقبل جهاده ينشأ عن جوانب الصدق فيما حكاها عنها ، لقد كانت قاعة



زوجة يعقوب في سنة ١٨٨٣

الاستقبال غاصة بالزائرين عندما دخلت وقدمني
والدى إلى صاحب السمو وهو يقول : هذا
هو الشاعر الصغير الذى يطلب شرف لثم يديكم
أما أنا فقد حييته بتلك العبارة البسيطة والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ، فهرنى أبى بعنف
وقال لى بصوت خفيض : قبل يده أيها
التعس ، فأجبت : لا ، لن أقبلها ، فما كان من
والدى إلا أن هددنى ولكنى تمسديت
فى الرفض .

ويذكر الصبي الصغير أن الأمير لاحظ
هذا اللغط الذى شغل الابن وأباه فاستوضح
الوالد أسبابه غير أن يعقوباً سبق أباه إلى
جواب حازم فى كبرياء ملحوظة ، وتوجه

إلى الأمير قائلاً : لا أدري لماذا يريد والدى منى أن أقبل يديكم الملكية . هل أنت
إمام أو قسيس أو حاخام ؟ لا إني إنسان مثلك ، لا بل أنا أعرف قرص الشعر
وأنت لا تعرفه ، (١) .

ويعلق المترجم له على ذلك بأن هذه الكلمات وإن نزلت على أليه نزول الصاعقة
إلا أنها كانت مفارقة من مفارقة الطرق التى صادفت حياته ، فإن الأمير الذى بدت
عليه علامات السرور فهنأتى وأرسلنى على نفقته لأتلقى العلم فى أوروبا ، ثم يمضى يعقوب
فيقول إنه أمضى عدة سنوات فى أوروبا فلما عاد نزل قضاء الله فى الأمير الكريم
الذى أولاه نعمته ، وفى أليه أيضاً ، فوجد نفسه رب أسرة ، ليس له مال يغنيه وإن
كان له علم تام بلغات أربع ، كانت هى كل رأس ماله الذى تقدم به إلى إحدى
المدارس الحرة التى قبلته مدرساً بها : وهكذا أقام أوده بما تدره عليه المدرسة من
أجر ، ووجد وقتاً طيباً للتمكن من اللغات التى يعرفها وأضاف إليها لغات أخرى

١ - يبدو أن المترجم له قد بالغ فى هذه الرواية كما بالغ فى بعض أصول تاريخه كما سنبين ذلك بعد قليل

حتى إنه استطاع حين بلغ الخامسة والعشرين أن يجيد ثمانى لغات كتابة وحديثاً بل تمكن منها إلى حد إجادة قرض الشعر بها جميعاً .

ويؤكد الصحفي الإنجليزى المشار إليه فى أول حديثنا أن (أبو نظارة) كان يجيد فى سنة ١٨٧٩ العربية والعربية والتركية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والبرتغالية والأسبانية والمجرية والروسية والبولونية، وفى قول هذا الصحفي الرحالة الذى ربطته الصلات بالمترجم له ما يؤكده صحة البيانات التى ذكرها يعقوب فى المخطوط الذى سجل فيه تاريخه ، بل زاد الرحالة على ما ذكره أبو نظارة أربع



نجلاه فى طفولتهما

لغات أخرى يبدو أنه فى سنة ١٨٧٩ لم يكن قد حصلها أو أجادها إجادة تامة ، على أن صحف يعقوب التى أصدرها فى باريس أكدت ماذهب إليه المترجم له والصحفى

كلاهما بما احتوت عليه بعض نسخها من لغات مختلفة بلغ عددها عشرين أو يزيد .
ويصف محرر جريدة Saturday Review طرائق العيش التي اتبعها أبو نظارة
فيقول إنه « كان يتنقل من قصر إلى قصر ومن خان إلى آخر ليعلم أبناء الخديو



لباس يعقوب بن صنوع حين كان يخطب في أوروبا أو يحضر حتملة رسمية
والباشوات من صبيان وبنات اللغات والرسم والموسيقى . ولا أستطيع أن أجزم بأن
يعقوب صنوع لم يكن أستاذا في علم الرقص . فإنه قادر على كل شيء . إذا ما عرّف
بصفاته » ويذكر أبو نظارة من البيانات ما يؤكد أقوال المحرر المذكور ويضيفها

تفصيلاً فيروى أن بعض الشخصيات المدنية والعسكرية التي كانت تحكم مصر في أواخر القرن التاسع عشر تلقت عنه دروساً خاصة أو تلمذت عليه في المدارس الحرة أو الأميرية ، فإنه أمضى بضع سنين مدرسا أول في المهندسخانة وعضوا في لجنة امتحان المدارس الأميرية .

ويحكى يعقوب في تاريخه صلته بالخدّيو اسماعيل فيذكر أنه أعجب به قبيل ولايته للحكم فقد ظن أنه سيكون علما على المدنية والحرة ، فلما تبرع على كرسي الخديوية مدحه في قصيدة عصماء ذاكرأ أن ملكه سيفتح عهدا جديداً لمصر ، وأن شخصيته ستعيد إلى العلوم والآداب والفنون ازدهارها القديم على ضفتي النيل ، ولم يقف ثناء المترجم له عند القصيدة بل تجاوزه فكتب في الجرائد المحلية والخارجية مقالات بديعة عن التقدم السريع الذي أصاب أرض الفراعنة بفضل الخديو اسماعيل وينتقل يعقوب من التحدث عن الخديو وعلاقته به إلى المجهود الذي بذله لتعريف الغرب بآداب اللغة العربية والدراسات الإسلامية فترجم قصائد من لغة الضاد إلى اللغة الإيطالية ، ثم نشر دراسات عميقة من الآداب الإسلامية في الجرائد الإنجليزية ، ثم يقول دوينما كنت أطرى الحضارة الأوروبية في جرائد الشرق ، كنت أكشف في الصحف الأوروبية عن جمال الشعر العربي وعمقه ، ثم انصرف أبو نظارة إلى تأليف التمثيليات باللغة الإيطالية فكتب ثلاثاً منها عن العادات المصرية لقيت نجاحاً كبيراً على المسارح الإيطالية في الشرق ، بل لقيت النجاح في بلاد داتني نفسها .

الفنان المفتن

قصر علينا أبونظارة كيف ولد وكيف ازدلف الى بيوت العظماء ينشر فيها ألوانا من الفنون الرفيعة ، وبين لنا أنه كتب شعرا ونثرا في الصحف السيارة وأعلن فيما كتب عن حضارة الشرق ودين الاسلام ، وخلق له مدرسة من المدنيين والعسكريين الذين كان لهم في تاريخ مصر — فيما بعد — تاريخ . . . ثم أخذ ينشئ التمثيليات ليشبع بها نفسه المطبوعة على الحكاية والرواية والنقد المباح ، وكان نجاح تمثيلياته الايطالية الثلاث حافزا على المضي فيما أهله له طبعه ، فعزم على أن يقيم مسرحا قوميا مصرياً ، وهو عمل فني لم يسبقه اليه أحد في مصر . ولم يكن إنشاء مسرح مشروعا سهلا للتنفيذ ، ولكنه توكل حين عزم متشجعا بما يديه الخديو اسماعيل نحو تأييد المسارح الفرنسية وفي مقدمتها الاوبرا الايطالية والكوميدي فرانسيز ، وهما مسرحان جميلا بالقاهرة .

كان ذلك في سنة ١٨٦٩ حين فكر يعقوب صنوع في تأسيس مسرح للوطنيين تعرض على خشبته تمثيليات عربية ، وكان ذلك حدثا جديدا وابتكارا غريبا ، فالى ذلك الحين لم يكن أحد قد كتب أو مثل على مسرح وطني أمام نظارة أو متفرجين ، ويقول المترجم له « فألفت حينئذ فودفيل قصيرة تتخللها أشعار ملحنة تلحيناشعبيا ، وقد مثل تلك الفودفيل « في القصر أمام باشوات وبيكوات البلاط الخديوي فضحكوا لها من أعماق قلوبهم ، وشجعوه على أن يعرضها في حديقة الأزبكية وكانت مشهورة بمسرحها القائم في الهواء الطلق .

وتوكل يعقوب — كما يقول — وقرر إنشاء فرقة تمثيلية ، واستغرق ذلك أسبوعين تمكن خلالها من تكوين تلك الفرقة من بعض تلاميذه الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والعشرين ، وهم جميعا من الذكور . وتخصص واحد منهم في تمثيل أدوار النساء ا ثم أقيمت الحفلة الأولى وحضرها رجال البلاط والوزراء ، وأقبل معهم أكثر من ثلاثة آلاف مشاهدين أوروبيين مقيم ووطني أصيل ليشهدوا هذه البدعة الجديدة . . . تمثيلية باللغة العربية .

ويؤرخ لنا أبونظارة فيما يرويه عن فرقة سيرة المسرح المصري الأولى ، وهي سيرة لا يعرفها المصريون ، ومن حسن طالع هذا التاريخ أن صاحبه عني بتفاصيله وأنجح لنا أن نقف على كثير من أخباره المستخفية ، والتي لم يذكرها مؤرخ من المؤرخين ، وهو يحدثنا عن الفرقة التمثيلية العربية الأولى حديثاً شائعاً فيذكر أن الممثلين الشبان حفظوا أدوارهم عن ظهر قلب ، ولكنهم كانوا يرتعدون خوفاً قبل رفع الستار ، فرأى زعيمهم — أبو نظارة — أن يشجعهم ، فوقف على خشبة المسرح وحوله الممثلون وتحدث إلى النظارة ليعطيهم فكرة عن الفن المسرحي ، وأخذ يقدم أفراد الفرقة للجمهور ، وطلب منه أن ينفض الطرف عن الهفوات أو العجز على اعتبار أنها التجربة الأولى التي تقوم بها أول فرقة تمثيلية عربية في وادي النيل ، ويمضي قائلاً : ثم ألفت خطاباً عن فوائد ومباهج المسرح وختمت كتي بممدح الخديو .

وقد أعادت تلك الخطبة الثقة إلى قلوب الممثلين فأدوا أدوارهم كما لو كانوا أهل خبرة ومن أعلام الممثلين ، ويذكر يعقوب أن سرور وحساس الناس في ذلك اليوم لا يوصفان ، فقد طلبوا إعادة ثلث مناظر الفودفيل وحملوني على أكتافهم ، وبكيت لأول مرة من الفرع .

خلق يعقوب بن صنوع بفرقة مذكرة المسرح العربي في مصر الحديثة ، وهي مذكرة لم يسبقه إليها أحد من المصريين أو الشاميين الذين نزحوا إلى مصر بعد ذلك واتخذوا من التمثيل مهنة وحرقة ؛ غير أن المترجم له لم يرض أن تعيش فرقة عيالاً على تلاميذه ، غير مستكلمة أدوات الفرق الجديدة بهذا الاسم ، وقد استطاع أن يؤلف فرقة محترقة ضمت العنصر النسائي ليقوم بالتمثيل بدلاً من الرجال المتكررين في ثياب النساء فعثر على فتاتين فقيرتين ، وتمكن من تعليمهما بنفسه القراءة في شهر واحد ، ومرتبهما على التمثيل فأديا أول الأمر أدواراً قصيرة خصصها لهما في تمثيلاته ، وساعدهما على النجاح شباب نصر ووجه جميل وخضر نادر في ذلك الزمان ؛ وقد كان لظهورهما على المسرح أحسن الأثر في نفس الجمهور الذي استقبلهما بالتشجيع والتأييد وحاطتهما بالرعاية الملحوظة في إقباله على كل تمثيلية ، لهما فيها نصيب

ويجب أن يدخل في اعتبار من يؤرخ للتمثيل العربي أثر البيئة في التوجيه وفي النجاح أو الإخفاق ؛ فقد كان إنشاء مسرح عربي في عهد اسماعيل مجازفة يتعرض

فيها صاحبها لترمت المتزمتين وخصومة الرجعيين ومحاربي البدع ، وما أعجبها من بدعة تصرف الناس عن العمل الصالح في عرفهم ، وتبيع وقوف الأثني إلى جانب رجل تطارحه علانية الغرام أو يطارحها الحب والهيام لذلك يعتبر نجاح يعقوب في مسرحه انتصاراً رائعاً للفن وهزيمة مروعة لأهل الرجعة وهم كثيرون



ويقص أبو نظارة مدارج النصر التي نالها في عمله ، فيذكر أن مسرحه ظل يعمل سنتين عرض فيما على خشبته اثنتين وثلاثين تمثيلية من تأليفه ، منها الملهمة ذات الفصل الواحد والمأساة ذات الفصول الخمسة ، إلى جانب كثير من التمثيلات التي ترجمت عن الفرنسية ، ثم يقول ، وبعد مضي أربعة أشهر على تأسيس مسرحي ، دعاني الخديو إسماعيل وفرقة لا مثل على مسرحه الخاص في القصر ، وقد مثلت ثلاث روايات وهي « آنسة على الموضنة » و « غندور مصر » و « الضرتان » وكانت كلها

نتج المسرح يعقوب بن صنوع وهو في القاهرة

من نوع الملهمة الأخلاقية ؛ وبعد

أن شاهد الملهمة الأولى والثانية استدعاني وقال لي أمام وزرائه ورجال حاشيته أنت موليرنا وسيخلد اسمك ، بيد أنه عندما شاهد التمثيلية الثالثة « الضرتان » وكانت تعلن عن مساوي تعدد الزوجات ، وأنه سبب التصدع الذي يحدث في الأسرات بل سبب الجرائم التي تغشاها ، تحول سروره إلى غضب ، وأرسل يطلبنى قائلاً بلهجة تهكمية « سيدى مولير مصر ، إن كانت كليتك لا تختملان إرضاء أكثر من امرأة واحدة فلا تجعل الغير يفعل مثلك » ، وقد وجد رجال الحاشية كلام سيدى فى محله فنصحونى بأن أشطب هذه التمثيلية من قائمتى على الرغم من تقديمى إياها للجمهور

ثلاثاً وخمسين مرة ، ولكنني اضطررت إلى الرضوخ إبقاء على حياة مسرحي ،
كانت لفشات اسماعيل عاملاً قوياً من عوامل نجاح مسرح يعقوب بن صنوع ،
فقد كان لقب « مولير مصر » الذي خلعه عليه ، يشبهه من قريب براءة رتبة عالية
منحها له الخديو الكبير ، وكان للرتب فعل السحر في نفوس عامة الناس وخاصةهم ،
لذلك عجنب أبو نظارة غضب الأمير وأسقط من حسابه تمثيلية « الضرتان » ومضى
قدماً في مسرحه موضع تقدير الرواد من كل طبقات الشعب .

وبعد أكثر من مائتي عرض لمسرحياته طلب منه إسماعيل أن يمثل ثلاث قطع
في حفلة ساهرة كبرى ، وقد نال إعجاب الحاضرين وعلى رأسهم الخديو الذي صفق
له ، غير أن كبار الجالية الإنجليزية الذين حضروا السهرة لاحظوا السخرية اللاذعة
التي أطلقها كبير الممثلين على جون بول وهو يؤدي دوره على المسرح ، فحفظوها
له ومضوا بالدس عند الأمير حتى أقنعوه عن طريقهم المباشر أو عن طريق صنائعهم
في القصر بأن التمثيليات التي يقدمها أبو نظارة تتضمن تلبیحات وإيحاءات خفية
ضد سياسته وسياسة حكومته ، وفيها خطر عاجل على نظام الحكم ومقدرات البلاد ،
فأمر إسماعيل بإغلاق المسرح ، وبدأ منذ ذلك العهد اضطهاد يعقوب بن صنوع

ويؤرخ معاصرو (أبو نظارة) تمثيلاته وأهدافها ، ولدور الطبعي الذي أعد
نفسه له ، فيذكرون أنه أنشأ المسرح العربي ليعبر به عما يختلج في أعماق نفسه من
انفعالات ، فأضحك الناس حين طرب قلبه ، وأبكاهم حين سالت دموعه الصادقة على
وجنتيه ، وكانت ملاحظاته لاذعة وبعض مرجه ساخرأ ، وكان حين تنبض نفسه
بالآلم لما يراه من حياة مواطنيه البائسين الشاكين « يتمصص في جسمه جنسه
الذي لا يحاكيه جنس في العالم ، والذي تحمل في ماضيه الطويل مختلف الاعتداءات
واجتاز شتى العقبات والاضطهادات ، ولكنه استطاع أن يعيش رغم ذلك وأن
يحفظ بكيانه دون تغيير أو تبديل » (١) ويمثل ذلك كله على خشبة المسرح ، فيعلن
عن مواطنيه ومثلهم ، ويحكي آمالهم وآلامهم ، حتى رأت الحكومة أن ضحكاته مثيرة
للخواطر ودموعه مهيجة الأفكار ، فأغلقت مسرحه ، وظنت أنها قد حبست لسان الرجل
من أن ينطلق على خشبة المسرح ، ونسيت أن له قلباً سينطلق بعد قليل على مسرح الحياة .

(١) راجع ما كتبه الرحالة الإنجليزي في المصدر السابق .

وقبل ان نسدل الستار على قصة الممثل الكبير نتركه يتحدثنا عن الطرائف التي صادفته في أثناء عمله المسرحي ، فهي ، وإن تكن تفككة لقارئها ، إلا أنها عند المؤرخ شيء جدير بالتسجيل وهو يروي سيرة المسرح المصري ، حتى يلاحظ المختصون على ضوءها التطورات التي حدثت لهذا الفن في بلادنا ، ويزنوا المجهودات الضخمة التي انتهت بمسرحنا إلى شيء قريب من النضج والاستواء .

يذكر أبو نظارة أنه كان مديراً للمسرح ومؤلفاً لتمثيلياته ، وكان يقوم في بعض الأحيان بمهمة الملحن ، وقد حدث أن تغيب الملحن في إحدى الليالي بسبب وعكة أصابته ، ولما كان المترجم له لا يستطيع أن يقرأ في تلك الظروف لضعف نظره الشديد فقد جاء بشاب وحدد له مكانه بين الكواليس ليلحن الممثلين ، وطلب إليه أن يقرأ الحوار بصوت منخفض ويترك الممثل يتبعه ، غير أنه لم ينفذ التعليمات حتى اضطرب الأمر على الممثلين وكادوا يعجزون عن أداء أدوارهم ، ولم يقف عجز الملحن عند هذا الحد بل أطل برأسه على المسرح وقال لأحد الممثلين : « لاتسرع هكذا ، ألا تعلم أن العجلة من الشيطان ؟ أتركني ألقنك وكرر الكلام من بعدى » . فانفجر الجمهور ضاحكاً ، فما كان من يعقوب إلا أن شد على أذن الملحن الذي ضايقه ذلك ، فانبثق مختافاً إلى المسرح ، وقذف وجه الممثل المسكين بمخطوط التمثيلية ، ونشب عراك بين الرجلين ، واضطرت إلى الظهور على المسرح لأنفض المعركة بين ضحكات الجمهور وتهليله .

ويعلق أبو نظارة على ذلك بقوله : « ولو وقع هذا الحادث في أحد المسارح الأوروبية لاعتبر فضيحة من الفضائح ، أما في مسرحي الذي كان في ذلك الوقت في دور الطفولة فقد لقي الحادث نجاحاً كبيراً ، وفي الليلة التالية أعلن الجمهور عن رغبته في مشاهدته مرة أخرى » ١١٤

ويحكي الفنان المقتن ألواناً من القصص عما صادفه في عمله المسرحي ، وهو يصور لنا بساطة الشعب الذي كان يمثل له وبرامة سريره وسباحة خلقه ، فقد كان النظارة يتدخلون في التأليف والتمثيل ويفرضون آراءهم على المؤلف رضى أو منخط ، وما كان له إلا أن يرضى أو ينصرف عنه المعجبون من رواد مسرحه ، وهو يذكر على سبيل المثال أنه كتب عدداً كبيراً من التمثيليات المضحكة

وقدمها للمسرح ، وكان معظمها يتألف من فصل واحد ، ثم رأى من واجبه أن يضمها نصائح أخلاقية ، فألف لذلك الغرض تمثيلية من فصلين ، بطلتها فتاة لعوب عثت بكثير من الرجال ، حتى ساءت سمعتها فهجروا جميع الناس وأصبحت



وحيدة لامعين لها ، ولم يرض الجمهور عن هذه النهاية المؤلمة للمثلة - وكانت فتاة قادرة حقاً بما أوتيت من جمال وفتنة - على انتزاع إعجاب النظارة على اختلاف مراتبهم وأسنانهم ، فاستقبلت التمثيلية بالسفير في اليوم الثاني ، فبرز يعسوب على المسرح مستوخماً أسـباب غضب الرواد وصغيرهم ، فأجابه شاب قائلاً أنت تعلم يا مولير أن صفصف - وهو اسم المثلة - فتاة شريفة... وينبغي إذن أن تجد لها زوجاً جديراً بظرفها وجمالها . عليك أن تخصص الفصل الأخير من تمثيلتك لزوجها إن أردت

صنوع عقب نفيه إلى باريس

أن نصفق لك وإلا فأتنا لن نختلف إلى مسرحك أبداً ، ويضطر المؤلف إلى النزول على رغبة الجمهور فيزوج الفتاة اللعوب آخر الأمر وإن خالف ذلك منطق الرواية والعبرة فيها !

ويؤكد لنا أبو نظارة أن مستوى المتفرجين ارتفع ارتفاعاً ملحوظاً في السنة التالية لإنشاء مسرحه ، وأنهم كانوا يميلون إلى الروايات الجدية ويستقبلونها استقبالا حسناً ، ويتجاوب المؤلف والممثلون مع جمهورهم فقدم لهم تمثيلات مترجمة عن اللغات الفرنسية والإيطالية والإنجليزية ، غير أن ذلك لم يمنع القوم من التقاط الهفوات وتسقطها وقلب المسرح من الجد الخالص إلى هزل يتندر به الجليل جميعاً .

ويضرب أبو نظارة مثلاً على تلك الهفوات بأنه كلف إحدى الممثلات بأن تقوم

بدور الحبيبة الوالهه أمام ممثل كانت — على غير علم من يعقوب — تكرهه ولا تطيقه مع أن الممثل كان ولهان حقا حتى إنه طلب يدها فردته ساخطة ، واضطرت الممثلة الحسنة أن تقول في التمثيلية أمام النظارة لذلك الممثل البغيض إلى قلبها دمسأل نجوم السماء التي تحاكي جمالك عن سهادى . . . إني أقضى الليالى لأذوق طعم الراحة فأناجيتها وأنا أفكر فيك ... يا نور عيني الذى يعشقتك قلبي وتعبدك روحى ! آه لو تعلم كم أنت عزيز على ؟ لن تسحر فتيات آخر بنظراتك الالهية وابتساماتك الملائكية . الرحمة الرحمة بعصفورتك ودعها تؤمل فى أن تكون عبدة حبك ! آه لو هجرتنى فلسوف أموت . ولكن لو انى كنت واثقة من زيارتك لقبرى لرجوت الله أن يسترده إليه روحى ... »

وحين استمع الممثل الى حديثها راقه التمثيل وأعجبته المعانى ، فهمس اليها قائلا وليبارك الله المسرح الذى يجعلك تنازلين عن كبرياتك ويضطرك الى أن تبوحى لى بحبك أمام آلاف الناس ، وغازطها القائل والمقول ففسيت الممثلة أنها على المسرح ، ودفعها غضبها بما سمعت الى صفع الممثل المسكين صفة قوية اثم التفتت الى الجمهور وقالت له فى غضب : ان كلمات الحب التى وجهتها لهذا الفتى المغرور النخبى لاتعبر عن احساسى الحقيقى نحوه فأنى أوثر العمى على حبه . ان مؤلف الرواية مولير مصر هو الذى وضع تلك الكلمات على لسانى ، !!

وذهل أبو نظارة بما شاهد وسمع ، فقد وقفت التمثيلية ، وقام الممثلان برواية أخرى استقبلها الجمهور بالتصفيق الحاد ، فقد راقه حوار الممثلين وما تضمنه من مفارقات ، فلما استؤنف تمثيل الرواية طالبوا كما هى العادة فى التقاط الهنوات بأعادة تمثيل هذا الفصل المضحك ، وقد أعيدت فعلا التمثيلية نحو شهر ولم تخل ليلة من صفة يتلقاها الممثل من زميلته ويضحك لها الجمهور من أعماقه ، وبذلك خفت مرارة الممثلة وأصغت بالموودة الى زميلها ، وبلغ السرور من النظارة داه والاعجاب بالممثلين أقصاه حين علموا أن تمثيل هذا المنظر الدخيل قد قرب بين الخصمين حتى تلاقيا بعد شهر زوجين حبيبين ...

ويقتصر أبو نظارة فى رواية النوادر التى مرت بحياته المسرحية ، ويرى أنها جديرة بكتاب ، ليه قام بتأليفه ، فما أحوج صناعة التمثيل فى مصر إلى سجل لتاريخها القديم ،

وهو تاريخ نجمله ، وإن كنت اليوم قد عرضت نشأته ، وهى نشأة قديمة ، وهى أقدم أوتكاد أن تكون أقدم من نشأة الصحافة الشعبية نفسها ، وحسبنا ما رواه فى هذا الشأن صحفيينا الكبير يعقوب بن صنوع ، فقد ختم حديثه عن تلك النواذر بقصة طريفة ، فيها تصوير لخبث الخبثاء وسذاجة الساذجين .

قال وهو يحدثنا عن متاعبه ، إنه عرض رواية (ليلي) لأول مرة على مسرحه والياترو الوطنى ، وهى مأساة كتبها له صديقه الشيخ محمد عبد الفتاح ، وحضرها الوزراء وكثير من العلماء والشعراء ، وكان فى التمثيلية منظر لطاغية يقتل أولاد سيد القيسلة الأربعة ، وكان فى القاعة حراستها شرطيان حديثا العهد بخدمة البوليس ، فانتهر أحد الخبثاء من المتفرجين تلك الفرصة وقال لهما بصوت خفيض : « أيرضيكما أن تمقرف هذه الجرائم أمامكما ؟ » وما أن سمع الشرطيان الجاهلان هذا الكلام حتى قفزا إلى خشبة المسرح وقبضا على الممثل الذى كان يقوم بدور الطاغية ! « ودوت القاعة بهتة المتفرجين وتصفيقهم » وكانت تلك الحادثة مثار التعليق فى جميع الأوساط ؟ ! ولم تقف الحوادث عند ذلك الحد ، فقد كان هناك بعض النظارة الذين لا يخلو فصل من تعليقاتهم العلنية أثناء التمثيل ، وكانوا يوجهون كثير أمم الأسئلة والإيحاءات إلى الممثلين والممثلات ، كأن يقولوا لأحدهم « سوف نرى إن كنت ستتركه يخطف منك محبوبتك » ؟ ثم يقولون لإحدى الممثلات « كيف تفضلين هذا الأهل المتعجرف على هذا الشاب الغنى الوقور الذى يموت فى حبك » ؟ وكان أبو نظارة يخفض وراء الكواليس ليلقن الممثلين إجاباتهم المناسبة على ملاحظات الجمهور ، وكان الحديث بين ممثلى فرقته وبين النظارة يطول أحيانا ، بل قلما كانت تنتهى تمثيلية له من غير أن يلبي طالب الجمهور ويظهر بنفسه على خشبة المسرح ويقول شيئا مضحكا وجديدا . وقد أوحى هذه المناعب إلى المترجم له بأن يؤلف مسرحية ساخرة ينقد فى أكثرها ممثلى فرقته وموظفى مسرحه ...

تلك قصة المسرح العربى المصرى فى نشأته وهى قصة فيها شيء من السذاجة والبساطة المملوطة ، غير أنها قصة تؤكد أن المسرح فى مصر لم ينشأ إلا بين يدي مصرى ، وأن أحدا من البلاد العربية المجاورة لم يكن له نصيب فى إنشائه ، وهى قصة تؤكد أن هذا المسرح الساذج قد استطاع أن يباشر مهمة تعليمية كانت مصر

تفتقدها بين أدوات التعليم الأخرى ، وهي قصة تؤكد أن صاحب المسرح كان ممثلاً بطبعه ، فأن حياته — كما سنعرفها في مصر والخارج — تمثيلية رائعة مروعة ، وهي قصة تبين أن المسرح قد رفع عن قلب الممثل الكبير غصة كانت حبيسة فيه بما مثل على مسرحه من أدوار تعان بؤس البائسين وتروى حكاية الأحرار المتطلعين ، وتنقد مساخر العصر وتقاليده البالية وتفتح عيني الشعب خاصته وعامته ، وتبصره بما ينبغي عليه من واجبات لإزاء الطغاة الظالمين .

لم يكن عجباً أن ينشأ في مثل تلك الظروف مسرح (أبونظارة) ولم يكن غريباً أن يضيق بمسرحه/ الخديو إسماعيل وتضيق به بطائنه من رجال السوء ، إنما العجيب الغريب حقاً أن يرضى الخديو عن وجود هذا المسرح سنتين كاملتين ...

الأستاذ الأديب

كان إغلاق مسرح يعقوب بن صنوع مفرق الطريق في سياسته إزاء إسماعيل ،
فإن إغلاق المسرح بأمر الخديو أفقد المترجم له النخبة المنتقاة من أنصاره القرييين
من القصر ، ولم يقف اضطهاده عند حد ، فقد أغلقت دونه أبواب الوظائف العامة
وتعقبه المسؤولون في الصحف القليلة التي كانت تصدر إذ ذاك ، وأشهروا عليه حرباً
عواناً حالت بينه وبين الكتابة فيها ؛ غير أن يعقوبا صمد للهجة فلم يتطرق اليأس
إلى قلبه ، واتجه إلى نشاط ثقافي وطني يلائم ذوقه وحسه ، فأسس جمعيتين علميتين
أديبتين ، سميت الأولى (محفل التقدم) وسميت الثانية (محفل محبي العلم) وانتخب
لهما رئيسا ، وهما جمعيتان تعتبران في رأى البعض نواة للحزب الوطني القديم .
وكان أبو نظارة ، وزملاؤه من أعضاء الجمعيتين المبرزين يقومون باللقاء
المحاضرات عن تقدم الآداب والعلوم في أوروبا ، وكان يحضر اجتماعاتهم ومحاضراتهم
المسلمون والنصارى واليهود ، وبذلك خفت حدة العصبية الدينية ، وأنهت الجمعيتان
الفكرة السائدة لدى الأوروبيين من أن المصريين إذا اجتمعوا في ندوة أو اختلفوا
إلى ناد كان التعصب رائدهم وكرهية الأجانب ديدنهم ، فقد كانت شيوخ الأزهر
وأعلام الدين الآخرين يساهمون فيما يلقى من محاضرات وخطب ، وكان المتحدثون
جميعا يدعون للحكمة والإخاء بين الشعوب دون تمييز عنصري أو ديني ، وكانت
الصحف الخلية تحتفل بنشر أخبار الجمعيتين مفصلة ، الأمر الذي مكن لهما في نفوس
الكثيرين حتى أقبل عليها طالبة الأزهر وكبار ضباط الجيش المصري ليغترفوا من
منهلها مبادئ الحرية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة .

ويحدثنا أبو نظارة عن المتاعب التي صادفته في هاتين الجمعيتين ودور الانجليز في
القضاء عليهما فيقول : وكان تاريخ فرنسا وآدابها من الموضوعات الرئيسية لمحاضراتي
بما ضائق الانجليز الذين كانوا يريدون أن أدعو لنفوذهم وأشجعه بين أبناء وطني .
وقد اتفقوا مني . . ونجحوا بوسائلهم الوضيعة وبدسائسهم الرخيصة في أن يلقوا
في روع الخديو إسماعيل أن هاتين الجمعيتين إنما هما مركزان للثورة ؛ فما كان منه إلا

أن منع التلاميذ والطلبة والعلماء من حضور اجتماعاتنا ، واضطرت الجمعيتان إلى إغلاق أبوابهما ، وهكذا كبت إسماعيل المتنفس الثاني لابن صنوع في سنة ١٨٧٤

قضى على المتنفس الأول وهو مسرحه الذي كان يعبر على خشبته عن لواعج نفسه ، وقضى على الجمعيتين المذكورتين اللتين كان يختلف إليهما كثيرون من الساخطين المتبرمين ، وظن إسماعيل أنه قد قضى على كل ناد للاحرار ، وأنه تغلب على المعارضة أفراداً وجماعات ، سواء عن « سوء هضم القهوة » الافراد أو عن طريق إغلاق منتديات العلم والأدب ، وكان خصومه يخرجون من بيوتهم فلا يعودون ، ولا يدرى أحد ما لهم طال الزمن أو قصر . وكان الناس إذا تحدثوا برأى جديد أو نقدوا فكرة من أفكار الحاشية الطائشة نالهم من غضب الخديو الشيء الكثير ، وفي مقدمة مانال معارضى إسماعيل مصادرة أملاكهم . ولم يسلم منهم حتى عمه حلیم الذي صادر أملاكه ونفاه . وجعله بذلك قبلة الأحرار من المصريين .

ولم يمنع الخوف أو الذعر والهلح عامة المصريين من التحدث عن الفساد الذي استشرى في البلاد ، فكانوا يتسقطون الأخبار السياسية والاقتصادية من الأجانب المقيمين أو الوافدين . ويقبل بعضهم على قراءة تلك الأخبار في صحف الفرنجة أو برقيات وكالات الأنباء . وقد أصدر إسماعيل — لعلاج ذلك الموقف — أمراً بمنع طبع البرقيات التي تأتي من أوروبا وترجم إلى اللغة العربية ، ولمنع ذلك كله فإن جماعة من الأحرار قد أخذوا على عاتقهم إعداد ما تضمنته البرقيات وغيرها من مقالات الصحف الأجنبية الوافدة وترجمتها إلى العربية ونسخها ثم توزيعها على أوسع مدى مستطاع ، هذا إلى أن أنصار الحزب الوطني من الرعيل الأول عاودوا الاجتماعات سرّاً لتدارس الموقف وبث الدعايات المختلفة ضد الخديو وبطانته .

مضى أبو نظارة مساهماً في ذلك كله ، عائلاً لأمه وشقيقته ، محتلاً مصاعب الحياة واضطهاد المسؤولين ، لا ينى عن الخطابة والكتابة كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً حتى هاجت أفعاله وأقواله غضب إسماعيل فقال : « إن هذا الموليير المعتوه بخطبه وأشعاره يفتح أعين رعاياي أكثر مما يجب ، وإن لم أقض عليه فلن أستطيع الحكم ولن يطيعني أحد » .

ويبدو أن حدة الخلاف بين يعقوب بن صنوع والخديو إسماعيل خفت قليلاً

في سنة ١٨٧٥ أى بعد غلق الجمعيتين الأدبيتين العلميتين بسنة واحدة ، وكانت هناك قلة في الحاشية ترجو أن تستقيم الأمور للقصر ، ولا يتماذى الأمير في خصوماته لأهل الرأي وزعماء الفكر في مصر ، وكان على رأس تلك القلة أديب أريب هو أحد خيرى باشا ، مكتوبجى الحضرة الخديوية الفخيمة ، وهو من الرجال الممتازين المحيطين بـ « بولى النعم » اسماعيل ، وتربطه بكثير من الأحرار صلات مصدرها الإعجاب المتبادل بالأراء الجديدة التى شغلت البلاد فى ذلك الوقت ، وقد عرفه الناس منذ أشرف على تحرير الوقائع المصرية فى سنة ١٨٦٥ فقد كان توجيه لها دليلاً مادياً على تفوق الرجل واعتدال مزاجه وبعد نظره فى جليل الأمور . (١)



مدام لولى صنوع فى شبابه

استطاع خيرى باشا - وكان فى تلك السنة كبيراً لامناء إسماعيل - أن يقنع الخديو بأن يعقوباً مواطناً شريف جدير بتقدير الوطن ، وأنه رجع الصدى للنهضة الشاملة التى خلقها حكمه الزاهر ، وأنه قين بثقة ولى الأمر ، وأصغى إسماعيل إلى كبير أمنائه وشرط لعطفه على المترجم له أن يعتدل فى كتاباته وخطبه ، وخاصة تلك الخطب التى كان يلقيها فى المحافل الماسونية العربية التى ساهم يعقوب فى تأسيسها

منذ سنة ١٨٦٥ ، و وعد خيرى أن ينفذ شروط إسماعيل مقابل الرضاء على أبى نظارة وعمل على تحقيق هذا الرجاء بطرق عملية واضحة تقرب يعقوباً إلى المسئولين وتعينه على الحياة ووقع خيرى باشا (المعاهدة) دون علم يعقوب ولم ينكر ابن صنوع أنه رضى ما أنهى إليه أمر الوثيقة الشفوية بين الخديو وصديقه الحميم ، ويؤكد ذلك بفقرات مما كتبه عن تاريخه بقوله « ومنذ ذلك اليوم أخذت أقضى سهراتى فى قصر عابدين مقر الخديوية ، فحرفت بجميع وزراء إسماعيل ، وقد كلفنى معظمهم بتعليم أولادهم الفرنسية والإنجليزية . وهكذا عدت ابتداء من ذلك التاريخ إلى ما كنت عليه من قبل ، أى شاعر البلاط ، وكنت أبعث بشعرى فى مناسبات الأفراح وأعياد الميلاد ، وعاد يعقوب بن صنوع إلى ما كان عليه من قبل ، مادحاً للبيت المالك ، مسجلاً مديحه فى أشعار بعث بها فى المناسبات المختلفة ، غير أنه كان فى هذه العودة دارساً باحثاً يتسقط الحوادث والأخبار ويستوضح مغالطات السياسة التى أنتهجها إسماعيل لشئون الداخل والخارج ، منتوياً الشرحين يحين وقته ، فكانت معاهدته التى أقرها بالنيابة عنه خيرى باشا معاهدة على دغل ، ويروى أبو نظارة نواياه فى قوله « فقد كنت أشاهد عن كثب جميع جرائم إسماعيل ، وإن عشت فلسوف أنشر أفعاله الوحشية التى سترتعد لها فرائص العالم أجمع . »

ومضى يعقوب بن صنوع قريباً من القصر وعيونه ، يدرس كل ما يدور حوله من خفايا حتى وجد انحراف الخديو انحرافاً ظاهراً ، فقد تأكد منذ سنة ١٨٧٧ أن إسماعيل كان يلتقى فى روع الشعب عن طريق عملائه فى الصحف وأعوانه فى الريف أن الضرائب المجحفة التى كان يفرضها على الفلاحين ، إنما كان يضطر إليها ليمكن من أن يسدد المبالغ الضخمة للأوروبيين ، وهى المبالغ التى كان يحكم عليه بدفعها إثر محاكمات ظالمة ؛ وكان أبو نظارة — كما رأينا فى تاريخه الطويل — يؤثر ود الأجانب ويرجو ألا تسوء العلاقة بينهم وبين مواطنيه .

ولا أريد أن أحكم على (أبو نظارة) حكماً جائراً فى نظره إلى هذا الأمر ، فأعيب ميوله نحو التخفيف من ضيق الشعب بالأوروبيين ، فقد يكون الرجل مؤمناً بأن هذا الضيق لن يؤتى ثمرة يرجى من ورائها خير لوطنه ، كذلك لا أعيب عليه أبداً تبرمه بسياسة الخديو المالية ، فقد كانت سياسة جديرة بالحملة عليها وتبصير



الشعب بسوء المصير فيها ،
وهكذا مضى الكاتب معلنا
تبرمه بإسماعيل وثورته
عليه ثورة كانت عدتها مقالات
نشرت له لم نعر عليها ولم يشر هو
إلى مكانها بين صحف الجيل ، وإنما
يؤكد المترجم له أنه هاجم ولي الأمر
بجملة كتابية كلامية واسعة النطاق
« لأنه كان يبتز أموال رعيته
فقط بل لأنه كان يندر في قلوبهم
كراهية الأوروبيين ، فيبحث في
صدورهم نار التعصب التي كدت
أنا وأصدقاؤ أعضاء الحزب الوطني
أن نطفى جذوتها . »

من صور يعقوب في أوائل عهده بباريس

ويذكر أبو نظارة أنه استرسل في خصومته لإسماعيل فذهب إلى المحافل يخطب
ناقدًا لسياسته الحالية وإسرافه في فرض الضرائب ، ويحكي أنه اختلف إلى معظم
صحف العصر فنشر مقالات كثيرة في هذا الموضوع ، وحذر مواطنيه إذا خطب أو
كتب من فكرة التعصب التي كان يوحى بها الخديو عن طريق عملائه وأدواته الرسمية
في المدن والريف ، وترتب على موقف يعقوب هذا أن خسر عطف إسماعيل مرة
أخرى ، حتى إن أبواب المحافل والصحف أغلقت دونه ، وهددت بالعصف والتعطيل
إن أعطت فرصة للكاتب الناقد بالخطابة أو التحرير .

ويروى لنا أبو نظارة أن إسماعيل انتقم منه انتقاما مادياً في الظروف العصيبة
التي كان يمر بها المترجم له ، فقد كلفه في سنة ١٨٧٤ بالسفر إلى أوروبا ، وقام بالرحلة
تلبية لأمره ، ولم يفصح الكاتب عن الأسباب التي دفعت إلى هذا التكليف ، ولا

القصد منه ، وإنما يذكر أنه أدى المهمة على خير ما تؤدي المهمات الشبه رسمية ، وأنه حين عاد إلى مصر عكف على كتابة تقرير مفصل متضمناً أشياء كثيرة لم يشر إليها أبو نظارة وهو يروى تاريخه ، ويبدو أن إسماعيل احتفظ بصورة التقرير عدة سنوات ، فإذا غضب على صاحبه أبي عليه نشره في الصحف بل هدد الصحف بالإغلاق إن حاولت ذلك ، ولم يقف الأمر عند منع نشر التقرير بل إن الخديو أعدم المخطوط بحجة أنه تقرير توري ورفض أن يدفع تكاليف الرحلة وهي ثمانية آلاف فرنك... كان يعقوب يجتاز في تلك الفترة أزمة مالية حادة ، وزاد من أزمته أن رفض الخديو دفع تكاليف مهمته ، وغازله أن يرى إسماعيل يبسط يده كل البسط لكثيرين من الصحفيين المصريين والأجانب ويقبضها دونه ، وكانت تلك الأزمة من العوامل التي دفعت بالمرجم له إلى شن الحملة على الأمير بعنف ودون هوادة ، والتمس لها ألف سبيل لينتقم لنفسه ، وينتقم أيضاً - كما يقول - للشعب الذي راضه إسماعيل على الذل وأخذ يضطهده بفرض الضرائب متعللاً بمطالب الأجانب وأحكام محاكمهم لم يقف نشاط يعقوب لحظة في الحملة على إسماعيل ، بل قام هو مقام الصحف برواية كثير من فضائحه في المجتمعات المتباينة التي كان يختلف إليها ، وأحسن خطر تلك الحملة شريف باشا وكان ناظراً لخارجية الخديو ومن يرون في يعقوب بن صنوع



أحمد خيرى باشا

الرأى الحسن ، وعلم الباشا أن الحملة التي يقوم بها المترجم له قد تركت أثراً كبيراً في نفوس عامة الناس وخاصتهم ، فقد كان يعقوب معروفاً للشعب جميعاً ، وهو راوية يحسن الحديث في ندوة العلماء كما يحسنه في قهوات أبناء البلد ، فأشار شريف على الخديو بأن يصحح الوضع ويلتمس لهذا التصحيح وسيلة ترضى ابن صنوع فأجابه الخديو قائلاً : إن لم يسكت هذا المغرور فأنى سأعرف كيف أسكته ، وإن ضايقتني أكثر مما ينبغي فأنى سأمتحه بين أصابعي كما يسحق البرغوث ، ! وقد نقل لنا هذه

الرواية أبو نظارة في تاريخه ، وسجلها حين قصها عليه شريف باشا قبل أن يقضى بفترة قليلة .

ولما وجد أبو نظاره أن الصحف المصرية قد أوصدت أبوابها دونه ، قرر أن ينشئ هو الصحف على نفقته ويتولى بنفسه القضايا التي كان يريد أن يتولاها بالعرض والتفصيل في الصحف المصرية ، واستند في الجولة الجديدة إلى القنصلية الإيطالية فنال حمايتها كما كان يصنع كثير من أحرار الصحفيين ، وبدأ نشاطه بإصدار صحيفة هزلية باللغة الفرنسية سماها La Moustique أي (البعوضة) ثم أنشأ صحيفة أخرى باللغة الإيطالية سماها L'occhialino أي (النظارة) ، ثم أسس بعد ذلك صحيفة أصدرها بثانئ لغات هي Le Bavard Egyptien أي (الثرثار المصري) وكانت هذه الصحيفة من أوسع صحف هذا العصر انتشاراً ولقيت رواجاً في جميع الأوساط حتى تنهت لها الحكومة فأصرت على إغلاقها .

وبفأه وجد يعقوب صنوع نفسه من غير قلم أو قرطاس ، واحتبست في صدره الأفكار والآراء ، وعز عليه أن يعبر عن أغراضه بأية وسيلة من الوسائل ، فرأى أصدقاءه القرييون من القصر ، أو الذين لهم حظوة فيه أن ينصحوا له بأن يخفف من حدة هذه الخصومة ، بل طالبوه بأن يغير سياسته إزاء الخديو حتى يستطيع أن يعيش في فلك الأمير كما يجري غيره من كبار الناس ، واستمع أبو نظارة إلى نصيحهم « واعتكف شهرين مظهرأ ندمه لولى النعم » على ما بدر منه ، وكان ذلك وسيلة الوحيدة لرضاء إسماعيل ، هذا الرضاء الذي أذن له أن يعيش ، وأن تفسح له الدنيا مكانها ، وأن يحتل في تاريخ الصحافة المصريه أعز مكان ، وأن يكون علماً من أعلام النخبة المنتقاة من المصريين ، وأن يكون خصم البيت المالك إذا أخطأ وصديقه إذا أصاب وأن يحيا لكفاح الاستعمار الإنجليزي في مصر والسودان ، وأن يعلن عن مصر بأحسن ما يعلن المواطن الحر الشريف عن بلاده .

هذا الرضاء قد أذن له بأن يصدر مجلة (أبو نظارة) ليحيا فيها أبو نظارة ما بقي الكون وبقي في الكون إنسان .

مجلة أبو نظارة في مصر

صدر العدد الأول من مجلة أبو نظارة في ٢١ ربيع أول سنة ١٢٩٥ هـ بمدينة القاهرة، وكان إسمها (أبو نظارة زرقاء) وتحت العنوان كتبت عبارة (جريدة مسليات ومضحكات) وليس في العالم كله فيما نعلم مكتبة عامة أو خاصة تحتفظ بالعدد الأول من (أبو نظارة زرقاء) ، ولا بالأعداد التالية التي صدرت في مصر وعددها خمسة عشر عددا ، وقد حصلت على هذه الأعداد في مخطوط كتبه يعقوب بن صنوع صورة مطابقة كل المطابقة لما صدرت به تلك الأعداد في عهد اسماعيل ولكنها حُرقت تحريقا ولم يحتفظ أحد بأي عدد منها .

ويشير يعقوب صنوع إلى الظروف التي أوحى باسم مجلته (١) فيذكر أنه اجتمع طويلا بالسيد جمال الدين الأفغاني والأسناد الإمام الشيخ محمد عبده لاختيار الاسم المناسب، وبالرغم من هذا الاجتماع الطويل فإنه تركبت الأفغاني صفرا من أي اسم فأحاط به المكارية، وكان كل واحد منهم يريد أن يختار حمارة ويقول دة يا أبو نظارة، وهكذا وجد اسم الصحيفة... وقد أعجب بهذا الاسم كثيرون من أصدقائه يعقوب، فهو يتم عن معنى عميق، فإن أبا نظارة تومى إلى أنه رجل يرى من بعيد، وفي ذلك ما يعنى أنه رجل ملهم لا تفوته فائنة .

وقد أساء على ما كان يتبعه الصحفيون في ذلك العهد، قدم يعقوب لصحيفته بافتتاحية تضمنت برسايتها وغايتها، رأينا — ليعجز الباحثين عن الحصول على العدد الأول — أن نسجلها هنا بخدايرها فقد يرون في فقراتها وبين سطورها ما يفيدهم إذا رجعوا إليها في تحقيق شيء ما، وقد استغرقت تلك المقدمة ثلاث صفحات من خمس تضمنت العدد الأول من الكناشة التي احتوت على أعداد المجلة في مصر. قال أبو نظارة في افتتاحيته .

« إن بما يسر به المحب لهذه الديار المصرية وتكمد به نفوس أعدائها ما صار إليه

(١) لمراجعة هذا التاريخ أنظر ما كتبه في صحيفته في ورنه صفراء قبل بدء سنة ١٨٨٦ مباشرة من أبو نظارة ثم العدد الثاني من أبو نظارة سنة ١٨٨٢ من ٢ : ٣ ثم مقال من الخارج عدد ٥ من أبو نظارة سنة ١٨٩٦ وكذلك العدد الخامس عشر من أبو نظارة زرقاء الصادر في أول يوليو سنة ١٨٧٩ .

أمرها في هذه الأيام من الترقى في التقدم كما يعلم ذلك من يطلع على أفكار أهاليها وأعمالهم بعين التبصر والتأمل فإننا نرى عندما ننزه أبصارنا في أرجائها وأسواقها أن كل واحد منهم عاكف على عمل من الأعمال الشريفة والصنائع المهمة بغاية المهمة والاجتهاد وليس فيهم شائبة الفتور والكسل والميل إلى البطالة . وذلك من أدل دلائل على صلاحهم وفلاحهم حيث أنهم قد انتبهوا إلى ما هو الوسيلة العظمى إلى ثروتهم وغناهم وإذا خاطبهم العارف وخاطبهم يرى أن جميعهم أرباب الأفكار الجميلة متقلب في العلوم والآداب وخبير بأحوال العالم وما هو عليه من تقلب أحوال السياسات وما يلزم لكل إنسان بالنظر إلى شخصه في ذاته وبالنظر إليه في دملته ووطنه وغير ذلك مما هو يشير لنا بقدم سعادتهم ويرى أنه قد وقع فيما بينهم الاتئناس بغيرهم من الأمم والملل فلا يستنكرون صورة ولا يستغفلون هيئة ولا يتوحشون ديانة حتى أضحووا يعدون الإنسان إسم جامع لجميع أفراد الكل فيه اخوان يسعى بعضهم لنفع بعض فيجب كل واحد منهم لأخيه ما يحبه لنفسه ؛ وصاروا كأعضاء مختلفة لبدن واحد من سعى لإصلاح ذلك البدن . ولا ريب في أن هذا دائما هو من نور البصيرة والاستضاءة بأنوار المعارف التي قد نالوها في عهد خديوهم المعظم ، فإنه فضلا عن كونه قد فتح لهم مدارس ومكاتب في جميع الفنون التي توجب إيقاد نور الاستبصار في مشكاة الأنوار ، قد تفضل بأن أذن بإنشاء مجلة جرائد في العربية وغيرها حتى إن من لم يستطع أن يفنى زمنا أو يصرف درهما أو يقطع مسافة طويلة لنيل العلوم والآداب إلى باب منزله (كذا (١) فأضحى الكل سميعا بصيرا وبالحقائق خبيرا ، وحقيق أن يكون لهم ذلك فإن من نزه بصيرته في روضتي المدارس والأخبار (٢) ونظر إلى ما شتملنا عليه من الفنون والآداب التي تغذى العقل وترى النفس فلا محالة يرجع القاصد إليهما وقد اقتطف من أزهارهما ، ونال ما نال من ثمراتهما . ومن تأمل في مباني الأهرام (٣) ومعانيها التي تسابق إلى الأفهام وقف على حقيقة الواقع

(١) يقصد أن العلوم والمعارف تختلف إلى بيته عن طريق الصحف دون عناء

(٢) روضة المدارس صحيفة رسمية للمعلمين والتلاميذ أصدرها اسماعيل والثانية صاحبها محمد أنسى الفندي وصدرت في عهد اسماعيل أيضا للآداب والفنون وكان الخديو يعينها بمسحاء

(٣) يقصد جريدة الأهرام التي صدرت في أغسطس سنة ١٨٧٦

في الأخبار الدولية والمخابرات السياسية، وأقر عقله بما ينشر فيها من المقالات الأدبية والجل العلية، ولا يذهب عليك ما في باقي الجرائد من الفوائد، فلا جرم أضحى الناس متبصرين، وبما أتاهم الله من فضله مبتهجين، إلا أنه كما كان اسكل ما نده فأكهة تخفف ثقل الأغذية، كذلك لا بد لموائد العقول من فأكهة تخفف عن العقل أتعابه التي قد نالها من إعمال الفكر، فأهل أوطاننا وإن كانوا قد نالوا من العلوم والمعارف ما قد نالوه إلا أنهم قد فقدوا فأكهة تسليمهم عند كلال عقولهم وتعبها من النظر في الأمور وعواقبها، مع اشتغالها على الأخبار الحالية والحوادث الوقتية من داخلية وخارجية، فمن أجل هذا قد رأينا أن ننشر جرائدنا يشتمل على ذكر الوقائع بوجه يزيل عن النفوس بؤسها ويريحها من أتعاب إحساساتها ليسكون ذلك داعياً لتنشيط عقولهم وفك عقائلهم، على أنه ليس الغرض منه مجرد الضحك بل مع الاشتغال على الحكم والمواعظ الحسنة التي تقود الإنسان إلى سعادته، والتواريخ المهمة وأحوال البلدان والدول والملل على وجه لا تمل منه النفوس ولا تسأم فهو جد لبس لباس الهزل، وأسف قد تحلى بحلى الفكاهة والغزل، فإن كون هذه الحقائق على وجه معجب أدخل في النفس وأدعى إلى القبول، فإن الإنسان، في أي حد درجة كان، هو بالنسبة إلى ما فوقها طفل يدعى إليها بما يألوه ويحبه وترتاح نفسه إليه حتى يميل إلى المؤلف فيحصل إلى ذلك الأمر المقصود فيستفيد فائدتين: الفرح الحالي والخير الاستقبالي، كما قال الشاعر الإيطالي المسمى تاسو الذي كتب ديواناً كبيراً في حرب الصليب المشهور، إن الصغير إذا مرض وطلب مداواته فلا يستطيع أن يسقيه الدواء المر إلا إذا طلى حافة الإناء بالعسل الحلو، حتى لا يلاقى في أول مذاقه إلا حلاوة فيندفع إلى شرب الدواء حتى ينال الشفاء، فذلك الطلاء كان غشاً، ويعجباً إن ذلك الغش هو عين النصيحة، ولو أنه أتى له بالدواء في أول وهلة لما أقدم على شربه فيموت بعلة، فهكذا، إن أرباب الأمراض النفسانية أي الغافلين عن بعض خيراتهم إنما يساقون إليها على وجه مريض لديهم مفرح لنفوسهم، فإن ذلك أدعى لقبولهم من أن يلقي إليهم بوجه آخر، خصوصاً الأشخاص الذين لم تتمرن عقولهم على الحبس والصبر على الإيغال في الفكر، بل عدوا أنفسهم في عداد

ابو نظارة زرقاء

(جريدة مسليات ومضحات)

ان مما يسره المحب لهذه الديار المصرية
وتقدمه نفوسه اغدا زرا ما صار اليه امرها
في هذه الايام من الزحف في الثمن كما يصح
من يطوع على افكارها اهلها واعمالهم
والثاني فانا نرى عندنا هذه ابصارنا في
رجائنا وهو ان في واحد منهم عاف
على عمل من الاعمال الشريفة والطائع
المرحة بغاية الرحمة والرحمة وليس فيهم
شائبة القصور والكسل والميل الى الضلال
وذلك من اول دليل على صلاحهم ونزاهتهم
حيث انهم قد انشبهوا الى واحد لو سئله
العظمى الى شربهم وغناهم واذا غلبهم
العارف وخالفهم يريد ان يجمعهم ارباب
الدفتر بحيلة فنقلب في العلل والارباب
وخبر باحوال العالم وما هو عليه من
تقلب احوال السالكات وما ينشأ من
انسان بالنظر الى شخصه في ذاته بالنظر اليه في
لته ورطنته وغير ذلك مما هو يشير لنا بقدر سعادتهم
ويعد الله قد منحهم فيما ينهم الاستناس بينهم من
الرم والمثل فريشترون كجوره ولا يستقلون
عليه ولا ينوحون هانه على الخوايع دون
ديانة

ارنسان اسم جامع لجميع افراده واكمل
اخوان يتسمى بعضهم لثمن بعض فحسب
واحد منهم لثمنه ما يحبه لنفسه و
كاعضاؤه لثمنه لثمن واحد من سعيه
ار صرح ذلك البدن والريب في ان هذه
هو من نور البصيرة والاستضاءة بانوار المعاني
التي قد نالوها في عهد خديويهم المظلم فانا
نضد عن كونه قد فصح لهم قدس وكتاب
جميع الفنون التي توجب ايقاد نور الرتبة
في مشكاة النوار قد فضل بان اذن بان شاء
جملة جرائد من المصرية وغيرها حتى
من لم يشطع ان يقضي زينا لموصف و
او يقطع مسانه طوله لنيل العلو والارباب
باب فتركه فاضحي اكل سميها بكبير رابح
خبر وخفيف ان يقول لهم ذلك فان من
نزه بصيرته في رضى المدرس والخبار
الى ما شغلنا عليهم من الفنون والارباب التي
تفدى العقل وترقى النفس قد محام
يرجع القاصد اليك وقد انطفئ من ازهاره
وانك مائل من خزانة في عمالي ال
ومعاني التي تساق الى الزمان وتقف على

الصفحة الاولى من اول عدد أصدره يعقوب من (أبو نظارة زرقاء) في مصر وهي من خط يده

أرباب الفكاهات والظرف، فهؤلاء لا تنقاد نفوسهم إلا لما هو من قبيل ما يألون
وليس مشروعا هذا بيذعة بل قد سبقنا إليه أهل أوروبا، فإنه من بلاد الإنجليز من
يشارك في (التيمس) الذي هو الجرنال الرسمي للحكومة يشارك في (بنش) الذي
هو جرنال الضحك، وفي فرنسا يشارك في جرنال (رييو بليك) أي الجمهورية
يشارك فيه (شار تفري) أي جرنال الضحك أيضاً، وفي إيطاليا من يشارك في
في جرنال (نيسيونه) أي الأمة يشارك في (فانفولا) وغير ذلك في سائر الممالك
لهم جرنالات الآداب والمعارف بطريق الجدل المعروف عند أرباب الكتب،
وجرنالات الفكاهة المشتهلة على الحكم والمواعظ، وإنه وإن كان في تلك
الممالك جرنالات الفكاهات يتقلدون أحوال حكوماتهم ووزرائهم، حتى إن كافور
الوزير الشهير، الذي قد فعل بتدبيره وسرقته بإيطاليا ما لم تفعله أسلحة غاريبالدي،
كان ينزل بنفسه ويرى ما في الجرنال الذي يسمى (مبرتو قوليتو) أي العفريت
المجنون من الصور والتقاليد التي من جملتها صورته وتقليده، وكان
إذا وجد التقليد محكماً يمدح المصور ويشكره على صنيعه وإذا لم يجده كذلك يقول
له إنك لم تقلدني حقاً فاتقن عملك بعد هذه المرة. ولكننا لا نحتاج إلى مثل هذا في
حكومتنا أيدها الله تعالى، بل لا نتعرض في هذه الفكاهة لا للديانة ولا للسياسة
الوطنية ونقتصر على ما عساه يكون مفرحاً للقلوب ومنتجاً للمطلوب من ذكر
أدبيات وظرائف تتعلق بوطننا هذا وما يقع من أهاليه وما يحسبه الطرفاء منهم
في أي محل سواء كان في بلدنا هذا وفي غيره، فإن لنا مكاتين في الجهات
يكاتبوننا بما يحدث من هذا القبيل، وكذلك في بلدنا هذا من يتكفل بإيراد
ما يحدث وما يحل فيها من الأمور التي تأخذ بالقلوب فرحاً وسروراً وعظة
واعتباراً، وذكر جميع الحكايات والنوادر الأوروبية مترجمة باللغة العربية
الفصيحة المنبثة عن كل ما يحدث في تلك الأقطار ويكتبه أرباب الجرائد والرسائل
من الآداب واللصائف المروحة للنفوس وأحوال سياسة الدول الخارجية وما يقع
فيها من تضارب الأقوال وارتباك الأحوال. وإن شاء الله تعالى نضم لذلك
تصوير بعض ما يلزم تصويره، إذ يكون ذلك أقرب تناولاً للعقول، فإن عندنا
من هو جدير بذلك على إلتقان، إلا أن لوجود الافلاس في مالية هذا الجرنال،

إذ هو في ميدانه فقير لم يمكن المبادرة إلى هذا من أول وهلة وسيكون ذلك إن شاء الله وبالجملة ، فالمرجو من الله تعالى أن يكون هذا الجرنال مفيد لعموم الأهالي وكافلاً بانتباههم إلى خيراتهم ؛ ومؤدياً لهم عن تناول مضراتهم (١) . ونحن لا نبتغي بمثل هذا الجرنال إلا تقدم أبناء وطنه على العموم وليس لنا من غرض سواه ، فالأموال من أرباب الهمة سواء الطربوش والعمه أن يشتركوا معنا في هذا الأثر الجليل السالى شراب السلسيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

هذه هي خطة الصحيفة ورسالتها ، نشرناها بحذافيرها على ما فيها من أسلوب ركيك وعبارة غير سليمة في كثير من المواقع ، بل لعلها أضعف ما كتبه يعقوب أسلوباً وعبارة سواء في مصر أو في أوروبا ، غير أن إهمال نشرها لم يكن جائزاً ونحن نؤرخ لأقدم الصحف الهزلية في الشرق كله ، ونؤرخ لها من مجموعة خطية قد تضعيع على مدى الزمن وتحتفي فيها ذكريات رائعة من تاريخ الصحافة المصرية .

لقد تحدث أبو نظارة كثيراً عن نفسه في هذه الافتتاحية ، وهو ان يتركنا في عدد من أعداد صحفه إلا ويذكر لنا شيئاً من ذكرياته ومشاهداته ، وسيمضي في ذلك نحو ثلاثين عاماً ، فإذا فرغ من ذلك شغلنا بمحاوراته الفكاهية التي جرت بينه وبين « أبو خليل » أو « أبو الشكر » أو « الصدقي » أو غير ذلك من الأسماء ، وأحياناً يحتفي أبو نظارة من هذه المحاورات ويتركها على لسان آخر ، وكثيراً ما وجدناه المستر بول « يحاور مصرياً » كآبي الشكر ، في موضوعات شغلت معظم الخمسة عشر عدداً التي صدرت في مصر .

ثم كان يقدم في تلك الأعداد نصوصاً تمثيلية فيها نقد لحياتنا الاجتماعية ، ونقد لحياتنا السياسية ، وإن كان في عرض هذا النقد الأخير متحرجاً أشد التحرج ، حريصاً أشد الحرص على ألا يسمى للخديو أو بطاتته أو حكومته ، ومن هذه الفصول (القرداني — لعبة تياترية حصلت في أيام الغز سنة ١٢٠٤) (٢) ومن أشخاص هذه « اللعبة التياترية » السنجق ديبوس أغلو ، وسعد ، وبقلأوه أغا ، وشيخ الحارة

ويريد يعقوب أن يصور بهذه المحاورات مدى الظلم والعبث بحياة الأفراد

١ - يقصد بهرا لم بالأضرار .

٢ - العدد الرابع من المخطوط في يوم الأربعاء ١٤ ربيع الثاني ١٢٩٥ هـ ص ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥



الحديث توفيق أو « توقيف » كما يسميه أبو نظارة ...
والجماعات في عهد إسماعيل وإن أرجعها إلى تاريخ سابق قديم ، ويريد أن يعطى صورة عن
الحكومة التي تسيطر على شؤون الناس ، وهذه اللعبة التياترية التي ضربنا بها مثلاً
تصور في منظرها الثاني ديوان السنجق دبوس أو غللو ، وفي حضرته الأشخاص
الآخرون الذين أشرنا إليهم في الفقرة السابقة ؛ إن موضوع القضية يعنى أن
« سعداً » هذا سرق حمار المعاون ليدفع الضريبة ، وأن المعاون نفسه هو الذى حضه
على السرقة ولا حبسه ، وهو يقصد من ذلك تصوير الحياة المصرية بما فيها من مفساد ، مفساد
أدوات الحكومة التي تطالب بالضريبة ولو عن طريق السرقة أو هو - حتى ذلك الحديث -
لم يهاجم رأس الحكومة بل هاجم أدواتها فقط ، ومن الحق علينا أن ننشر هنا الفصل الثانى
كاملاً حتى نعطي صورة طيبة لآلوان هذه المحاورات والتياترية ، وهى محاورات سيطرت على
قلم يعقوب بن صنوع فى معظم صحفه ، وفيها يعبر عن طبعه الغالب على حياته ، حياة
المفتن الذى بدأ مثلاً ، وكان يرجو أن يمضى فى مهنة التثيل ، فإذا أعجزته الظروف

أجرى قلبه في صدفه على طريقته التمثيلية التي تفرد بها ، وعز على آخرين أن يجاروه فيها
نحن في ديوان السنجق دبوس أو غلو

قال السنجق — كولو (١) أنتم باشيك (٢) الحارة ، ماذا حصل في قضية همار (٣)
بقلاوه أغا . لكن كولو اكلاماً دوجرياً (٤) وإلا كطعتو رأسك
قال شيخ الحارة — يا سيد سناجق الدنيا — يا أمير المؤمنين — يا بطل — يا أسد —
يا سيد الشجعان ...

قال سعد — ده السنجق ما يحبش الكلام ده — احكي له الحكاية بكلمتين
والا خلى المعاون يحكي

قال السنجق — إهكي إنت يا فرعون
قال سعد — أنا ما اسميش فرعون وحياتك . أنا اسمي سعد إنما من يوم
ما حكمتو بلادنا أنتم يا غر ، السعد شافنا وهرب

قال السنجق — جلاد جال يا جلاد
قال سعد — الجلاد ده صنعته إيه

قال بقلاوه أغا — اكطعتو رأس بتاع أنت
قال سعد — حلیمتو وشفقتلو (يعني حلمك وشفقتك) يا جندي خيلني أولاً
أحكي لك قصتي وبعد أمر جلادتلو أفندي ينزع رأساتلو من
كتافتلو (يعني من كتفي)

(السنجق يضحك ضحكة رطال) II
طيب يا قرادنجي إهكي كصه بتاع أنتم
(سعد يقول في نفسه) — والله الرطان نفع ، السكمتين التركي رطبوا خاطر
السنجق

قال شيخ الحارة — يا الله يا سعد يا حبيبي — كلم سعادة السنجق

١ — أي قولوا

٢ — أي يا شيخ الحارة

٣ — قصد ماذا حصل في قضية حمار بقلاوه أغا

٤ — يقصد ، غولوا كلاماً دجرياً والا فطعت رأسك

قال سعد — بقي المعاون ده اللي قدامك ياسيدي ، ده ثقيلتلو قوى ورزالتلو
موش زى سعد أفندي خفيفتلو ولطافتلو ، لاده بيراضام جاته
أضامه — قال لى روح اسرق وهات الفردة والا يافلاح وحيات
راس الأمير... (١) . مراده يقول أحبك — بس هو ما يعرفش
عربى . فخرجت أنا مختار فى أمرى ، وأولادى الحمار والفرد
والكلب يبيكوا ورايه وكان شىء يحزن قلب الكافر ياسنجق ،
اسأل شيخ الحارة ، فرفعت عيني لأبى خيمة زرقاء ، وقلت له —
يارب العباد يارحمن يارحيم اشفق على عبدك وخلصه من يد
الظالم ده ، فضربت بعيني وشفت حمارى الصغير يبيوس فى حمار
المعاون الحساوى ، وما كانش لاجنبه لاسايس ولا خدام فركبته
وبرطعت ياجندى على آخر سرعتلو وأولادى ورايا ، فقابلنا ابن
الحلال ، وكلبه منه وكلبه منى بعت له الحمار بخمسة محاييب ،
فرجعت على المعاون حالا وأنا فرحان وناولته واحد منهم
وضربت الأربعة فى شدى

قال السنجق — صحيح بوهكايه

قال شيخ الحارة — وحيات راسك صحيح — بعد ما خرج سعد جاسايس المعاون
يجرى وأخبرنا أن الحمار انسرق فى غيابه ولما رجع سعد ، بدون
ما نسأله أخبرنا بما حصل

قال سعد — المعاون أمرنى بالسرقه فسرقه واعترفت بذنبى ومن قرّر بذنبه
غفر الله له

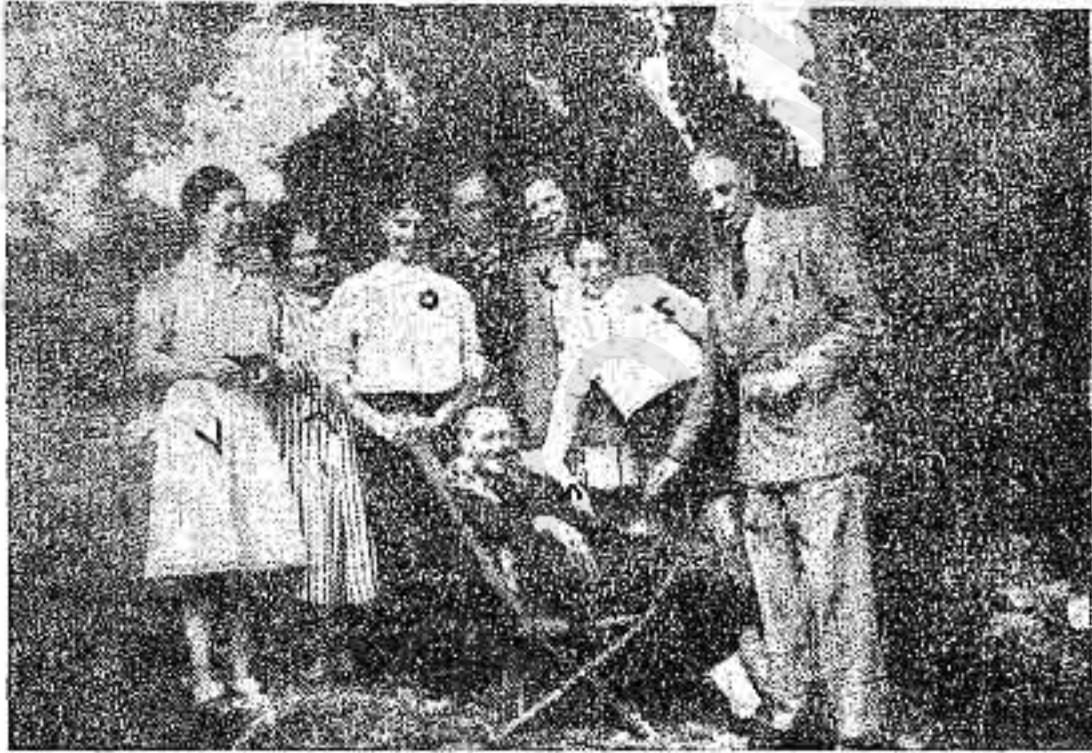
قال السنجق — جلاد جال اقطع راس بقلاوله أغا

قال سعد — واحشها لوزوسكر

قال السنجق — وأنت ياسعد خلى عند أنت الأربعة محبوب ، وخذ كان عشرة
من خزنة بتاع إحنا عليهم

قال شيخ الحارة — أدى الإنصاف والا بلاش — ربنا يطول عمرك يا أميرنا

قال سعد — إيدك على دول ياسنجد لما أطلعها ، واجمعنا على العشرة محاييب
خلينا نروح نفتنظ الليلة ونشد ، وانت يا بقلاوه أغا دود الأرض
رايح يا كل منك بقلاوه وبلوظه - وإخوانك المعاوين لما يسمعوا
بآخرتك يفتحوا أعينهم تمانتاشر ولا يظلموش العالم .
هذه صورة من محاورات (أبو نظارة زرقاء) تعطى فكرة عن الحياة العامة
التي أراد أن يفضحها بطريقة الخاصة ، وتعطى أيضاً فكرة عن حياة المواطنين إذا



أسرة يعقوب بعد أربعين سنة من وفاته

- ١ — جان ميلو زوج لولى صنوع .
- ٢ — سرج ميلو صنوع بن لولى صنوع كريمة يعقوب .
- ٣ — حرم حلى صنوع .
- ٤ — حلى صنوع بن يعقوب .
- ٥ — جيمس ميلو صنوع بن لولى صنوع .
- ٦ — السيد لولى صنوع .
- ٧ — جنيف صنوع كريمة حلى صنوع .
- ٨ — حاة لولى صنوع .

أصابعهم التوفيق المادى ، وحسبنا شرحاً لذلك قول سعدحين تناول المحاييب العشرة من السنجق ، فقد راح (يفتنظ ويشد) أى راح إلى العبث الصارخ ومن بينه تناول الحشيش ، وهو علة المواطنين عمالاً وزراعاً من قديم الزمان .

ثم يمضى يعقوب بعد ذلك فى أعداده التالية حاملاً على الفساد فى (حكم قراقوش - لعبة تياريه حصلت فى قبلى فى أيام الغز سنة ١٢٠١ هـ) وأشخاصها د السنجق ظالم أو غلو وطارطور أغا القواص وأبو نفوسه شيخ البلد ، وهويين لناقوسة الضرائب المفروضة على الفلاحين ، حيث يطلب السنجق من أبى نفوسه شيخ البلد ، العوايد والمال والفردة والإعانة والمكايله والصخرة (١) فيرد أبو نفوسة قائلاً : هو أنتو خلتيو فى البير بكره والاسلبه ، والتور وحيات السنجق بعناه برقع الثمن - بما أجيب من الهوا المحاييب للعوايد والمجايله والدواهى الحره دى كلها اللى خربتنا وجفلت ديارنا وفضحتنا على آخر الزمان (٢) ثم يستمر الحوار على هذا الغرار عدة صفحات تروى مظالم العهد - عهد إسماعيل - وإن كان الكاتب أخفاها تحت حجاب التاريخ القديم . وتطور سياسة الصحيفة رويداً رويداً ، فقد كان يعقوب إلى نهاية العدد الخامس ينقد حاضره بنقد ماضيه ، ويحكى ما يراه على لسان أشخاص مضى على زمانهم أكثر من أربعة أجيال وكان يصب النقد على أدوات الحكومة من موظفيها الأتراك ، وخاصة أولئك الذين كانوا يقومون بتحصيل الضرائب ، ولم يسفر قط فى أعداد الصحيفة الأولى عن خصومته لإسماعيل ، ويناقض ما رأيناه فى مخطوط الأعداد ما ذكره عن نفسه فى رواية تاريخه فى مصر ، فقد قال : وفى العدد الرابع من صحيفتى أخذت أمدح التعليم الذى يبدد نوره ظلمات الجهل حيث يجرمه الطغاة على شعوبهم ليعنوا فى استغلالهم - وفى الأعداد التالية أخذت أبين فضائل الحرية التى هى ينبوع السلام والسعادة والنجاح ، وأحارب التعصب الدينى بسلام الإخاء ، وقد شجعت نجاح صحيفتى المتزايد ، وقد بلغ توزيعها آلاف النسخ فى حين لم تكن أوسع الصحف انتشاراً توزع فى ذلك العهد أكثر من خمسمائة أو ستمائة نسخة ، فكشفت النقاب عن وجهى وهاجمت الخديو إسماعيل بشجاعة ، ذلك الحاكم الذى كان ينهب رعاياه

١ - يبنى الصخرة .

٢ - العدد الخامس الصادر فى يوم الأربعاء ٢١ ربيع الثانى ١٢٩٥ هـ

نفرض الضرائب التي لا أعداد لها ويقصم ظهورهم بالرسوم المجحفة . . . وبينت حينئذ للمصريين أن الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة هم أصدقاؤهم ، وأنهم يريدون أن يروهم سعداء ، وأن الدولة الغربية الوحيدة التي تطمع في مصر هي بريطانيا العظمى التي منذ بداية هذا القرن تنظر إلى بلادنا لأن احتلالها يضمن طريق الهند ، (١)

يذكر أبو نظارة أنه بدأ سياسته تلك منذ العدد الرابع من صحيفته (٢)، ومن يتصفح ذلك العدد يجد أنه قد بالغ فيما سجله عن تاريخه في تلك الفترة ، فالعدد الرابع احتوى على محاورة بين (أبي خليل وأبي نظارة) واللعبة التياترية التي نشرنا طرفاً منها وهي الخاصة بسعد القرداتي ، ثم محاورة بين (الصدقي وأبو نظارة) وليس في هذا كله مدح للتعليم وإن كانت فيه إسماءات إلى ألوان الظلم الذي يغشى حياة المصريين ، ثم بالغ أبو نظارة فرغم أنه كان يوزع منها عدة آلاف بينما يذكر في العدد السادس وهو يتجاوز (أبا خليل) أنه يطبع نحو ألفي عدد فقط قائلاً رداً على سؤال أبي خليل عن حاله : « ماشي زى الحلاوة . ينطبع منه يسجى ألفين نسخة كل ثمره — دى الناس راعبه له قوى ولو أنه حاجه هلس »

ولم تكن أبو نظارة زرقاء شيئاً ، هلساً ، كما يتواضع صاحبها فيذكر ذلك في أكثر من موضع ، بل كانت شيئاً جديداً كل الجدة في حياة المصريين وصحافتهم ، وكانت لساناً يعبر عن عواطفهم ويقص مآسى العهد بطريقة قريبة التناول سريعة الهضم ، وقد أخذت رسالتها تتضح تماماً منذ عددها السادس حيث أعلن المحرر عن ضيق الأمراء بصحيفته ولا أقول الخديو اسماعيل ، وإن كانت المعاني التي نشرها تحمل في طياتها السخرية به ، إستمع إلى المحاورة بين (أبو خليل وأبو نظارة) عن مقام المجلة وخطرها وما تركته في نفوس البعض ، قال أبو خليل : « هلس إيه يامسيدى ، ده عين الجند ، والحكومة لازم تكون مبسوطة منه ، بيورى للأهالى الظلم اللي كان حاصل في أيام الغز والعدل والإنصاف اللي حاصل في عصر ملك مصرنا الحليم

١ - نقلت من تاريخه الذي كتبه بخط يده وتحفظ به إبقته في باريس

٢ - ذكر أبو نظارة ذلك في العدد ٢٤ من أبو نظارة زرقاء في السنة الثالثة من ٣ شهر ١ أنه طبع ١٥ عددًا التي نشرها في مصر على شكل كتاب يث منه إلى القاهرة بخمس عشرة ألف نسخة ولكن توفيق صادرها ولم تعثر على أية نسخة منه في أي مكتبة عامة في أوروبا أو في واشنطن أو في نيويورك .

الشفوق الى يحب الرعايا كأولاده العزاز كما ترى ، فيرد أبو نظارة بقوله : إنما بعض
الأمراء ماهمش فاهمين الأمر ده — ربنا يظهر الحق ،

ومنذ طلع العدد السادس على قرائه ، والصحيفة تعبر تعبيراً سليماً عن الساخطين
البرمين بالحكم وأساليبه ، الناعين على الإنجليز تصرفاتهم وتدخلهم في شئون البلاد
تدخلًا يسىء إلى كرامتها وحريتها وعدالتها واستقلالها ، وهو حين يتحدث عن الظلم
والظلمة فكأنه يرسم صورة منعة للخبديو إسماعيل وحكومته ، ومع ذلك يبعد المظنة
عنه بقوله في آخر كل محاورة : يارب العالمين إحفظ لنا عزيز مصر لكونه يحب عبادك
ويسعى في سعدكم ، (١)

ثم انظر كيف يسجل يعقوب بن صنوع ما كان يجري به الهمس من أن إسماعيل إذا
غضب على صاحب أو صديق دعاه إلى قصره وقدم إليه فنجاناً من القهوة مخلوطاً بالسم
فيخمر صريعاً عند عودته إلى بيته ، ويعز على أسرته أن تعرف أسباب ذلك الموت المفاجئ .
قال أبو الشكر — يا مرحباً بك يا أبو نظارة

قال أبو العنين — تفضل أقعد يا عم وانجلي

قال خسلاط — تريد تشرب إيه

قال أبو الشكر — أبو نظارة قتيل البيرة

قال أبو العنين — لا الراجل يحب القهوة

قال أبو نظارة — لا يا خويا — القهوة ما أحبهاش لأنها مخطره في الأيام دى واللى
يشرب منها فنجان يبرم (٢)

وإذا فقد بدأ أبو نظارة يتجاوز حدوده ، وهى الحدود التى ما كان لصحفى أن
يتجاوزها وإلا تعرض للشر وعرض صحيفته للخطر ، والحديث في مثل موضوع
القهوة ، وهى من الشائعات التى تقرب من الحقائق في عصر إسماعيل ، أمر خطير ،
وخاصة إذا سجل في صحيفة سبارة يأنس إليها العامة قبل الخاصة ، والشائعات حقائق
عند الإنسان العادى إذا طبعت في كتاب أو مقال ، لأن المطبوع له أثره في النفوس
في كل زمان ومكان

١ - العدد السادس الصادر في يوم الأحد ٢٥ ربيع ثاني ١٢٩٥ هـ

٢ - العدد السابع الصادر في يوم الخميس ثمانية ربيع الثاني ١٢٩٥ هـ

لم يكن خطر مجلة (أبو نظارة زرقاء) كامناً في فكاهاتها ومحاوراتها والجديد الذي احتوت عليه أو الغريب الذي لم تشهده صحافة مصر والشرق العربي ، بل كان خطرها في أسلوبها ، ولا أعنى الأسلوب العامي وإن كان هو الأسلوب الغالب على صفحاتها جميعاً ، بل أسلوبها الذي تضمن عدة لغات ولهجات ، فأنت تقرأ فيها لغة عربية سليمة أو عامية لطيفة ، كما تقرأ لغة تركية في بعض ألفاظ وجمل يعرفها المعاصرون وتقرأ أحياناً اللهجة الشامية وحوارها الممتع ، كما تجد أحياناً أخرى عبارات فرنجية تعبر عن مقتضى الحال تعبيراً صادقاً ؛ فهي من حيث وسائل التأثير متعددة الجوانب في تلك اللغات واللهجات التي يستطيع أن يقرأها المصريون والعرب والترك ، هذا إلى أن المحرر تمكن من عرض النكتة أو الملاحظة وجعل في خدمته العبارة العامية أو العربية أو الشامية ، إلى آخر ما كان يقدمه لنا من نكات مأثورة عن الفرنجة أو العرب .

ويجمل القول إن يعقوب بن صنوع قد بدأ ينزل إلى ميدان السياسة سافراً بعد عدة أعداد من مجلته ، ولم يتورع عن مهاجمة الموظفين الفرنجة والأتراك ، بل لم يتورع عن مهاجمة الوزراء والأمراء والخديو بأسلوب ساخر فيه التواء ، فأيناه يحدثنا في عنف وشدة عن قضية كاستلي ، التي لولا هو من تحت وربنا من فوق ما كنت فلتحت في جريدتي ، وكاستلي هذا — كما يحدثنا تاريخ الصحافة المصرية — صحفي أجنبي صاحب مطبعة كانت في خدمة أكثر من جريدة ومجلة ، ولقي في عهد إسماعيل شيئاً من الاضطهاد الملحوظ ، مع أنه يكاد يكون مواطناً مصرياً إذ أمضى في مصر نحو خمسين عاماً في هذا الميدان ، وفي هذه الفقرة التي جاء فيها ذكر كاستلي حمل أبو نظارة حملة شعواء على الحكومة بمناسبة النظر في الدين ومشاكله وموقف الديانة ، من حاجات البلاد (١) حتى قيل إن الصحيفة قد أمرت بقفلها ، كما يجمل المحرر ذلك عقب الاشاعة التي انطلقت بهذا في كل مكان (٢)

وقد مضى يعقوب في نقد الحياة السياسية وخاصة في محاوراته المختلفة ، ولم يتعرض في أعداد الصحيفة للخديو إلا بالثناء في غير موجب للثناء ، كما أنه يسخره بولي

(١) العدد السابع الصادر يوم الخميس غاية ربيع الثاني ١٢٩٥ هـ .

(٢) العدد الثامن الصادر في يوم الأحد ٣ جماد أول ١٢٩٥ هـ .

النعم، لأنه كان يعتمد ذكره بالدعاء والتكريم في مواقف لا يمكن أن تصلح لتكريمه أو الدعاء له ! غير أنه بدأ يهاجمه تحت اسم محجب هو شيخ الحارة، يمثل في شخصيته الظلم والجور، ويقول فيه على لسان (الخلق) كلاماً يدعو للثورة عليه ووساكتين عليه. اشتكوه وقدموا فيه عرضاً حالات لشيخ التمن اللى هو أكبر منه ويقدر يعزله : (١) وشيخ (التمن) هنا هو الخليفة كما حدثتنا صحف يعقوب حين تحررت من الخوف والفرع وصدرت في باريس من غير رقيب .

وهكذا وضحت سياسة (أبو نظارة زرقاء) عند الحكومة المصرية ، فقد أصبح الأشخاص فيها - وإن كانت أسماؤهم محجبة - واضحة للمسئولين ، فشيخ الحارة هو الخديو ، وأبو الغلب هو الفلاح المصرى ، وكريم حلیم ، يقصد بها الأمير حلیم عم الخديو والسيد الحبيب القريب إلى قلب يعقوب وسائر المصريين ، وهكذا أطلق الأسماء والألقاب التى تخفى تحتها كثيراً من المعانى المفزعة لحكومة مطلقة السلطان فضلاً عن تعرض الكاتب للسياسة الإنجليزية فى مصر تعرضاً جعل العلاقات المصرية الإنجليزية فى خطر ، وجاء العدد الأخيرينى ، عن موقف الصحيفة وصاحبها نقد أحسن أبو نظارة بقسوة الحكومة واضطهادها له ، حتى إنه سجل هذا المعنى فى رده على (أبو خليل) حين ماله عن صحة ما أشيع عن سفره للخارج فقال له : « أعمل إيه هنا . بس أسمع كلام بارد يغم القلب أدبى ضحككت لإخوانى بخمستا شر نمرة وشسمى أنهم ما ينسونيش لكونى محب لهم وأفديهم بالروح »

وهكذا عبر يعقوب بن صنوع عن واقع حاله فى تلك السكيات القصار التى ذكرها فى العدد الخامس عشر ، وهى كلمات فيها من الصدق الشيء الكثير ، فقد كانت مجلته صوتاً رقيقاً حيناً وصوتاً مدوياً حيناً آخر ، كانت صوتاً رقيقاً بما احتوت عليه من نكات وفكاهات وصور باسمه وأزجال لطيفة وبيان للحياة الاجتماعية بمباهجها ومفاتها ، وكانت صوتاً مدوياً بما اشتملت عليه من رواية الحقائق السياسية المرة وعرض لمساوىء الحكم ومظالم الأمراء والموظفين ، وتبصير للوطنين بحقوقهم ، وتشجيعهم على الجأر بالشكوى إن لم يستطيعوا الثورة على الظالمين . . .

إغلاق الصحيفة ونفي صنوع

لم ترض حكومة إسماعيل عن المعاني التي تميزت بها أعداد صحيفة يعقوب الأخيرة ، وهي الأعداد التي سفر فيها وأعلن رأيه بوضوح وجلالة ، وهو رأى جزع له الخديو وبطاته ، وخافه المسئولون في حكومته ، فقررُوا إغلاق الصحيفة والتخلص من صاحبها بنفيه خارج البلاد .

ولكن ... كيف صرعت أبو نظارة ؟ وكيف نفي الكاتب الكبير ؟
لهذه الواقعة أكثر من وجه ، فالذى يقصه علينا التاريخ ، يبين أن يعقوب بن صنوع كان محتما بقنصلية إيطاليا ، وهو من تلاميذ المدرسة الإيطالية حيث تلقى في بعثته إليها دروسه الأولى في الفنون والموسيقى ، وكان محتما بتلك القنصلية ليستطيع إصدار صحيفته والتفيس عن لواعج نفسه بما يكتب فيها من مقالات ومحاورات دون أن تعصف به سلطة من السلطات المصرية كما عصفت من قبل ومن بعد بكثير من أعلام الصحافة الأحرار الذين أبوا أن يحتموا بقنصلية من القنصليات ، ولم يكن أبو نظارة وحده الذى طرق باب هذه الحماية بل طارق هذا الباب غيره من زملائه الوطنيين ، ومن بينهم جماعة من المتطرفين ، احتموا بقنصليات فرنسا وإيطاليا وأوروسيا وإنجلترا (١) وغيرها ، يستوى في ذلك المصريون أو المتمصرون من أبناء الشام الذين وفدوا على البلاد واتخذوا من الصحافة حرفة لهم وصناعة .

وقد قيل إن الخديو تدخل عند قنصل إيطاليا وانتزع منه الموافقة على إغلاق الصحيفة وطرد صاحبها من مصر (٢) ويقول بول دو بيزير P. De Baignieres ومن جرى في فلكه من الكتاب الفرنجة الذين كتبوا عن المترجم له ، إن (أبو نظارة) نصح له أصدقاؤه القرييون من السلطان بالسفر من مصر ، كما نصحوه بأن يحتس من تناول القهوة الخديوية ! فأجاب بخنديه قائلا بكل هدوء : لو انتظرت حتى أتذوق

١ - تطور الصحافة المصرية المؤلف - الطبعة الثالثة - الفصل الخاص بالصعانة المعربة في الخارج وكتاب الأهرام للمؤلف وفيه بيان عن احتفاء آل نفلا بالقنصليات الفرنسية والروسية
٢ - أعلام الصحافة المصرية للمؤلف - الطبعة الثانية - الفصل الخاص بيعقوب بن صنوع

القهوة الخديوية لسبق السيف العزل . . . فيجب إذن أن أغادر البلاد (١) ، وهذه رواية تخالف ما حكاه التاريخ وإن أشارت إلى الضيق الذي كان فيه كاتبنا، وبينت الخطر المحقق به ، وأوضحت أن لصحفيينا أصدقاء كانوا حريصين على حياته يدخرونه لمستقبل الأيام .

وليعقوب في تاريخه الذي كتبه بنفسه حديث آخر ، يصور اضطراب الحاكم والمحكوم ، اضطراب الحاكم من رأى الحر والفكرة الجديدة ، واضطراب المحكوم من وسائل القضاء على ذلك الرأى وتلك الفكرة ، فقد عمد إسماعيل إلى قتل خصومه بثتى الطرق ، وفي ذلك يحكى يعقوب شيئاً يشبه القصص فيقول : « . . . وكان أن لفت قنصل إنجلترا نظر الخديو إسماعيل رحمه الله إلى تلك المقالات المشبعة بروح الود نحو فرنسا والتي تنبض بكراهية بريطانيا ، وأقنعه بالتخلص منى بأية طريقة من الطرق وامثل إسماعيل لنصح ممثل إنجلترا الخائنة »

ثم يبين المترجم له كيف امثل إسماعيل لهذا الممثل الدبلوماسى ، وأنه كان امثالاً على طريقة الخديو التي اتبعها في التخلص من خصومه ، فقد كان النصح يتجاوب مع شعور الأمير ويتلامم مع طبيعته ، أما الطريقة فقد اختص بها إسماعيل بين أقرانه ، ويذكر أبو نظارة وسيلة الخديو وطريقته بقوله : « وبينما كنت أتنزه في شبراخية مساء أحد أيام مايو سنة ١٨٧٨ خارج مدينة القاهرة بصحبة عجوز فرنسى اسمه الكايتين جيرار ، انقض على أحد زبانية الخديو وطعننى بسكين . فسقطت على الأرض بينما جرى الكايتين جيرار خلف الطاعن وهو ينادى رجال الشرطة ليقبضوا عليه ، بيد أن رجال الشرطة تركوه يهرب حسب التعليمات ، ولحسن الحظ أصاب السكين الجزء الفولاذى من حزامى ولم أصب إلا بخدش نزف منه الدم » .

ويؤكد يعقوب هذه الحقائق بقوله بعد ذلك : « ولما فشلت تلك المحاولة تلتها أخرى ، فبينما كنت أقرع باب منزلى حوالى منتصف الليل دوى صوت طلق نارى ومرت الرصاصة على بعد سنتيمتر واحد من رأسى . إن الثقب الكبير الذى تركته فى الباب مازال موجوداً . وكان الجمهور حسب المعتقدات الشرقية ، يقول إنى أحل حجاباً يحمينى من الأسلحة » وهكذا فشلت محاولة قتل المترجم له للمرة الثانية ،

ورأى اسماعيل أن يسلك طريقاً أخرى ، ويعالج الأمر علاجاً يختلف عن الرسالة الأولى قبل أن يأمر بإلغاء صحيفة (أبو نظارة زرقاء) وهي الصحيفة التي سببت كما يقول يعقوب « عدة قن في الصعيد ضد مبعوثيه الذين كانوا يدفعون السكان قهراً إلى بيع مواشيهم وأراضيهم ليسددوا المبالغ المطالبين بدفعها ظلماً » فأرسل في الليلة السابقة على إلغاء الصحيفة كبير أمنائه خيرى باشا ، وقد خف إلى ابن صنوع في ساعة متأخرة من الليل متخفياً وكان يعقوب نائماً فأيقظوه للقاء رسول الأمير .

ومضى يعقوب بن صنوع في رواية تاريخه الذي سجله بنفسه في أواخر القرن الماضي ، مبيناً لنا الطريقة الأخرى التي اتبعها اسماعيل للقضاء على الصحفي الكبير « وقال لي ضيفي الكريم : لقد جئت لأراك ياموليير — وكانوا ينادوني هكذا في ذلك الوقت — وإن ذكرت لي أسماء الوزراء الذين أعطوك الأسرار التي نشرتها في العدد الأخير من صحيفتك ، أعطتك بيدي أربعة آلاف جنيه . أنت تعلم أي خير صديق لك ، ولن يعرف أحد ما حدث بيننا ، ويستمر صدور صحيفتك ، أما إن تماديت في عنادك ، فإن الخديو بواسطة بوليسه السري الذكي موجد المذنبين ، وانتقاماً منك فإن سموه سيقول إنك أنت الذي وشيت بهم فيذلك دون فائدة »

وساء يعقوباً هذا العرض الصغير من الرجل الخطير الذي له في نفسه مكانة الاعتبار والتقدير ، فقمت حينئذ دون أن أفوه بكلمة وأوصلت خيرى باشا إلى الباب وقلت له وأنا أودعه : قل لإسماعيل إن كان هو خائناً فأنا لست كذلك ، وإن كنوز العالم كلها لا تساوي ظل شرفي » ويروي أبو نظارة أن صديقه الحبيب إلى قلبه خيرى باشا تأثر أشد التأثر فدمعت عيناه وضمه إلى صدره ثم قبله وقال ، الحمد لله سيد الكون الذي وضع في طريق رجل شريفاً ومواطناً صالحاً مثلك . أرجو أن يحذو أبناء مصر حذوك فيجعلوا الطاغية الذي يظلمهم يرتجف أمامهم » ثم اختفى خيرى باشا في سرعة ملحوظة دون أن يترك فرصة للمترجم له ليبر عن الأمر الطيب الذي تركه كلمات الباشا في نفسه .

وغضب اسماعيل غضباً شديداً لأنفة واحد من رعاياه ، فأمر بإلقاء القبض على بائعي (أبو نظارة زرقاء) ثم أشيع في العاصمة أن محرر الصحيفة وجد صريعاً في سريرته ... ومضى أبو نظارة في حكاية قصته قائلاً : ويدو لي أن الخديو أمر

خيرى باشا أن يحضر إلى مع أحد زبائنه ليقبضه في حالة رفضه خيانة من وثقوا به .
وأعتقد أن خيرى قال لسيده العظيم أنه وجدني محاطاً بعدد من الأصدقاء . وقد
اضطرب الشعب لخبر موتى ، وخشى إسماعيل العاقبة فأمر بظهورى في المدينة
لتهدئة الجماهير .



يعقوب بالطربوش في القسطنطينية

وكان للإشاعة التى أطلقت عن
مقتل أبى نظارة في سريره أثرها
الخطير في نفوس العامة والخاصة
على السواء ، فقد كانت سمعة
إسماعيل كفاتل وظالم ونهاب
تطبق الآفاق ، وكانت كل إشاعة عنه
تلقى من يصدقها بين الناس وإن كانت
مكذوبة جملة وتفصيلاً ، غير أن
هذه السمعة أثارت حفيظة الكثيرين ،
وفي ذلك يقول يعقوب : وبعد
ذلك بيضعة أيام طلب إلى عدد كبير
من الضباط وهم من تلاميذى القدماء ،
أن أسير على رأسهم وأن أهاجم
قصر عابدين لإيقاد مصر من خديوها

القاتل . فقلت لهم إنكم بذلك تخدمون انجلترا ولها قطعان حريتان في زيارة نهر
الإسكندرية ولن تلبث أن تأمر جنودها بالنزول إلى البر . ويندر أن يترك الإنجليز
البلد الذى يحتلونه ، بدعوة إعادة النظام إلى ربوعه .

وبين لنا أبو نظارة تفاعيل ما فعله الخديو إسماعيل لطرده من مصر ، والأسباب
التي من أجلها لم يتمكن من قتله جهاراً وفي وضوح النهار فيقول : ولما كنت في حماية
الماسونية التي كان يخشاها الخديو إسماعيل كثيراً ، وفي رعاية جميع القناصل الأوربيين (١)
الذين كانوا يتلقون على دروس اللغة العربية ، فإن مضطهدى — أى إسماعيل — لم

يسكن في استطاعته قتلى ، ولكن بوصفه خديو مصر كان في مقدوره أن ينشئ ذلك ما فعله بعد أن أقصدني ، بغضبه على ، كل تلاميذي ، وقد ذهب إلى حد منحهم من دفع ما عليهم لي : فلم يكن ينتظرني في وطني بعد ذلك سوى الفقر ، أما في الخارج فقد يتسم لي القدر ثمانية : وهكذا يممت وجهي شطر المنفى .

إن يعقوب بن صنوع يروي قصة فيه في بساطة ووضوح ، ويميل في الخاطر إلى تصديق كثير من تفاصيلها ، وإن كنت أعتقد أنه بالغ فيما بعد في وصف وداعه وحزن الشعب له ، وأجل ما في هذه القصة الدقائق التي سجلها صاحبها ، فهو لا يعرض فيها قصته مع الخديو وحده ، بل يمتد بنا إلى أشخاص آخرين ما كان يدور بخلدنا أن هم به هذه الصلات الوثيقة ، فهو مثلاً يتحدث عن الشيخ البكري ونصيه في هذا الموضوع فيقول : « وكان الشيخ البكري : وهو من السلالة النبوية ، يعطف ، على عطفاً أورياً ، وقبل أن أغادر مستقطراًسي اندي شأهت فيه ماذق وتعاسق ، ذهبت لأقبل يد هذا القديس وأطلب بركنه . فقال لي : كل إنسان طيره — أي قدره — مربوط إلى عنقه . عليك يا بني أن تسير في الطريق الذي رسمه لك ولا تخف شيئاً . إن الله رب العدالة والخير الذي دافعت به عن المؤمنين ، معرضاً نفسك للقتل ، سوف يحمي خطواتك أينما ذهبت » ثم يعلق أبو نظارة على كلمات الشيخ الوقور بقوله : « وقد بعثت كلماته الودية وتمنياته الصادقة جذوة الأمل في نفسي ، ولم أكن أعتقد أن مدة إبعادي سوف تكون طويلة » .

ويحسن بنا ونحن نختم هذا الفصل عن سيرة يعقوب بن صنوع في مصر أن نأذن له بكتابة سطور الـ الأخيرة دون أن نقترح عليه تفكيره أو دون أن نعترض عليه غير أن من واجب المؤرخ أن يذكر في هذا الصدر رأيه فيما نسبته المترجم له إلى نفسه من مبالغات ، وما نراه في السطور التالية لا يخلو — في رأيي — من المبالغة ، وإن كان في محله بصور الحقائق الأصلية في هذا التاريخ .

قال أبو نظارة في تاريخه الذي كتبه في أواخر القرن الماضي ولم ينشر بعد : وهكذا غادرت القاهرة محبوبتي في الثماني والعشرين من يونيو سنة ١٨٧٨ ، ولن أنكم عن وداع والدتي العجوز المأثر ، وكانت قد بلغت الثانية والسبعين من عمرها . وقالت لي قبله أخرى أيها الإبن الحبيب ، إنها بلا شك ستكون الأخيرة لأنني لن أراك بعد

اليوم : وكان حديثهم السوء الحظ صادقا ، فقد توفيت في سنة ١٨٨٥ ولكن بعد أن سعدت بنها زواجي وانتظاري مولوداً ؛ وقد قيل لي إنها باركتني قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة .
 « ويقون من كتب قصة حياتي من الوطنيين أن أيام سفري من القاهرة والاسكندرية كانت حدةً وطنياً لا فقد كانت الجماهير مضطربة على غير عادتها ؛ ولكن الذي أثر في نفسي حتى اغرورقت عيناي بالدموع هو وصول القطار إلى المحطات التي تقع بين القاهرة والاسكندرية حيث كان يقف بين الحس والعشر دقائق ، فكانت النساء تحضر الفاكهة ويرفعن أولادهن إلى نافذة العربدة لكي أباركهم . وكان الفلاحون يصيحون ولا تسافر وتركنا بين مخالف شيخ الحارة ، وهو الاسم الذي أطلقته على الحديو إسماعيل . ولما بلغت الاسكندرية نزلت في ضيافة صديقي ألبير ماير الذي عرفته في فينا . وقد أعادت إلى الأيام التي قضيتها عنده جاشي الذي كنت قد افقدته باقترافي عن أهلي وأصدقائي . وفي التاسع والعشرين من يونيو رجاني هو اخني المصريون أن أتوجه إلى تمثال محمد علي الكبير الكائن في ميدان القناصل لأنتبل وداع الشعب ، « إن ذلك المظهر المؤثر لن يمحوه كبر الأيم . وأمام عيون جواميس إسماعيل أخذ سكان المدينة من رجال وسيدات ، أغنياء وفقراء ، يمرون أمامي صامتين محبين متمنين لي السعادة بصوت خفيض وفي اليوم التالي حوالي الظهر ركبت السفينة « فريسينيه Freycine » التي أقلتني إلى مارسيليا . لقد كان المشهد جميلاً . وقد أراد الحديو أن يراني بنفسه وأنا أعادر البلاد فر راكباً عربته وقد أحاط به حراسه ، في الوقت الذي نزلت فيه إلى الزورق الذي سينقلني إلى السفينة . ولم تجرؤ الجماهير على الاحتاف بـ « يسقط إسماعيل » لكثرة عدد رجال الشرطة ، فأخذت تصيح لبحي أبو نظارة ، وتعالى النداءات بعد ذلك « نريد نبوءة منك أيها الشيخ » . وأعترف أنني احترت فيما يجب علي أن أقوله . ولكنني شعرت كأن وحياً ألهمني ووضع في فمي تلك العبارة : سوف ينفي إسماعيل بعد سنة كما أنفي أنا اليوم .
 « وقد شاءت المصادفات أن تتحقق نبوءتي حرفياً مما جعل الناس في الشرق كله يلقبوني بالوئي ولكن لنعد ثانية إلى سفري : فقد هبت علينا عاصفة كادت تودي بسفينةنا ، غير أن الله لبى رجاء شعب مصر المظلوم بأن يحفظني ، وبلغت مارسيليا

سليماً صحيحاً ، غنياً بالآمال لا بالمال . إن سر نجاحي في الماضي والحاضر هو
تقني التي لا تنزعزع في العناية الإلهية .

هذا هو ختام سيرة يعقوب بن صنوع في بلاده ، وهذه هي قصته منذ نشأ حتى
نفي ، لم أر فيها ما يستحق التعليق إلا ختامها المشحون بالمبالغة كما أشرت إلى ذلك في
أكثر من موضع ، وحسبنا هذا الجزء الأخير دليلاً على صدق رأينا ، فقد زعم
المترجم له أن الناس خرجوا لوداعه رجالاً ونساءً من جميع الطبقات ، وما أظن أن
السيدات في سنة ١٨٧٨ كان في مقدورهن الخروج إلى الميادين والشوارع في مظاهرة
أوشبه مظاهرة ، وقد نسي تقاليد بلاده والحريم الثقيل الذي يفرض حجاباً غليظاً
يحول بين لقاء الرجال والنساء ولو كان ذلك في وداع صحفيين كبيرين ١١ وقد أكد
هذه المبالغة في أكثر من موضع في رحلته أبي نظارة زرقا .

ثم تبدو المبالغة واضحة إذا دققنا في روايته عن وداع الناس له في ميدان
القناصل ، قبيل سفره يوم أمام عيون اسماعيل من الجواسيس ، فقد ذكر أن الناس
حبو بصوت خفيض خشية آذان أولئك العيون ، ثم ذكر لنا أن اليوم التالي كان
حافلاً فتهافت الناس له بحضور اسماعيل ، وما أظن أن القوم الذين يخشون عيون
الأمير لا يخشون الأمير نفسه ١١ وربما تخيل الرجل قدره ، وأنه كان جديراً بهذا الوداع
سواء في ميدان القناصل أو قبيل نزوله إلى السفين (١) . . .

وقد أيد وجهة نظرنا هذه بول دو بنير فقال عنه إن مولير مصر خلق لنفسه
دوراً لا يتخلو منه الزهو والغرور ، ويعتد على الاعتقاد بأن صنوع هو وحده قائد
الحركة وواضعها والمنتظم بحوادثها ، وهذه كلها أقوال لا تتخلو من المغالاة والمبالغة
التي تسكثر عند الكتاب والتي ينبغي ألا نغيرها كبير اهتمام ، وهي على أي حال تكثر
عند الغربيين والشرقيين على السواء : فقد رأينا إسكندر ديماس ينسب لنفسه قيام
ثورة يوليو ولامارتين مقتنعاً كل الاقتناع بأنه قائد ثورة فبراير (٢) فليس هناك
إذن ما يدعو للوم صنوع على اعتقاده الساذج بأنه وحده صاحب الثورة المصرية :

١ - جاء ذكر هذه المبالغات في صفحته . راجع الأعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٨ من رحلة أبو نظارة زرقا الولى

٢ - من الثورات المشهورة التي قام بها الفرنسيون خلال القرن التاسع عشر ، ولا شك أنه كان
لأدباء فرنسا ومفكرها أثر في توجيه الرأي العام ونهضة نفسه للاحداث التي حدثت فيها منذ ١٨٣٠
إلى ١٨٧٠ .

وكيف لا يساوره هذا الاعتقاد وقد أخذت صحف مالية كبرى وعلى رأسها جريدة (الإصلاح المالي) تشيد بمقالاته الوطنية الساخرة وتعلق عليها أهمية كبرى لم تكن تخطر له على بال (١) .

هذا رأى بول دو بغير ، وهو رأى وجيه جدير بالنظر والاعتبار ، لذلك وجب علينا ونحن نصور حياته من قلبه أن نؤكد هذا الرأى ، وإن كان هذا الرأى قد كتبه صاحبه ويعقوب فى باريس ، وعندى أن المترجم له ، معذور فى تخيلاتة التى سجلنا طرفاً منها وهو يحكى عن سيرته مع الخديو إسماعيل ، معذور لأن القوم فى أوروبا (٢) اعتقدوا فيه اعتقاداً جاوز الحد ، وهو جدير بهذه الثقة وذلك الاعتقاد لأنه كان ممتازاً إذا تحدث أو كتب شعراً أو نثراً كما كان دارساً للقضية المصرية دراسة عميقة أصيلة ، ويعقوب معذور إذا بالغ وهو يروى حكايته بعد أن لقي من المدح والثناء غايتها . ومن أسباب المبالغة فى تصوير حياته أقوال الصحف عنه ، ومن بينها صحيفة « الإصلاح المالي » المذكورة فقد كتبت عنه قائلة : هل لنا أن نقدم إلى قرائنا ذلك الرجل الذى خدم بمفرده أصحاب رؤوس الأموال المصرية أكثر من مراقبى الدين بالاشتراك مع أعضاء لجنة التحقيق وجميع صحفيى أوروبا ثم تستطرد الجريدة فى روايتها الطريفة : وقد يبدو أن هذا القول فيه شيء من المخالاة غير أنه فى الواقع صادق كل الصديق ، فقد نشر صنوع جريدة أبو نظارة ، وأخذ ينه المظلومين فى مصر إلى أن إسماعيل إنما يرهقهم بالضرائب لا ليرضى مطالب الأوروبيين وإنما ليزيد من ثروته... وقد أدرك الغرب كل ذلك وشعر الفلاحون بأن حقدهم للأوروبيين قد فتر ليزداد حبال الخديو ؛ وقد تحدث يعقوب صنوع إلى المصريين بذلك الأسلوب

١ - من ١٦ P. De Baignieres : L'Egypte Satirique, Paris 1886

٢ - إن اعتقاد الأجانب فى ابن صنوع لم يتف عند أجاب أوروبا ، بل إن الأجانب القبيين فى مصر اعتقدوا فيه نفس الاعتقاد ، وقد ذكرت لنا كريمة السيدة لولى صنوع أن والدها لقي من أحد موظفى الاتصالات كل تقدير حتى إنه عاونه - حين استقر رأى الخديو على نفيه - بأن أعطاء صورة سدين له فى قنصلية باريس ، وعليها توصية بمعاونة يعقوب فى حياته الجديدة ، وقد سلمه الدورقوى مهداة من موظف القنصلية فى باريس الى موظف قنصلية تلك البلاد فى القاهرة ليطهش صاحب الصورة الى اهتمام زميله فى القاهرة بالمترجم له ، ولتكون الصورة دليلاً على صلة معجنا الوثيفة ، وظف قنصلية القاهرة

التصويرى المعروف عن الشرق فأيقظهم من سياستهم بعد أن كانت كواهلهم مثقلة بالاضرائب ، وكان جزاء « أبو نظارة » على ذلك الطرد من مصر والانتقال إلى فرنسا لمواصلة جهوده في سيديل مصر (١)



صورة موظف القنصلية
بباريس وقد استعملها
موظف القنصلية في القاهرة
كبطاقة توصية حملها
أبو نظارة إلى صاحبها
في عاصمة النور

وإذن فهناك مبررات للزهو والغرور والمبالغة ،
منها أقوال الصحيفة المذكورة وهي تقدمه للناس ، ولم
تكن جريدة (الاصلاح المالى) وحدها التي خلقت
هذه المبررات بل ساهمت معها أكثر من صحيفة وأكثر
من كاتب وأديب ، فلا تريب على أبى نظارة حين يبالغ
ويتخيل الشعب في وداعه نساء ورجالاً ، يتمنون له
بالرغم من وجود الحديد القاسى العنيف وغيوته من
الجنود الغلاظ ، غير أن ذلك الزهو وتلك المبالغة
لا يسقطان من اعتبار يعقوب بن صنوع ، فقد كان
الرجل فعلاً من رعييل الأحرار الأول الذين ذاقوا
الأميرين في سيديل حرية بلادهم ونصفه موطنهم ، وإن
كثيراً من التفاصيل التي رواها في تاريخه المخطوط ،
لها أصولها في مجلته المطبوعة في مصر ، تجددها موزعة
في الأعداد الخمسة عشر النادرة التي لا يحتفظ بها
إنسان ، والتي أسعدنى الطالع بالحصول عليها مكتوبة
بخط يده ، وكان ذلك أمراً بعيد المنال .

ومهما يكن من أمر فنحن نختتم في هذه السطور سيرة يعقوب بن صنوع في مصر
وهي فترة قصيرة من نشاط الممثل الكبير والصحفي الخطير ، عرضناها في بسطة من الرواية
أدجمعنا فيها كل شاردة وواردة عن طفولته وصدر شبابه ، منحربين فيما روينا من
ضغوط الظروف والملاسات .

الى منفى الاعرار

الى باريس ...

حط أبو نظارة رحاله في باريس عاصمة العالم المتحضر ، وعاصمة الأحرار المنفيين من الشرق والغرب ، وهي ملجأ أولئك الأحرار في كل زمان ، وملأذم إذا لفظهم حاكم مستبد أو كرههم شعب بائس ، وهي لا تقبض صدرها - وأحياناً يدها - إذا لجأ إليها صاحب فكرة ، مهما يكن أمر هذه الفكرة ، فالحضارة الفرنسية لا تخصم صاحب رأى رجعى فزع إليها ، أو صاحب رأى تقدمى ارتقى في أحضانها ، هي مفتوحة الصدر لكل من يغد السير إليها ، يجد عندها السلى ويجد فيها أدوات الكفاح من أجل الرأى ميسرة ، ويجد عندها العمل في أى ناحية من نواحي العمل ، ويجد عندها أهم من هذا كله ، يجد الحرية التى لا تعرف الحدود أو القيود ، فينطلق يعبر عن خواج نفسه بالطريقة التى تعجبه وبالأسلوب الذى يرضاه ، يجد نفسه في محيط ولد الناس فيه أحراراً ، ليس لأحد فضل على أحد ، فكل امرئ صاحب فضل ، له أن يعلن فضله بوسيلته الخاصة دون رقيب أو حسيب

وقد هاجر صاحب فضل إلى منفى الأحرار ...

هاجر يعقوب بن صنوع إلى فرنسا ، فلم يكن له متنفس إلا فيها ، فوصل الى باريس لا يملك مالا ، فقد كان ما يحمله من المال ماتى فرك فقط ، وإنما كانت نفسه تضطرب بشتى الآمانى والآمال ، كمواطن حر صمم على محاربة الظلم في بلاده وإعلان سوءات حكومته ، ومكافحة الاستعمار الذى بدأ يطل على وادى النيل ، على طريقته الخاصة التى اتبعها أخيراً في القاهرة ، وهي نشر صحيفة ، هى وصل ما انقطع ، يعبر فيها عن رأى الحزب الوطنى المصرى الذى بدأ يتكون وتبين معالمة لكل ذى عينين ، لا يخاف أميراً أو طاغية أو جنداً أو قهوة مسممة أو نهراً استمتعت تماسيحه بأجسام كثير من الأحرار ! ...

ذهب ، الولى ، الى عاصمة الدور في صيف ١٨٧٨ طريداً من بلاده ، شهيداً من

شهداء الحرية في عصر إسماعيل ، فقيراً لولا أحياء لكان التسول مهنته في الشهور الأولى ، غير أنه قاوم الفقر ومثله السؤال ، مع أنه كان يلقي نخبه من المصريين الأغنياء المقيمين في باريس بعيداً عن وادي النيل وما يجري فيه من أحداث ، وكان هؤلاء المواطنون يعطون عليه ، ويدعونه إلى الغداء والعشاء برأ به وعظماً عليه ، وكان يصيبه من هذا العطف والبر حرج شديد ، حتى استطاع أن يحصل على عمل ، وهو عمل المعلم الذي يدرس لتلاميذه اللغة العربية ويحصل مقابل ذلك على قدر من المال يسد به رمقه ويعينه على تهيئة الجو المناسب لمعاودة الكفاح من أجل مصر (١)



الأميرة المصرية حديفة ابن صنوع

اقتد كسب يعقوب المعركة الأولى في باريس بالعمل كدرس ، وبصحبة نخبة متفقة من الشرقيين والمصريين ومن رجال الفكر الفرنسيين الذين أطلقوا عليه لقب «المفتي المصري» ، وعاونوه معاونة صادقة ، وينصرونه بأيامه الأولى بول دوبنير في كتابه «مصر لساخرة» . فيذكر أن كان شخصية أترجم له أثرها الفعال في التمكين له من الحياة والنصر على مناعها ، فهو كما يقول معاصروه ، شاعر بكل ما تحتوي عليه هذه الكلمة من معان تتجاوز قرص الشعر وروايته ، فهو ماهر في تصرفه مع الناس على اختلاف ألوانهم

أقل هذه البيانات من التاريخ الذي كتبه ، ونظارة من قسده بأمانة القومية وتحتفظ به بالخطوط الذي سجل هذه البيانات ، وما يؤسف له أن الكتاب لم يمتد إلى هذا التاريخ إلى نهايته بل وقف فيه عند السنوات الأولى في المنفى . وقد ذكرت في السيدة لولي ستوخ أن هناك أميرة مصرية دمرنا صورتها فوق هذا الكلام ، لا تذكر السيدة لولي إحياها ، ما فطنت نثي ودعاً لأبيها وأنها كانت تفتي معظم أشهر العرب والعرب ، وقد حزن لوفاتها حزناً شديداً لأنها كانت من أشد أنصاره ، وكانت عمدة بانبار السياسة العليا و مصر وعضو بالود والمرفق

ودرجاتهم ، قوى القلب والشكيمة حتى إن النمل لم يسقط اعتباره كما أن مرارة الغربة لم تقتل نوازع الخير فيسه ، ولم يكن من طراز تلك النفوس الفارغة التي تلجئها المحنة إلى الانفراد والانعطاف ، استناداً إلى خيبة أمل أصابتها أو جراح نفسية ألمت بها ، بل كان أبو نظارة على نقیض ذلك يطب حياته بأسلوب تفرد به ، فكان يمتاز بروح مرحة تفيض سروراً إذا صادفها مباحج الحياة ، ولا تشكو أو تن إذا أصابتها صروف الدهر بسوء (١) .

إن يعقوب بن صنوع يواجه في باريس حياة جديدة عليه كل الجدة ، وكان يواجه تلك الحياة بما انطوت عليه من خير وشر بنفس الايتسامة الهادئة المنطبعة على عيانه ، لقد لقي حقاً ظروفاً قاسية في وطنه الجديد من حيث النواحي المادية ، ولكنه تغلب عليها بالجد والاجتهاد والنشاط منقطع النظير ، وهما من صفاته وخلائقه التي تؤاظم طبعه المكافح العنيف ، لذلك لم تسكن حياته في باريس أمر مذاقاً من حياة القاهرة أو أكثر شدة من حيث الخصوم والأعداء ، بل كان الأمر على النقيض ، فقد كانت حياة تنفس فيها حراً طليقاً بين صفوة من أحرار الفرنسيين .

وجد أبو نظارة وسائل العيش قريبة التناول على ضفتي السين كما كان يلقيها ميسرة في معظم أيام حياته على ضفتي النيل ، فقام بالتدريس لكثير من الناس الدروس المختلفة الألوان التي كان يلقيها في باريس كما كان يلقيها في القاهرة ، بل إنه وسع نطاق تلك الدروس ، فأخذ يدرس حتى علوم الحساب والرسم والفلك ، وهي علوم كان يجملها في مصر ، ولم يفكر قط في تدريسها لمن كان يدرس لهم من الأمراء وغيرهم ، غير أنه في عاصمة النور أكب هو نفسه على دراسة هذه المواد ليستعين بها على إعطاء الدروس فيها لمن يشاؤها من الناس ، ولم يكن عدد الدروس بالطبع كثيرة كما كانت الحال في القاهرة ، ولم يجد بين تلاميذه أغنياء كأولاد الأمراء والباشوات ، ولكن سوقه راجت تماماً في تدريس اللغة العربية لمن يريد دراستها ، وكان يعتبر عمله هذا عملاً وطنياً فيه شرف له حين يكتب التاريخ ، فأخذ يدرس مبادئ تلك اللغة إلى الضباط الذين يتأهون للسفر إلى إفريقيا ، وإلى أبناء التجار المزمعين الرحيل إلى السنغال حيث يحتاج المهاجرون إلى تلك الجهات إلى فهم اللغة العربية حتى تستقيم

لهم الحياة هناك ؛ كما أنه قام بتدريس اللغة الفرنسية لمن يريد تعلمها من أبناء العرب النازلين في باريس ، وقد تخصص هذا المصري في هذه الناحية من النشاط ، وكان يعلن عن نفسه وعن تخصصه ذلك بكل وسيلة ، واحتفظت صحفهِ جميعاً في سنواتها الأولى بأعلان مستمر الظهور في كل عدد منها عن استعداده لإلقاء الدروس لمن يشاء تلك كانت وسيلة لكسب العيش الحلال في أيام المنفى الأولى ، فقد بدأ تاريخه في باريس معلماً للغات ، واشتهر بذلك في جميع الأوساط ، واستطاع بلباقته وقدرته في اللغة الفرنسية وآدابها أن يوثق علاقاته بكثير من أهل الرأي ويؤكد أواصر الود مع نخبة من رجال السياسة مختلفي المذاهب والآراء ، ويقم هذه الصلات القوية بين الخصوم والأضداد ، ويلقى منهم جميعاً الاحترام اللائق بمواطن حر غريب عن بلاده يسعى في سبيل شرفها وكرامتها ، ويلتمس لهذا السعي كل وسيلة مشروعة يلجأ إليها الأحرار .

وقد تخرج يعقوب بن صنوع من حفلة عشاء عند روشفور Rochefort فذهب مباشرة وبكل هدوء ودون أن يشعر بأى حرج إلى قصر الإليزيه (قصر رئيس الجمهورية) لحضور حفلة رقص يقيمها الرئيس Grevy ؛ وكان المترجم له موضع إعجاب وتقدير المسير دوفريسنيه Freycinet وخصمه المسير كليمنصو Clémenceau على حد سواء ، (١) وكان من ناحيته مؤمناً بكليهما ، مخلصاً لشخصيهما دون مواربة أو رياء ، وإن صداقته لنا كيه داعية الطلاق لم تمنعه من مصادقة جيل سيمون Jules Simon عدو الطلاق اللدود ؛ وكان صاحبنا معجباً بفكتور هيجو إعجاباً لا تقف دونه الحدود أو السدود ، بيد أن هذا الإعجاب بالكاتب الكبير لم يحل بينه وبين إعجاب آخر لخصوم هيجو ومنافسيه من أمثال ريشوبان Richopin وكوفيس هيج Clovis Hugues وليس يعنى اتصال يعقوب بن صنوع بأقطاب الجمهوريين أنه خصم عنيف للملكية ، لقد كان نفسه من المؤمنين بفكرة الجمهورية وصلاحياتها لحكم الناس ، غير أن ذلك لا يمنعه من الولوع إلى الدوائر الملكية يتعرف على زعمائها ويود صحفييها ، لا يفرق بين أنصارها المتنازعين ، فهو صديق لدعاة أسرة (أورليان) كما أنه صديق لدعاة أسرة

١ - يذكر أن كريمة المترجم له ذكرت لنا أن والدها كان إيماناً بالاشتراكية عميقاً جداً وأنه كان صديقاً لنائب الاشتراكي كلوفر صليح منذ سنة ١٨٨٠ إلى آخرات أيامه .

(بونابرت) ، وكان جناحا الملكية المذكوران يرحبان (بالمنفى المصرى) ترحيباً ملحوظاً ويحسنان وفادته ، وما يؤكد ذلك أن جريدة الفيجارو كانت تفرد مكاناً فى إدارتها لعرض رسوم (أبونظارة) الرائعة ليشاهدها الفرنسيون ويتعرفوا عن طريقها رسالة الطريد الحر فى عاصمة النور ويقفوا على تطور الأزمة المصرية فى عالم السياسة الدولية

ومن الأدلة على تكريم الأوساط الملكية له ما كتبه عنه جريدة Le Gaulois حيث قالت «من ذا الذى يجهل أبانضارة ، ذاك المصرى الذى لقبه الخديو اسماعيل بموليير اللغة العربية . إنه يعقوب بن صنوع الذى أسس جريدة شعبية عربية ، ثم تستطرد الصحيفة قائلة « تراه أحياناً مهاجماً لا ذعاً وهو دائماً خفيف الروح ؛ لقد اضطر إلى مهاجرة القاهرة والمجئ ، إلى باريس للاستمرار فى المهمة التى ندب لها نفسه... إنه المعبر عن رأى الحزب الوطنى ... إنه أول من قال العبارة الآتية التى أخذت طريقها إلى الأمام وهى عبارة : مصر للمصريين ... »

وما يذكر ليعقوب بن صنوع أنه كان داعية لمصر فى جميع الأوساط الفرنسية ، وفى محافل أوروبا أيضاً ، فقد كان ينتقل بين تلك الدوائر ، جمهورية وملكية ، يوم مجتمعاتها وبحضر بحوثها ويلقى فيها محاضراته وما كتبه من الشعر الفرنسى ، وترجم لها الرسائل الأخيرة الواردة إليه من مصر ، ويكتب فى صحفها المختلفة ، وتشر له تلك الصحف أحاديث طريفة يذكر فيها بلاده أحسن الذكر ؛ لستمع إلى ما كتبه عنه المسيو جيهان سودان Jehan Soudan محرر جريدة Henri ، الرابع التى كانت تصدر فى باريس ثم اختفت (١)

يتحدث المحرر عن يعقوب بن صنوع فيقول « ... لقد أبدى الجميع فى أوروبا رأيهم عن الأزمة المصرية من انجليز وفرنسيين وألمان وغيرهم ، فمن غير المعقول أن أذهب فأطلب إلى أحد المصريين أن يبدى رأيه فى تلك المسألة بدهى أن آراه فى مثل هذا الموضوع ستكون آراء معكوسة ،

ثم يقول « إننى قابلت هذا الزميل الذى جاء من بلاد بعيدة ، فياله من رجل شيطان !... لأنه يرتجل الشعر الفرنسى ... وقد استقبلنى بعبارات ترحيب منمقة حسنة

الأسلوب لا تخلو من الدعابة ، فقد وجد من الطبعي - واسمى Soudan - أنني أردت معرفة شيء عن مسألة السودان ،

أخذ أبو نظارة يقلب صفحات مجموعة صحيفته ، ويشرح ما بها من صور وترجم لي بعض فقراتها إنها مجموعة غريبة حقاً فهي تحاكي في آن واحد جريدة La Lanterne de Rochefort وجريدة De Boquillon حيث تبدو الصور الشرقية كأنها مقتبسة من أشعار النبي (أرميا) أو من أوصاف النبي (حزقيال) ، فسواء شعراً أو نثراً ، وسواء توسلاً أو رجاء ، فهو دائماً يشكو آلام الفلاح ويعرب عن آماله في أن تسود السعادة والرخاء أرض مصر المباركة ،

ولقد سألت أبا نظارة رأيه في الأزمة الحالية قائلاً : هل حقاً يستطيع المصريون أن يكونوا شعباً ؟ فقال لي مامعناه - يالك من قوم عجب أيها الأوروبيون - إنكم ترسلون مندوبين أو ثلاثة من الظرفاء فيزولون القاهرة ولا يلبثون أن يرسلوا مذكرات عن مصر يصفونها حسب أهوائهم كأنها قطعة أوبريت وإذا قرأتم ما يكتبون صحتهم قائلين : هذه هي مصر وأولئك هم المصريون ، إنها بلاد الرخاء ، يسكنها للأسف أناس كسالى متعصبون وجهلة ، أما أنا فأقول لك إن الشعب المصري ليس كسولاً بل هو على نقيض ذلك أنشط شعوب العالم طراً وأوفرها إنتاجاً ، ليس الشعب المصري متعصباً بل هو على عكس ذلك أكثر شعوب العالم تسامحاً على شريطة ألا يستفز أكثر من اللازم ، والتاريخ على ذلك شهيد ، وأخيراً أقول إن الشعب المصري ليس على درجة الجهل التي تتخيلونها ، فالمدارس المدنية والدينية التي أسستها الحكومة ، ومدارس القاهرة الحرة وخاصة مدرسة أركان الحرب ليست بدائية كما يظن الباريسون الظرفاء . .

ولا يقف الداعية الكبير عند هذا الحد من الإشادة بوطنه في أدق الظروف وأقصى المحن ، بل يمضي قائلاً للمحرر ، ألا فاعلموا أن الكتب المدرسية المستعملة في مدارس مصر مترجمة حرفياً من أهم الكتب التي تدرس في المدارس المماثلة في باريس وولوتش وبرلين ، بل أكثر من ذلك فإن تراجم روائع الأدب الفرنسي منتشرة في مصر كأن انتشار أصولها في فرنسا ، وجميع تلاميذ القاهرة والإسكندرية يحفظون عن ظهر قلب حكايات لافونتين La Fontaine وحوادث Le Télémaque لفنلون

Le Lutrin و Fenelon لبوالو Boileau ، وتاريخ Duruy بل ذرف جميع الشبان الدموع عندما قرءوا قصة الحب البائس لبول وفرجينى Paul et Virginie كما بكوا عندما قرءوا رواية البؤساء ، وأخيراً فأن قصة الفرسان الثلاثة ليس لها معجبون خيراً من الشبان المصريين ؛ وعندما أسست المسرح فى القاهرة جاء فى فى أسبوع واحد ثلاث تراجم لسكى أمثلها على خشبته وهى تراجم : البخيل ، والمريض بالوهم ، وترتوف ، ويستطرد المحرر (سودان) متحدثاً عن آراء يعقوب بن صنوع فى بلاده التى يحن إليها دائماً ولم يخف قط هذا الحنين ، ذاكرأ أن المترجم له يعتقد أنه لا ينقص الشعب المصرى سوى زعيم جدير به ، وهذا الزعيم - فى رأى يعقوب - هو الأمير حلیم أصغر أبناء محمد على رأس الأسرة العلوية ، وقد وضعت مصر الفتاة فى شخصه



(البرنس حلیم أمل المصريين فى عهدى إسماعيل وتوفيق)

كل آمالها وأمانها ، وكان هذا الرأي أشبه بالعقيدة يبشر بها أبو نظارة منذ كان في مصر إلى يوم تولى عباس الثاني وقضى حلیم ، حتى إن صحف (أبو نظارة) المختلفة كانت تردد هذه الأمنية وتذكر دائماً أن ربنا كريم وحليم ، وحليم هنا هو الأمير حلیم مناط يعقوب وأمل أصدقائه في تغيير شامل يصيب الأريكة الخديوية ويرفع الظلم عن كواهل المصريين .

ولم يتردد أبو نظارة في إشاعة فكرة تولية الأمير حلیم لعرش مصر عند جميع الجهات ، يرددها لسمعها الفرنسيون في باريس والأوروبيون في كل مكان نزله يعقوب كاتباً أو خطيباً ، وروى لنا ذلك المسيو مارتان المحرر والرسام بصحيفة Illustration الجمهورية الكبرى ، فقد صرح له يعقوب بأنه لا يرى حلاً للثورة القائمة في مصر - أيام توفيق - سوى اعتلاء حلیم لعرش البلاد ، مبيناً الأسباب الموجبة لذلك ، وهي أسباب عرضنا لها من قبل وسوف نعرض لها على شتى الوجوه .

انزع الداعية الكبير والصحفي الموهوب ثقة وإعجاب أهل الرأي في فرنسا فقد كان يعقوب جديراً بهذه الثقة قنباً بهذا الإعجاب ، فهو فنان يجيد الموسيقى وخاصة العزف على الصفارة ، كما كان ينظم الشعر ، والشعر الفرنسي خاصة ، وكانت له لفتات ذهن في قرص هذا الشعر سجلها له « سودان » في حديثه الذي ختمه بقوله « ولست أدري إن كان مقدراً لصنوع أن يكسب القضية التي يدافع عنها أم لا ... » ولذلك فلست هنا بصدد مدحه أو قدحه ... غير أننا لانتق كثيراً برجل مثل « أبو نظارة » له طابع مستقل قائم بذاته ، وعزيمة لا تعرف الوهن أو الهزيمة ،

هذا رأى الفرنسيين فيه حين نزل بلادهم ولم يمض عليه إلا قليل من الزمن ، استطاع في تلك الفترة القصيرة أن يقيم الدنيا ويقعدها ، ولم يقف نشاطه كداعية كريم عند العاصمة الفرنسية ، بل كانت له في أقاليم فرنسا جولات ، بل كانت له في بلدان أوروبا سيرة طيبة ، هي سيرة المصري الحر الذي ندب نفسه للدفاع عن وطنه ومقدراته ، واستحق من الوطن - على الأقل - تكريم الذكري ، والذكري تنفع المؤمنين ، والمؤمنون هم المصريون الذين قلبا يدكرون محن مواطنهم ، ولا يستعيدون

أعجاء هؤلاء المواطنين الذين احترقوا على بعد المزار في سبيل فكرة الحرية والاستقلال لبلادهم .

ومهما يكن من أمر فإن يعقوب بن صنوع لم يقف نشاطه على الصحافة والعمل فيها ، بل أستغل (أبو نظارة) مواهبه في سبيل بلاده ، فقد كان رجلاً واعياً دارساً فاهماً . لحياة الأمم والشعوب : كما كان واسع الأفق دقيق الملاحظة . شاعراً صادق الشعاعية ، (١) فيه نواح من الجمال الحق وصفحات سامية ذات قيمة وجديرة بأن تلفت النظر ، (٢) هذه الصفات التي خلعتها عليه معاصروه قد استغلها المترجم له في السعي وراء مصالح بلاده في حقول أخرى غير الصحافة ، فخطب وحاضر حتى هو الرأي العام الأوروبي ، ومن روائع محاضراته محاضراته عن مصر في القرن التاسع عشر (٣) ومحاضراته عن الغزوة الإنجليزية لبلاده ، ومحاضراته عن المهدي وإخلاء السودان (٤) ، وقد ألقى تلك المحاضرات في أقاليم فرنسا ودول أوروبا المختلفة .

وكما لقي يعقوب من صحافة باريس التمجيد والتأييد ، كذلك لقي شلها من صحف الدول التي زارها داعياً لبلاده فيها ، فقالت عنه جريدة (لاجازيت دو بوردو) بعد أن وصفت شكله ومتاعب عينيه ، وقد أصدر صحفاً ساخرة كانت تطعن خصمه بمقالاتها اللاذعة ، وقد اشترك في جميع الحملات التي شنت على الخديو السابق وخلاصة القول فيه إنه قد أثار العجب بين جميع الذين استمعوا إليه لسعة إدراكه وشدة ذكائه ،

ومضى الداعية المصري من رحلته في الأقاليم الفرنسية إلى زيارة البلدان الأوروبية نجف إلى أسبانيا وقابل ملكها وملكته وأنشد فيهما القصائد ، وتحدث عن وطنه في كل فرصة أتت له ، ثم اختلف إلى بلجيكا ، وهناك خطب وكتب ، وذكرته الصحف أحسن الذكر ، ثم انتقل إلى إنجلترا ، وهي خصمه العتيق وعدو بلاده الأصيل

١ - ص ٩ P. De Baignieres — L'Egypte Satirique

٢ - المصدر السابق ص ١٠٦

٣ - المصدر السابق ص ٣٨

٤ - المصدر السابق ص ١٠٩

انتقل إليها غزياً بمحاضراته وكتابهاته ، وتكاد جميع الصحف الإنجليزية تحسن استقباله فتقول إحداها عن زيارته « نرى اليوم بيننا صاحب جريدة عربية ساخرة مصورة تناوى الخديو السابق وسياسته ، وابنه توفيق وضعفه ... » وتحدث عنه (ذا ديلي نيوز) فتقول « إن أباً نظارة يثير الانتباه من نواح عدة ... » وتأخذ الصحف الأخرى في تقديم بعض المختارات من إنتاج الصحفي المصري الساخر ، ونشر جريدة « ذا تروث » بعض صورته الكاريكاتورية وتعلق عليها تعليقاً طويلاً ممتدحة الكتاب وما كتب ، معجبة بالمصور وما رسم .

وهكذا أخذ المترجم له في زيارة دول أوروبا ، لم يترك دولة منها إلا وزارها داعياً لبلاده ، ناقداً للسياسة الإنجليزية سواء في مصر أو السودان ، حتى ألب الرأي العام الأوروبي عليها في كثير من الظروف والمناسبات ، إذ بصر الساسة الذين لقيهم بمغبة التساهل مع الاحتلال الإنجليزي ، وبين لهم خطره على مصالح الدول الأخرى وما تركه من الأثر السيء في نفوس المصريين والسودانيين .

ولم يقف أبو نظارة زيارته على أوروبا بل قام بزيارات لتركيا وبلاد شمال إفريقيا وغيرها من البلدان التي استقبل فيها استقبال الغزاة الفاتحين ، وحاضر فيها عن ماضى بلاده وحاضرها ، وكشف أثناءها ستر الإنجليز وما يصنعون في وادي النيل وقد سجل هذه الزيارات المختلفة في كتب خاصة كما نشر معظمها في أعداد صحفه المختلفة ، وقد أكد كثيراً من الصداقات مع أمراء تلك البلاد وملوكها ، ونال الخطوة لديهم فأمدوه بالمال وأنعموا عليه بالنياشين^(١) ، وساهموا في كثير من أعداد صحف أبي نظارة بالاشتراك طویل الأمد ، ورد هو الجليل بنشر صور أولئك السادة والتحدث عنهم في عشرات الأعداد التي تضمنت سيرهم وأخبارهم ، مع كثير من المدح الذي ما كان يليق أن يسجله يعقوب وهو ثائر على الطغاة في مصر ، والثائر على الطغاة لا يرحب بكل تافه وجيليل من الطغاة في البلاد الشرقية الأخرى .

لقد كانت في صحفه الطرائف والغرائب ، كما كان فيها من روحه وفنه ما سماها إلى مصاف الصحف الهزلية العالمية ، ولا تحسب عليها الهنات التي وضحت في مدح

١ .. راجع تعليلاً خاصاً بأبي نظارة في « أعلام الصحافة العربية » للمؤلف .

زيد أو عمرو ، فقد كان لصلات صاحبها ببعض الخاصة هنا وهناك أثرها فيما تأخذه عليها من هذه الهنات .

ولا تحسب على صحف أبي نظارة أخطاء الطبع التي كثرت في بعض سنواتها كثرة ملحوظة ، أو هذا الخط الرديء الذي تقلب على كتابته بعض الشرقيين وفي مقدمتهم الشآميون المقيمون في باريس ، وكان بينهم مجيدون في هذه الخطوط ، ظهرت جودة خطوطهم في معظم صحفه ، ولعل أردأ الخطوط خط يعقوب نفسه . ولا يحسب على تلك الصحف هذا الورق القبيح الذي استعمله المترجم له في طبعا ، فقد كان ذلك الورق القبيح نادراً في مئات الأعداد التي أصدرها ، وكان الورق الجميل غالباً على معظم نسخها ، ومن بينه ورق أبيض ناصع البياض ، أو ورق أسمر جيد طبعت عليه الصور ملونة تلويحاً بديعاً . ما كان يمكن أن تشرق عليه تلك الصور مالم يكن ورقاً جيد الصناعة والعجين .

كانت صحفاً في الصدارة ، جديرة بهذه الصفحات التي نوجز في التاريخ لها حين نعرضها صحيفة بعد أخرى ، ليرى الناس كيف أبدع ابن صنوع ، وخلق لوطنه إسماعيل طابق الخافقين ، ومضى في ركب الحضارة يعلن عن بلاده ويترجم عن عواطفها ويحكي آلامها وآمالها في صدق وأمانة ، وفي ثقة واطمئنان .

صحف ابن صنوع في باريس

أصدر يعقوب بن صنوع في باريس أكثر من صحيفة .
أصدر الكاتب الأديب صحيفته الأولى ، وسماها «رحلة أبي نظارة زرقا الولي ...»
على الصورة التي سنشرها بعد قليل ثم أصدر بعد ذلك ، مجلة «أبو نظارة زرقا» وهي
رجع الصدى لصحيفته الأولى التي أصدرها في القاهرة .
ولأسباب سنعرض لها وشيكاً غير الاسم فجعله «النظارات المصرية» ثم «أبو صفارة»
واضطر إلى تغييره مرة أخرى فأطلق على صحيفته اسم «الحاوي» ثم عاد إلى «أبو
نظارة زرقا» وهكذا تعددت أسماء صحفه ، فأذا هي تتجاوز اثني عشر اسماً ، قلما
كانت واحدة منها تختلف في الطابع والمزاج ، وإن اختلفت في الشكل والأحجام ،
واختلفت كذلك في جودة الورق والطباعة ، غير أنها جميعاً — وبلا استثناء — أدت
الرسالة التي أخذ صاحبها على نفسه أدامها ، رسالة الدفاع عن الشعب المصري ، ثم
الدفاع عن وحدة وأدى النيل متمثلة في مصره وسودانه ، والحلمة المتصلة المستمرة
الملحمة على أسرة محمد علي ، فيما خلا بعض الفترات التي سيجيء الحديث عنها ثم
الهجوم العنيف الرائع على السياسة الإنجليزية عامة والاحتلال البريطاني لصر خاصة
إن صاحب هذه الرسالة كان في محنة ، فقد اضطر إلى الهجرة من بلاده حيث
نشأ ودرج ، وحيث ساهم في كل جديد عرفته مصر في عهد إسماعيل لم بل حيث خلق
هو الجديد متمثلاً في المسرح الذي أنشأه ، وفي الصحيفة التي أصدرها ، فأذا عاود
نشاطه الصحفي ، فأنما يعاوده لأبناء وطنه ومن أجلهم ، ومع ذلك فقد لقي المحنة مرة
أخرى ، إذ نشطت الحكومة المصرية/المصادرة صحفه كلها حملتها السفن إلى الوطن الذي
ماخف قط تخنانه إليه ، نشطت الحكومة إلى ذلك في عهد إسماعيل ، وزاد نشاطها
إبان الاحتلال البريطاني لبلاده ، فاضطر إلى تغيير اسم صحيفته أكثر من مرة (١) حتى
يوهم المصريين المسئولين أنها صحيفة لا تمت إلى يعقوب بن صنوع بصلة ، حتى إذا انتهت

الحكومة المصرية إلى الحقيقة اجتمع مجلس النظار وأصدر قراراً بمنعهم من دخول القطر المصري (١) وما أكثر ما كان المجلس يجتمع لهذا الغرض ! سواء اتصل الموضوع بأبي نظارة أو بغيره من الأحرار (٢) الذين يصدرون صحفاً في الخارج ليصروا مواطنهم بمأثم فيه من ذل واستعباد

وطال الأمر يعقوب ، فقد أمضى نحو ثلاثين سنة يصدر صحفه ، وكانت تلك الصحف تصل إلى قرائها بالرغم من عيون الحكومة وأدواتها ، وفي هذا كتب المترجم له قصة بديعة ، فقد ذكر أنه وظف أول نقود ربحها في باريس في نشر صحيفته «أبونظارة» وقد كان لبعضها رنة فرح في قلوب المصريين ، إذ كان الناس يعتقدون أنها اختفت إلى ما شاء الله ؛ ولما كان مكتب البريد المصري لا ينتظر إطلاقاً أن يرى صحيفته «أبونظارة» تخرج من رسمها ، وخاصة أن الخديو اسماعيل ادعى أنه قبرها إلى غير رجعة ، فأن الأعداد الأولى لصحيفته دخلت جميع مدن وادي النيل وقراء الرئيسية دون أن يلحظ ذلك أحد من المسؤولين ، وقد احتفى بها المواطنون احتفاء عظيمًا

ويذكر أبونظارة أن أحد زعماء الحزب الوطني من أصدقائه العديدين كتب له يصف ذلك بقوله «لا يمكن أن تتخيل الاستقبال الحماسي للأعداد الأولى من صحيفتك» تلك الصحيفة التي اعتقد الجميع أنها ماتت ودفنت ، لقد أحسنت صنعاً بجعلها صحيفة مصورة. وإن الرسوم الغريبة التي حليت صفحاتها بها حازت رضا سكان المدن والريف على حد سواء ، إن غضب الخديو عظيم ، وعليه فأن صحيفتك لا تمكن من عبور مكاتب البريد الخديوي ، (٣)

ويمضي يعقوب بن صنوع قاصاً علينا الظروف التي أحاطت بوصول صحيفته إلى مصر ، فيذكر أن صديقه القاهري لم يكن يعلم سعة حيلته وقدرته على التوصل بشتى الطرق لإدخال صحفه إلى وطنه تحت نظر وسمع البوليس المصري ، فيقول «ولما كانت الثمرة المحرمة موضع تهافت الجميع من بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، فإنه منذ أن نفيت في سنة ١٨٧٨ إلى اليوم كانت صحيفتي تدخل سرّاً إلى مصر وتباع

١ - تطور الصحافة المصرية لمؤلف - الطبعة الثالثة من ٢٥٣

٢ - تطور الصحافة المصرية لمؤلف - الطبعة الثالثة من ٢٥٤

٣ - نقلاً عن تاريخ المترجم له الذي كتبه بنفسه وتحتفظ ابنته بالمخطوط في باريس

بالآلاف . وما أكثر الجليل التي توصلت بها لتهرب صحيفتي رغم أنف الهريدي
انصري الإنجليزى .

وبعد كر لنا يعقوب كثيراً من الطرائف المتصلة بأرسائه صحفه إلى مصر ،
ويحكىها في أسلوب بسيط واضح يحسن أن تستمع إليه وحده في وصف هذه الطرائف
دون تعليق ، فهي لا تحتاج إلى تعليق بما
احتوت عليه من تفاصيل .



يقول أبو نظارة ، كنت غالباً ما أضع
صحفي في مجلات مصورة ، وفي كراسات
الموسيقى ، وبين أوراق كتب من حجم الثمن ،
وفي مجموعات الرسم . وقد وضعت في الجرائد
التي نشرت صورة الخديو توفيق سنة ١٨٧٩
أكثر من ألف نسخة من صحيفتي ؛ ولم أكتف
بأرسالها إلى المشتركين العديدين ولكن
بعثت بها أيضاً إلى جميع أصدقائي ومعارفي
وقد تلقى الخديو نفسه واحدة من تلك الصحف
المصورة فوجد صحيفتي فيها ، وكان غضبه

إنجليزى عاوت

لهذه الجراءة شديداً وخاصة لما وجد أنني
نشرت في صحيفتي الخطاب الذي أرسله إلى يطلب فيه منى العودة إلى مصر وبعدني
بأحدى الرتب ، وقد رفضت هذا العرض قائلاً : إنى أفضل أن أعيش في المنفى على
أن أكون غنياً في خدمة طاغية .

ثم يستطرد أبو نظارة في رواية هذه الطرائف فيقول : وفي سنة ١٨٨٥ تمكنت
من إدخال أربعة آلاف نسخة من صحيفتي بوضعها في « مرتبة » سرير ووسادتين
لسيدة فقيرة تاندة إلى مصر ، ولم يلحظ رجال الجرك شيئاً ، وقد شكرتني تلك
السيدة الفقيرة على الجرائد التي تبرعت لها بها ، وقالت إنها ربحت من بيعها أكثر
من خمسة غراتك .

وقد قيل لي إن النسخ التي كانت تضبط بين الحين والآخر في الجرك ، كان

الموظفون يقرأونها أولاً ثم يعطونها لأصدقائهم ومعارفهم ، فإذا ما انتهى هؤلاء من قراءتها باعوها إلى الباعة (السريجة) بواقع خمسة فرنكات لكل مائة نسخة ، وكان الباعة يوزعونها سرّاً بشمن مرتفع جداً .

ويمضى المترجم له في سرد هذه القصة الممتعة من ألوان الكفاح التي زادت بحته حدة ، كفاح السعي وراء إرسال صحيفته إلى مواطنيه ، فيذكر أنه لما صفى المسيو أوجستان ، وهو تاجر جرائد في الاسكندرية ، أعماله وعاد إلى فرنسا ، علمت أنه قد ربح ثمانين ألف فرنك من بيع صحيفتي خلال السنوات الست أو السبع التي كان يرسلني فيها ، بينما كنت أنا لا أحصل على تكاليف صحيفتي إلا بشق النفس ، فعينت وطنياً بدلاً منه ، كنت أرسل إليه بانتظام خمسمائة نسخة من كل عدد بواقع خمسة فرنكات للمائة نسخة ، وبعد بضعة أشهر علمت والله الحمد من بعض الخلفاء المنبشرين في كل الوزارات والمصالح أن سعادة أورفرى Orfry باشا محافظ الاسكندرية لما اتصل به أن مراسلي كان يستلم في منزله خمسمائة نسخة من يد شخص مجهول ، نجح في إغرائه بمنحه خمسمائة فرنك في الشهر عن الصحف التي كانت تصل إليه مني ، والتي لم تكن تكلفه مائة فرنك .

وهكذا كان مراسلي يسلم المحافظ كل ما كنت أرسله إليه ، فما كان مني ، بدلاً من أن أعاقبه بالامتناع عن مراسلته أن أصبحت أرسل إليه ضعف الكمية : خمسمائة نسخة يعطيها للمحافظ وخمسمائة لبيعيها ، وقد قبل مراسلي هذا العرض ، وظل المحافظ الذكي خمس سنوات يدفع للشيطان إعانة شهرية قدرها خمسمائة فرنك ؛ ولم ينقطع الإعانة إلا بعد وفاة الممتنع بها ، أما المحافظ فقد أصبح موضع سخرة الجميع ، لأنني قصصت هذه الحادثة المضحكة على كثير من الزملاء الصحفيين ، وقد نشروها دلقين عليها بما يشير الضحك ،

إلى هنا وقف يعقوب بن صنوع في كتابة تاريخه ، فعر علينا أن تبين في وضوح يشبه الوضوح الملحوظ فيما سرده من هذه التفاصيل ، مدى المتاعب التي أحاطت بصحيفته في مصر ، والظروف التي اكتنفته في سبيل إدخالها إلى البلاد بعد ذلك ، على أننا نستطيع أن نتخيل أن هذه المتاعب بقيت تلاحقه لأسباب أخرى غير ضغط الحكومة وتحفظها لمصادرة صحف المختلفة ، فإن مصر — على مر الزمن — تمتعت في

أيام كرومر بشيء من الحرية الصحفية التي أباحت لكثيرين إصدار صحف مماثلة لصحف (أبو نظارة) وتتميز عليها بحالية الموضوع الذي تعالجه ، وقد أشار يعقوب إلى تلك الصحف الهزلية في مجلاته (١) فضلاً عن أن النهضة الصحفية المصرية في عهد عباس الثاني صرفت قراء أبي نظارة عن صحيفته بالقدر الذي دفعته إلى الإقبال على الصحف المحلية المماثلة ، ويتضح ذلك من صحف يعقوب نفسها ، فقد انصرفت هي أيضاً عن علاج المشاكل المصرية بالطريقة القديمة أو على الأقل بالإلحاح المأثور عن صاحبها في تخصيص كل صفحات مجلاته لشئون مصر وحدها ، فرأيانه يعالج مشاكل عربية وإفريقية أخرى ، كان بعضها يستغرق معظم صحفه المختلفة ، هذا إلى أن ارتقاء عباس الثاني أريكة الخديوية ، وإطلاق حرية الصحافة حسب السياسة الإنجليزية المرسومة التي استغلت الصحف لمهاجمة الخديو الشاب ، كانت هذه الظروف قينة بأن تجعل وصول صحيفته إلى مصر ميسرة ودون مضايقة ، وخاصة أن أولى الأمر من الإنجليز لم يجدوا فيها عنفاً يجاوز ما اعتادوه من الصحف المصرية المحلية ، وهي أقدر على رواية الحقائق وأعنف في علاج المسائل السياسية الشائكة

بقيت مسائل هامة في تاريخ المتاعب التي صادفت يعقوب بن صنوع ، هي كيف استطاع أن يصدر صحفه وحده ؟ هل كان يساعده أحد في كتابتها أو كان يكتبها جميعاً ؟ ومن أين كانت تجيء إليه الأخبار ؟ ومن ذا الذي قام بعمل الرسوم لها ؟ وفي ذلك تحكي الحقائق وتروي الأفاصيل والحكايات .

لقد كان يعقوب بن صنوع يلقى متاعب شاقة في إصدار صحفه ، وهو يقص علينا بعض ذلك في إحدى محاوراته على لسان (أبي خليل) بقوله : إن الطبع غالى قوى قوى في باريز ، وأن الرسم طماع ويأخذ الشيء الفلانى والبوسطة وما أشبه . . . (٢) وقد ردد الشكوى من غلاء الطباعة العربية وتكاليفها في المنق في أكثر من موضع من صحفه الكثيرة ، الأمر الذي ترتب عليه اضطراب مواعيد الصدور ، ففترة تصدر مرة كل أسبوع وأخرى كل أسبوعين وأحياناً تصدر مرة في الشهر ، وكان للحالة النفسية الخاصة بالمرآة له دخل كبير في اهتمامه بمواعيد

١ - العدد التاسع من أبو نظارة ١٨٩٨ م ٣

٢ - العدد الأول من (أبو نظارة زرة) السنة الثالثة م ٢ ، ٣

صدورها أو تقاعسه عن ذلك ، وقد وضع لنا هذا الأمر في نفس (المحاورة) حيث ينذر أبناء وطنه بأهمال إصدار صحيفته إذا لم يجد صدق لما يكتب فيقول مهدداً إنه سيكتب « ثلاثين نمرة ثانية إنما إذا من هنا هناك ما حصلش المراد والله وحياة أستاذي أبو نظارة معظمه ما أقرأ لهم السلام ، ولا يبقى على ملام ، وبشرط أنهم يسمعون النصيحة وما يتنبلوش ويتبعوا المثل اللى قال اسعى يا عبدي وأنا أسعى معك وإن رقدت ما أنفعك . . . » مع أنه يعلم في سنة ١٨٦٩ أن كثيرين من أحرار الشبان فكروا أكثر من مرة في إصدار صحيفة مماثلة في القاهرة كلها تأخر عدد من أعداد مجلته (١).

أما عن تحرير صحفه فلا شك أن القسط الأكبر مما كتب فيها كان من قلبه اللاذع الساخر ، وخاصة محاوراته وألغابه التياترية ، كما أنه وحده صاحب الإيجاء بجميع ما نشر فيها من صور ورسوم ، وهو وحده الذى علق على تلك الصور والرسوم ، غير أن ذلك لا يمنع من ذكر حقيقة هامة ، هي أنه كثيراً ما كتب أو أشار برسم بعد وصول خطاب من صاحب أو صديق من مصر ، متضمناً بيانات أو أفكاراً أو إيجاء بفكرة أو رأى ، ولا شك أيضاً في أنه نشر أشياء كما هي وردت له من مصر أو أقاليمها المختلفة ومن يثبات وجماعات متباينة (٢).

وقد ذكر كثير من المؤرخين أن السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده حررا طويلاً في صحف يعقوب بن صنوع ، سواء في صحيفته التى أصدرها في مصر أو في صحفه المختلفة التى نشرها في باريس ، ورتب هؤلاء المؤرخون على ذلك أن المترجم له لم يحتمل وحده تحرير صحيفته ، والواقع يكذب ذلك كله ، فقد راجعنا بمجموعات تلك الصحف نسخة بعد أخرى ، فلم نجد مقالا واحداً للشيخ محمد عبده ، وحتى في الفترة التى قضاهما الأستاذ الإمام في فرنسا منفياً من بلاده لم يخط حرفاً في صحيفة كاتبنا الكبير ، فقد كان الشيخ منصرفاً إلى تحرير صحيفة (العروة الوثقى) التى كان يصدرها بمعاونة الأفغانى في باريس سنة ١٨٨٤ (٣) ولو نشر مقالا

١ - الأعداد ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من أبى نظارة زرقا - السنة الثالثة .

٢ - العدد الثالث من أبى نظارة زرقا والعدد التاسع عشر من السنة الثالثة .

٣ - تداول الصحافا المصرية من ٢٤٩ وما بعدها وأعلام الصحافة المصرية من ٦٨ وما بعدها .



الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده
محرر العروة الوثقى بباريس

في أى صحيفة من صحف أبي نظارة
لمره وكان ذلك شرفاً لها ، فقد كان يعقوب
مؤمناً بقدر الإمام مقرأ بفضله وعلمه
بالرغم من الخلافات التي دبت بينهما في
ظروف لا داعي لذكرها هنا

أما السيد جمال الدين الأفغانى ، فله
مع يعقوب بن صنوع تاريخ آخر ، ذكرنا
طرفاً منه حين كان المترجم له في مصر ،
يختلف إلى ندوة العالم الكبير مع من كان
يختلف إليه من النخبة استقامة والصفوة
المرتجاة ، وهو الذي أوحى إليه بإنشاء صحيفته
وشجعه على ذلك بنشر مقالين فيها جاء
ذكرهما في إحدى المخابرات التي نشرتها
(أبو نظاره زرقا) (١) وضمن خطاب
وارد من مصر المحرر جاء فيه أن تقريرا

وضع للخبير سيجل ما يأتي : « يا أفندم قهشنا يباع أبو نظارة ووجدنا في جيبه جواب
له من خواجند وفيه خطين لجمال الدين الأفغانى فبعثنا ندهنا الفيلسوف وورينا
الجواب فقال إن جيسس أعز أحبابه إنما حلف أن منذ سفره إلى باريس لا كتب
له ولا ورد منه كتاب قط ، وهو لا ينكر أنه كتب مقالين في النظارة القديمة...
وإذن لجمال الدين لم يكتب في صحيفة يعقوب إلا مقالين في عدد من الأعداد
الحسنة عشر التي صدرت في مصر قبل نفيه ، غير أنه نزل باريس ووصله أبو نظارة
بالود وخف إليه كما كان يخف إليه في القاهرة ، وقد تمكن من الحصول على تأييد
السيد جمال الدين الأفغانى الأدنى ، فكتب لصحيفته مقالا نشره في صدر أحد أعدادها
بعنوان (الشرق والشرقيين) (٢) وتوسط الصفحة رسم كامل للسيد جمال الدين الحسيني

١ - العدد الرابع عشر من أبي نظارة زرقا السنة الأولى من ٤ الشهر الثاني

٢ - العدد الثاني من أبي نظارة زرقا السنة السابعة

الأفغانى ، وقد استغرق مقال الفيلسوف الشرقى العدد كله بصفحاته الأربع ، ويبدو أن العلاقات بين الصحفى والفيلسوف لم تكن صافية دائماً ، وما أكثر ما توترت العلاقات بينهما وبجملت أبو نظارة زرقا التوتر فى أكثر من موضع (١) وإن سجلت أيضاً مدى الاحترام العميق الذى كان يكتنه يعقوب لأستاذه وأستاذ الجبل جبال الدين الأفغانى (٢)

لقد حرر بعضهم مقالات وطرائف لآبى نظارة ، ووقعوا على ما كتبوا ، غير أن ذلك كان قليلاً ونادراً جداً ، ويستطيع أن نجزم أن يعقوب بن صنوع قد كتب وحده صحفه زهاء ثلاثين عاماً أو يزيد ، لم يمل أو يكل ، ولم ينشر واحد من الكتاب أكثر من مقال فيما خلا صاحب مجلة النحلة التى كانت تصدر فى لندن فقد وافاها بأكثر من مقال وخاصة فى سنة ١٨٨٦ ، هذا إلى أن الكاتب حين ينشر من بريده المقالات القليلة النادرة لم يكن ينشر دائماً ما يوافق رأيه أو يتفق مع سياسته بل إنه سمح بنشر مقالة لا تجرى فى فلسفه ولا تنسجم مع طابع صحفه (٣)

وقد اعتمد ابن صنوع على دراساته الخاصة ومعلوماته الواسعة فى موضوعات السياسة المصرية التى عاجلها فى مجلاته العديدة ، كما اعتمد على الصحف المصرية الواردة من مصر ، وخاصة جريدتى مصر والأهرام فقد كانت تلك الصحف جداوله الأصلية التى ينقل عنها أخباره وحوادثه ، وكانت تلك الأخبار والحوادث تمكنه من التعليقات الممتعة التى قرأناها له ، فضلاً عن أن كثيرين من معاصريه والمعجبين به كانوا يعيشون إليه برسائل خاصة ، هذا إلى أن نخبة من أهل الرأى والفكر من رجالات البلد كانوا يخفون إلى باريس أثناء الصيف ، ويوردون المترجم له بمادة بديدة ظهر أثرها واضحاً فى الأعداد التى كانت تصدر إبان الصيف

كان لصحف أبى نظارة رسام يقوم برسم الصور والأشكال ، وكان له مساعد يكتب صحيفته التى تطبع على الحجر (٤) ولا شك أن هذا المساعد قد تغير وتبدل

١ - العدد الرابع والعشرون من أبى نظارة زرقا السنة الثالثة

٢ - العدد الثالث من أبى نظارة زرقا . السنة السابعة . النهر الأول من ١ ملحق خامس

بالعدد العاشر من أبى نظارة سنة ١٨٨٢

٣ - العدد التاسع من أبى نظارة ١٨٨٧ عدد ٩ من شهر

٤ - العدد الأول من أبى نظارة من ١ شهر ٢

أكثر من مرة لأن خط الصحف كان متفاوتاً بين الرداءة والجودة ، وكان من أسوأ الخطوط التي شاهدناها في صحف صنوع خطه نفسه ، فقد كان خطأً معقداً تتعذر قراءته أو تقرأ حروفه بعد جهد (١) ويشبهه في التعقيد خط مساعده في السنة الخامسة ومعظم السنة السادسة من أبي نظارة زرقاء

وهناك ، وعموميات ، أخرى غلبت على صحفه كلها مما تتعدد أحجامها أو أشكالها أو أسماؤها ، فهي جميعاً تتميز بمحاورات واحدة وإن تغيرت عناوينها وموضوعاتها قليلاً ، كما أن هناك أسماء ساخرة أطلقها في صحفه على رجال السياسة المصرية أو الإنجليزية ، عسكريين أو مدنيين ، فأبوريسه هو رياض باشا ، مملوك عباس جنتم كان ، (٢) ونوبار ، وغوبار ، وهكس هو ، إخص أو عكس أو هلس ، وكليفورد لوريد هو ، والبلاص كليفورد ، (٣) إلى آخر تلك الأسماء التي أجاد في السخرية منها .

١ - العدد السادس من السنة السادسة من أبي نظارة زرقاء

٢ - مقدمة الخاوي ص ٣

٣ - العدد الثاني عشر من السنة السابعة من أبي نظارة ص ٢ ونهر ٢ والعدد الثاني من السنة الثامنة ص ٢

رحلة أبي نظارة زرقا

هي صحيفة مستكملة نواحي الفن الصحفي وإن سماها « رحلة أبي نظارة زرقا »
الولى من مصر القاهرة . إلى باريز الفاخرة . بقلم خمس سنانوا محرر جريدة أبي
نظارة زرقه الباهية . والدة النظارات المصرية ، صدر منها ثلاثون عدداً ، كل عدد
فى أربع صفحات ، محلى بالرسوم الكاريكاتورية ، ونشر يعقوب العدد الأول منها
فى ٧ أغسطس ١٨٧٨ أى بعد شهرين تقريباً من نفيه من مصر ، على أن تصدر
مرة فى كل أسبوع ، وكان اشتراكها « خمسة وعشرين فرنك للثلاثين نمرة » ترسل
للناشر فى باريس بمجرد وصول « أول نمرة » للمشتري أو تدفع لآى « بنك فرنساوى »
أو يبعث المشترك ثمنها عن طريق شراء « ورقة حواله من البوسطه أو عن يد حبيبه
أبو نظاره بيضا فى اسكندرية » .

لقد جاءت هذه التفاصيل خلال المحاوره التى نشرت فى العدد الأول « بين أبي
خليل وأبى العينين وأبى الشكر على قهوة البورصة بالأزبكية فى اليوم السبت المبارك
٢٢ يونيه سنة ١٨٧٨ ، وجاء إلى أسفل ذلك الكلام حديث آخر أو إعلان ، لعله
أول إعلان فى صحيفة « الرحلة » عن الخمسة عشر عدداً التى صدرت فى مصر وأنها
تطبع على ورق جميل بمطبعة حجر بباريس (١) .

ويتضمن العدد الأول محاوره بين شيخ الحارة (أى الخديو اسماعيل) وأبى
نظارة ، وأبى الغلب الفلاح ، تحت رسم يصور يعقوب بن صنوع بقبعته ونظارته
وعصاه والخديو راكعاً والفلاح شامخ الأنف ، وقد جاء فى هذه المحاوره معانى شتى
يحسن تسجيلها له فى هذه السطور .

شيخ الحارة — التوبة من ذا النوبه أشفق يا أبو نظاره . على عمك شيخ الحاره .
جريدتك ضربها قامى أخاف منها على راسى . دى حطت فى
قلبي الرعبه . بأقوالها المخفيه الصعبة . إذا رفعت عنى الجريدة .
أرجع لطرايق الحبيده .

١ — لم أذكر على عدد مطبوع منها فى أى مكتبة من المكتاب الأوروبية والأمريكية التى زرتها

أبو نظارة — أنت عمرك ماتتوب . ولو رجوك بالطوب . ده إنت أمرك
عند الجميع معلوم . بقى كيف أشفق عليك يامشوم . والله ما ارحمك
يامطعم الناس السمك . ياخييث يامسموم الريق . ياقاتل
الأمير الصديق .

* نكرة اول *

رُحمة أبي نظارة زرقا الولي من قصر القاهرة * الى باريس الفاخرة * بفكر جس ساندوا محر جريدة
أبي نظارة زرقه الباهية ولادة النظارات المصرية * * * *



شيخ الحارة — التوبه من التوبه اشفق يا أبو نظارة * على عمك شيخ الحارة * جريدتك ضربها
قاسي * اخاف منها على راسي * دي حطت في قلبي الرعبه * بأقولها للتحفيه الصعبه * اذا رفعت
عني الجريده * ارجع لطرابقي الحميده *

أبو نظارة — أنت عمرك ماتتوب * ولو رجوك بالطوب * ده أنت أمرك عند الجميع معلوم *
بقى كيف أشفق عليك يامشوم * والله ما ارحمك يامطعم الناس السمك * ياخييث يامسموم
الريق * ياقاتل الأمير الصديق *

أبو الغلب الفلاح — ما تشفجش يا أبو نظارة * الشفيه في الغايرده خساره * ده جتلتنا من الظلم
والجور * ونازل علينا زبي ما يترك السواح عالنور * جبريليه * وبعثنا من ظلمه *

أول صحيفة أصدرها يعقوب في باريس سنة ١٨٧٨

والغلب الفلاح — ما تشفجش يا أبو نظارة . الشفه في الغايرده خساره . ده جتلتنا

من الظلم والجور ونازل علينا زى ما ينزل السواج عالتور . جبر
يليه . ويعتقنا من ظله .

ثم تضمن هذا العدد أيضاً محاورتين هـ أبى خليل وأبى العنين وأبى الشكر . . .
وقد استغرقت تلك المحاورة ثلاث صفحات من صفحات المجلة الأربع ، وتكاد تكون
بقية أعداد هـ رحلة أبى نظارة زرقا هـ صورة من العدد الأول المذكور إلا بعض
أعداد تميزت ببعض مقالات باللغة العربية كرسالة الشفعاوى (١) وغيرها ، وإن
كانت مقالات نادرة لأسلوبها العالى الذى لا يتلام مع روح الصحيفة الساخرة ؛
هذا إلى أن الصفحة الأولى فى كل عدد تحتوى على صورة ترمز إلى معنى من المعانى
التي تضرب بها الحياة المصرية .

وليس فى رحلة أبى نظارة زرقا إعلانات ، يستعين بها يعقوب على أداء واجبه
الصحفى ، بل إن كل الإعلانات ، اتصلت بالجريدة أو صاحبها معلم اللغات ، والإعلانات
المتصلة بالصحيفة تتحدث عن اشتراكها أو تحريرها ، وقد عثرنا على إعلان طريف
ندرجه هنا ، وهو يعطى فكرة عن الوسائل التي كان يحصل بها يعقوب بن صنوع
على كثير من المواد الصالحة للنشر .

قالت رحلة أبى نظارة زرقا تحت عنوان (إعلان) هـ المرجو من حضرات
المطلعين على صحيفتنا من إخواننا أهل القطر المصرى الكرام وأصحابنا من أهل
سورية والعراق والجزائر والهند وتونس وسائر البلاد البرية إن من يرغب نشر
نبذة مفيدة أو نادرة لطيفة بأى معنى كانت فلا يرسلها إلينا إلى عنواننا المحرر بذيله فأننا
نبادر بأدراجها فى الصحيفة ونشكر فضل من يكرموا علينا بها وإن شاء ذكر اسمه
أو أخفاه فله الخيار فى ذلك فأننا نصنع كمراده على شرط إظهار إرادته إما بكتم اسمه
أو بأشهاره هـ (٢)

أما عن رسالة هـ الرحلة هـ من الناحية النفسية فتتميز بالتخصص فى الحملة على
إسماعيل وأدوات حكمه ، وحض المواطنين على الثورة فى وضوح لا لبس فيه ، لم
يخل عدد هـ بل لم تخل صحفهم من كشف خفايا حكم الخديو ، ما صنعه من قبل وما يصنعه

١ - العدد الرابع وما بعده من رحلة أبى نظارة زرقا

٢ - العدد السابع . الصفحة الرابعة من رحلة أبى نظارة زرقا

اليوم ، فهو يحدثنا عن إسماعيل في زيارة المقابر « أنت جاي متخفي مصفر اللون وناشف
الريق . تطلب السماح من قتيلك الصديق . آهو المخنوق من قبره قام . ووراه المسمومين
بكاس المدام . وبغنجان القهوة إياه . المعروف بضد الماء الحياه . كل الأمر دول قصفت



عمرهم . ويتمت عيالهم وكشفت سترهم . . .
وبذلك يسجل يعقوب طارق تخلص الحديو
من خصومه الأمراء والوزراء ، وهي متعددة
الأشكال والألوان ، من خنق إلى سم مذاب
في خمر أو قهوة ، وهو يرتكب هذه الجرائم
« حتى تموت معهم أعظم الأسرار » (١) وزاد
المحرر قارئه إيضاحاً بنشر صورة بديعة
تفسر ما كتبه وتؤكد ما ذهب إليه .

ثم يسخر الكاتب سخرية لاذعة من حال الحديو
بعد أن تنازل عن أملاكه لسد الديون ، يسخر
في زجل تمتع استغرق أكثر من نصف صفحة ،
نقل هنا بعض فقراته كعنوان لأزجاله التي

تعبّر عن حال صاحبها ، وقد جاء هذا الزجل

في محادثة بين أبي خليل وأبي نظاره في شانزليزه (٢) وفيه يقول : —

ليه دي العبارة المتعوسه صبحت دوأيري معكوسه
والحسره في مغروسه دي وقعتي وقعة خرفان
‘شريم’ ‘برم’ حالي غلبان

ما عرفش إيه من دا الطالع مقصودهم أبقي خالع
واطلع كدا منفض والع يا محلا لما أصبح عريان
شرم برم حالي غلبان

دول سلطوا المستر فلسن (٣) إكته مجدع وملسن

١ — العدد الثاني ، الصحيفة الأولى من رحلة أبي نظارة زرقا

٢ — العدد العاشر الصلحة الرابعة من رحلة أبي نظارة زرقا

٣ — يعصد المستر وبفرزولسن وزير المالية في الوزارة المختلطة في عهد إسماعيل كما كان دويلينبير
النرسي وزير الأشغال فيها

لعن خاشي بركات ورسن ماخيليش في الدارامات
شرم برم حالي غلبان
لجاولي عمي الشيخ نوبار وعملوه رئيس الكبار
يحملي عينه زى النار وأنا قاعد قصاده جربان
شرم برم حالي غلبان

لقد نقلت بعض فقرات الزجل غير مراعاة ترتيبه ، نظراً لأن الفقرات التي تجاوزت عن نشرها تضمنت ألفاظاً لا يليق أن تنشر في مطبوع ويحسن أن يخلو منها ويبعد عن إسفافها ، غير أن الزجل في عمومته يؤرخ بطريقة خاصة للأزمة المالية التي اصطفتها سياسة إسماعيل وحاشيته حتى انتهت بانهيار اقتصاديات البلاد ، وفي مقدمتها الشؤون المالية الخاصة بإسماعيل نفسه ، الأمر الذي ترتب عليه رهن ممتلكاته وكف يده عن شؤون المال ، بل كف يده عن الشؤون العامة جميعاً ، ونقل السلطة إلى مجلس النظار على النهج المعروف في كتب التاريخ

وقد شغلت الأزمة المالية تفكير يعقوب في (رحلة أبي نظارة زرقا) فلا يكاد يمضي عدد دون ذكرها ، وهو يحكي لنا في (محاورة بين أبي خليل وأبي نظارة) عن تعيين المسترولسن وزيراً ، وإن كان سماه فلسن ، من الإفلاس أو يقص ظروف هذا التعيين فيقول « أبو نظارة — بقي المستر فلسن لما قفش الجندي قفشة جد ودبدب له ورطن له باللسان وقاله قدام ياريس وما أشبه وطلب منه كشف دفاتر وحسابات والدواهي السود إياها ، فالجندي قال في نفسه — والجندي يعني الخديو — أخلص من رسول جهنم ده إزاي ؟ نعملة ناظر مالية وأعطاه كم مفتاح إياها على حاصل فارغ ونفخه نفخه إنكليزيه وطبطب عليه وعزمه عنده إنسا ما سقاهاش الفنجان القهوة إياه لسا ما جاش وقته »

ويبين يعقوب إشاعات الخديو التي أطلقها بأن الأجانب هم سبب الأزمة المالية وأنه بريء ، وأنهم أفقره مع من أفقرهم من سائر المصريين ، ولكنه يكذب ادعاءاته على لسان أحد المواطنين ، وقد جاء ذلك كله تحت عنوان (محاورة بين شيخ الحارة والشيخ محمد والشيخ منصور والشيخ عبد الرحيم) (١) ، تنشر هنا طرفاً منها :

الظلم الفادح في فرض الضرائب ، والسياسة السيئة التي اتبعها وزير المالية الإنجليزي ،
تنقل جزءاً منها ، ومن أراد مزيداً في تفاصيلها فليرجع إلى المجلة نفسها

الرئيس — (يوجه نظره إلى الأعضاء وينف ويهزق ويقول) سعادة ناظر
المالية أرسل لنا إفادة رسمية باللغة الإنكليزية لأجل الضرائب
الميرية لسداد الديون المصرية وتحصيل الأموال المتأخرة لغاية
ثمانية وسبعين إفرنجية ودفع المتأخر من الماهية والذي يتأخر عن
السداد بالطريقة الحبية يعامل بالقوة الجبرية وتباع أطيانهم وموجوداته
بمعرفة المديرية وأفندينا قر على هذه القضية فكلا منكم يبدى
رأيه بالحرية للمداولة ولا تخافوا من شيء بالكلية

أبو جموس — إن كانت المادة نفاق فاحنا نقر بالوفاق وإن كانت حرية نبدي
أفكارنا القلبية

الرئيس — شوف يا شيخ عبد العال أنا لا أعرف النفاق ولا المحال وأنا أحب
الحرية فتكلم بخلوص نيه . وسلامة طويه

أبو جموس — المادة ليس حاوجه مداولة ولا كثرة محاولة إحنا قبلنا كل النوايب
اللى مرت علينا مع جميع المصايب وبعنا ما ورانا وما قدامنا
ولا بقاش حاجه أمانا ده إحنا كان عشمنا من سى فلسن والجماعه
الأوروبويه أن يخلصونا من العبودية لما سمعنا بأنهم ناس طيبين
يكرهوا الظلم المبين فبسلامتهم ما فلحوش ربنا يغنيننا بفرجه العميم
ويولى علينا رجل كريم حلیم ويعتقنا من جور شيخ الحماره اللعين
اللى سخمط وش الحماره طين وأنا وحياة راسك ما فيش في بيتي
ولا كيلة غله ولا جاموسه ولا عجله ولا قرص جله فيسكفانا
ظلم وخساير والله أعلم بما في الضماير وما تنطوى عليه السراير

الرئيس — وانت قولك إيه يا شيخ محمد ؟

الشيخ محمد — إحنا لا نعرف مدير ماليه ولا ناظر خارجيه دول ناس ملاعين
يرطنوا بلسانهم الأعوج وهم لا يسين بتوع طوال اسمهم برابط

راخين شعورهم زى (١) ويدردعوا نبيذ كثير ويتغدوا بلحم
الخنزير وأما إحنا ناس هوارة نعرف طيب في قناية الغرس
والحمارة وأعرف معادتك إننا ما نقبلش زيادة ضرايب ولا كثرة
مصايب وعاوزين تخفف المربوط ولا تسأل عن دبلنيير ولا مربوط
وإن انفلق شيخ الحارة ما ندفع ولا باره ولا إن كان القصد
بحضورنا الآن الضحك علينا زى زمان فأحنا وحالنا وعن ذاتكم
مستغنين وإن كان عاوزين النياشين بتوعكم خذوها والفلاحين أهي
قد امكم كلوها لأن بلدنا وحياة راسك بعد ما كانت حايزه كمال
اللطافة أصبحت من كثرة الظلم كوم شقافته الله يجازي ابن الحرام
هذه هي قصة الدين والضرائب ، عرضها المترجم له عرضاً بديعاً يتم عن فهم
لواقع الحال في مصر إذ ذاك ، وعرضها في ألفاظ ومعانٍ مصرية خالصة ، وفي سخرية
لاذعة جرت على ألسنة المشايخ الذين ساهم بأسماء ترمز إلى المفارقات العجيبة في
البلاد ، فالشيخ « بلاصى » عمدة لكوم ، « الشقافة » ، والشيخ « أبو عيش » نايب
كعر « الجيعانين » ، غير أن الكاتب لا يعنى مطلقاً السخرية بالأعضاء وإن كان قليل
الثقة في استماع الحكومة إلى آرائهم أو تقديرها لمكانة المجلس ، وفي هذا يقول على
لسان « أبو نظارة » : « صار فتح البارلمنت اللى هو مجلس النواب وتليت فيه مقالتين
طزفش ... واحده كأنها من شيخ الحارة والثانية بصفة جواب لها من رئيس المجلس
وكلمتين من أحد الأعضاء علوهم له من قبل دخول المجلس أما أغلب الأعضاء هم
جدعان أحرار لا يباعوا ولا يشتروا والظاهر أنهم اتفقوا على رأى واحد بالتكلم
بغاية الحرية في المجلس مش زى زمان اللى كانوا دائماً يقولوا أى نعم أى نعم رأى
سعادة الرئيس في محله وما أشبه » (٢)

وإذا أحسن أبو نظار الظن بكثير من أعضاء المجلس فإنه لم يؤمن قط بحكومة
الخدو ولا بشجاعة وزرائه ، وهو يصورهم تصويراً يناسب أقدارهم الصحيحة في
« جلسة سرية في جمعية الطرايطير المشهورة بالضحك على دقون العالم تحت رئاسة

١ .. هنا لفظ « تمتعنا الحياء » من ذكره

٢ .. العدد الرابع والعشرون من مجلة أبو نظارة زرقا ص ٢

السنجق الأكرم الأجل الأنعم عزيز أوغلو القوللى أحد أمراء الغز الذى ظلم أهل القطر المصرى فى سنة ١٢٠٣ وهلك سكانه ، ويحدثنا عما دار فى هذه الجلسة بعنوان : محاوره بين عزيز أوغلو رئيس الجمعية وبين أعضاء الشركة وهم داخلى أغا وخارجى أغا وسيفك ملىح أغا وأذرعلو أغا وحق نطاحى أغا وجملى أغا وسهرىج محافظى أغا ، وعزيز أوغلو هذا هو الخديو إسماعيل ، وأعضاء الشركة هم على التوالى وزير الداخلى ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير الزراعة ووزير الحفانية أما جملى أغا فيعنى به وزير المعارف ، وهى تورية لطيفة عن وزراء العهد التافهين الذين كانوا أشبه بالطرايطير ١ وقد أطلق على المحافظ الأسم الأخير المذكور . وإننا حين نراجع تلك المحاور الطويلة نجد أن المحرر قد أجرى على أسانهم ما يمثلونه من نظارات .

وقد اعتاد أبو نظارة أن يهاجم أدوات الحكم جماعات وأفرادا ، ويهاجم معهم بعض أعضاء البيت المال ، ولم يسقط من حسابيه حتى أميرات ذلك البيت ، مثال ذلك ما جاء فى أحد الأعداد من حملة عنيفة على نوبار أو غبار كما يسميه بعنوان : عصبه الأنجال على الوزير الدجال — لعبة تياترية حصلت فى أيام الغز فى اليوم الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٢٩٦ : أسماء أشخاص اللعب . أبو السباع شيخ الحارة . أبو الخير ختام . غبار وزير . توقيف ولى العهد . نحس ناظر جهادية . نحسين ناظر مالية . سنى محونة الوالدة . خيالة هانم . قرابه هانم . على أفندى شاوليش . خاخال أغا . (١)

وهكذا أخذ يعقوب بن صنوع يهاجم خصومه من الخديو إلى الوزراء وكبار الموظفين ، تارة بالمحاورات وتارة بالأزجال البديعة (٢) وإن لم تخل من ألفاظ بذيئة لا تليق فى معناها أو مبنائها . ثم نجده بعد ذلك يحاول فى رحلته ، أن يثير الجيش على تلك الحكومة التى حاربها بعنف وقوة ، وقد بدأ منذ العدد العشرين يدعو إلى تلك الثورة ، مبينا لضباط الجيش ورؤسائه مدى الظلم الواقع عليهم ، ويسجل لنا هذا فى محاوره طويلة استغرقت ثلاث صفحات ، وهو يعنى فى تلك المحاوره التآريخ

١ - العدد الثانى والمصريون من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٧

٢ - العدد الثالث والمصريون من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٣

للحادث المشهور ، حادث طرد بعض ضباط الجيش والتوقف عن دفع مرتباتهم ، الأمر الذي أثار سخطهم ودفعهم إلى التظاهر كما تروى كتب مصر الحديثة ، فنجد في المنظر الأول وصفاً مؤثراً . . .



مجلس الوزراء ، أو جمعية الطرايطر المشهورة بالضحك على دقون العالم !

(في بيت الجهادي . غلبان بك أميرالاي ، حزينه هانم زوجته . جيعانه هانم بنتهم . وعريان بك ابنهم) . (١) .

غلبان بك — (يمسح دموعه ويقول) والله لو لم يكن محرم عندنا في الديانة لقتلت نفسي وخلصت من العيشة المنحوسة دي . آهي الهانم داخله ووراها العيال ولا شك إنها رايحه تطلب مني كم قرش تبعت تجيب بهم رغيفين عيش وقطعة جنبه ولا نموت من الجوع ، وأنا ربنا عالم مافي جيبي خمسة فضه . هو المدير .

حزينه هانم — (تدخل وفي يدها الأطفال) صباح الخير ياسيدي .

جيعانه هانم وعريان بك — (يوسوه وهم يقولوا) نهارك سعيد يا بابا .

غلبان بك — آه والني يا أولادي من يوم ماتولى علينا شيخ الحاره السعد سابنا ومشى . فين أيامك السعيده ياسعيد ؟ كانت الجهادية متشرقة ومسرورة مش زى اليوم جيعانه ومقهوره .

حزينه هانم — والعمل يايبك ؟ قول احنا الاتنين نقدر نصوم إنما العيال دول والله يبجرحوا قلبي كلها يقولوا لي ياماما بدنا ناكل . اليوم مافطرناش بقي ما احناش رايحين تتغدى .

غلبان بك — لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . باليتنى كنت نجار أو حمال أو زبال كنت على كل حال أقدر على قوت عيالى ولا أشوف بيتى فى الفقر ده فصدق من قال فيه الفقر كنز البلاء . الفقر هو الموت الأحمر . ماضرب العباد بسوط أوجع من الفقر . الفقر فى الأذن وقر ، وفى الكبد عقر ، وفى القلب نقر ، وفى الجوف بقر . واحنا يا أولاد مصر صبحنا على الحصريه ولا نحن واجدين لقمة تسد بها جوعنا وساكتين على غلبنا . ياخى خيلنا نغور والله نستاهل أكثر من كنده وفرعون قليل ظله فينا

وتمضى المناظر ، منظرأ بعد منظر تحدثنا عن سخط غلبان بك وجرأته على الخديو حين قابله محتجا على حاله ، وجوع عياله وما انتهى إليه أمره من تناول القهوة المسمومة فى قصر إسماعيل وموته ، وكان أبشع ما فى القصة تصوير المؤلف لختمها حين أمر أتباع الخديو بإنزال تابوت الميت من على أكتاف زملائه حتى يدفع الضرائب المستحقة عليه أو لولا « خواجه نصرانى » تبرع بالمطلوب لكان ختام القصة أبشع ما عرف فى القصص والحكايات ...

ثم يرمى أبو نظارة فى مدح الضباط الذين تجمروا عند رئيس النظار ، ويروى ما حدث تحت عنوان (محاوره مابين أبو الخير وأبو اللطف الجهادى) (١) وهى فى الحلق رواية من أصدق الروايات عن ذلك الحادث التاريخى الذى اختلف فى تفاصيله كثير من المؤرخين ، يصف ذلك بقوله « فاجتمعنا وتحالفنا بلسان واحد ، وحررنا عر ضحال وطلبنا صرف الماهية والراحة العمومية وتوجهنا به إلى أندال الرجال ، وهيته الدجال مجلس النواب ، وأخذنا أعضائه ، وتوجهنا للمالية ، فتصادفنا مع الغاير غبار فصحننا وقلنا له معنا عر ضحال فقال ، سكرتجت أديس هر فلار ، وأمر العربجى بضربنا بالكرباج ، فالتزمنا أن نحفظ شرف الجهادية وأنزلناه من العربية أو أرجعناه

إلى المالية بالقوة الجبرية ، ثم ظهر فلسن فأفهمناه بالرجوع فامثل ورجع بدون إهانة ، ثم الفرقة المخصوصة أحضرت على مبارك بزيادة التحقير وكلنا شاكين السلاح ومتوكلين على الفتح ، وكانت ساعه عظيمه ، ثم حضر الفرعون الأكبر ومعه قدر ألف عسكري فأمرهم بضربنا بالرصاص ، فأطلقوا بنا دقهم الأرياح ولم يصبنا شيء ...



مناطيه في المناو بين غوراء اخدي والي تطله زرقا

كان نوبار باشا أوغوربار ضعيف السمع لا ينصت إلى النصيحة ، ولا بد لذلك من صورة تؤرخ لهذا الضعف !!

كان يعقوب بن صنوع يريد من هذه الفصول الكثيره التي كتبها ضد الخديو إسماعيل أن يتجه بها قليلا إلى الجيش . وكثيرا إلى بقيه المواطنين ، ولقد كان يبصر مواطنيه بظلم الخديو مبينا لهم أنه حاكم يجب أن يعرف حقوق مواطنيه عليه ، وأن الدنيا قد تغيرت ، دلوقت راحت السكره واستيقظ الفلاح وجاءت له الفكرة ، ومن مدة كم يوم فاق وصحى من النوم ، وفهم أن رب العالمين خلق عباده حريين ، وجعل الملوك في كل مكان على الرعايا كالرعيان ، يدلوهم في طريق الفضيله ويعلموهم العلوم والفنون الجيله ، مش زى شيخ حارتنا الظالم اللي ما يقدرش يشوف في بلاده رجل عالم ، إلا وحالا يعميه وفي بحر النيل يرميه ، تبقى عياله عليه مغنومه وأسماك البحر تعمل عليه عزومه ، أنت نسيت الصديق (١) وما جراه وذل حال حريماته وعياله ، وكم من أولاد حارتنا ياناس نعل خاشمهم وأسقامهم دا الكاس ، واحنا

(١) يقصد إسماعيل باشا المفتش ناظر مالية إسماعيل وقد اختفى في ظروف مريبة .

أندال قاعدين ساكنين ولاوامر الظالم ممثلين» (١)

وبعد فإن يعقوب بن صنوع قد أمتعنا في (رحلة أبي نظارة زرقا) بما قدمه لنا من محاورات وفصول تمثيلية تنفق وذوقه وتجري مع سليقته وتوائم طبيعة الممثل فيه ، وقد ضمن ذلك كله كثير من التاريخ وأقوال العامة وحكمهم في أسلوب مصري عامي تخللته أحيانا بعض ألفاظ تركية وأجنبية وشامية ، ولكي تستوفي قصة هذه الرحلة غايتها يحسن أن تؤكد للقارىء بأن يعقوب لم يكن كاتباً للغة العامية يجيد عبارتها ويحسن صياغتها وحدها بل كان إلى جانب ذلك أديباً في اللغة العربية الأصيلة ، نشر بها في (الرحلة) فصولاً بديعة دلت على علمه بأصول الدين والدنيا .

استمع إليه يقول : «الحلم أجل من العقل لأن الله تعالى وصف نفسه به » ثم يتمثل بأقوال أئمة الدين في هذا الموضوع فيقول : « ما بعث الله نبياً إلى قوم إلا بعثه وأمره بالحلم » ، أو كما قال : « ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم » (٢) ومن موضوعاته الأدبية والنصيحة المؤثوية للسامع الخديوية (٣) ثم رسالة الشفعاوى ، وقد نشرت في أكثر من عدد وهي في أسلوب عال يختلف كل الاختلاف مع طابع الصحافة وما تضمنته أعدادها السكثارة ، وتميز بعمق الفكرة ، وسلامة العبارة ، وانتقاء الألفاظ ، استمع إليه يحدثنا فيها عن ظلم الحاكم إسماعيل وسيرته السيئة ، وكفالك أنه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً . ولا يوجد في وقت الصلاة إلا جنباً . وفي رمضان إلا مفطراً . نعم يصوم ولكن عن الخيرات . ويستقبل الفجور متلطحاً بنجاسة الفحشاء . فاجر يقتات بالكبائر . ويتفك بالصغائر . ويروح من مولاه شاكياً وشیطاناً شاكراً ، فكأنه عاهد إبليس فلم يخن له عهداً ، ووعد أنه يجد عنده كل معصية فلم يخلف له وعداً . إن ذكر الأتقياء والأخيار . قال احضروا إلى الحكيم (٤) . وإن سمع بالاشقياء الأشرار . قال غنى بذكرهم يانديم . فرعون بالنسبة إليه حاكم عادل . وأبو جهل إن قيس به إمام فاضل . وليريد لو ما نله

(١) العدد الثاني عشر من رحلة أبي نظارة زرقا ص ٤

(٢) العدد الثالث من رحلة أبي نظارة زرقا ص ٣

(٣) العدد الحادي عشر من رحلة أبي نظارة زرقا ص ٣

(٤) يقصد الطيوب

لما اضطربت أقوالهم في جواز اللعنة عليه . والحجاج لو شاكه لما اختلفوا في نسبة الكفر إليه ...

«ولسكنهم ليسوا أكفاء له . فلو عادوا لاتخذوه إمامهم . وسلموه زمامهم ... فإنه هتك أستارا ما هتكوها . وانتك حرمت ما انتهكوها . وظلم حتى أهل القبور . وجار حتى على السمك في البحور . فلو مسخه الله ذنباً لفتك بجميع الحيوان . أوحية لما بقى على وجه الأرض إنسان . وحسبك أنه يحب المظالم حبه لأولاده وأحبائه الثام . ويبغض المراحم بغضه لأضداده وأعدائه الكرام ... »

هذه هي سيرة (رحلة أبي نظارة زرقا الولى ...) قد عرضنا لها جملة وتفصيلاً ، وبيننا مواضع القوة والضعف فيها ، وهى بالرغم من كل الهنات التى لاحظناها فى إنشائها وأخطائها الإملائية والمطبعية تعتبر فى ذمة مؤرخ الصحافة عملاً جليلاً القدر ، وخاصة إذا راعينا أن محررها قد أعد لها العدة فى ظروف مادية قاسية وفى عجلة ودون تأن ، فإنه لم يستكمل شهرين فى المنفى إلا وكان العدد الأول من (الرحلة) قد ظهر مطبوعاً على الحجر برسمه الجميل ، وهذا نشاط صحفى كان ينبغى أن تظهر آثاره على مهل حتى يحىء كاملاً مستوفياً كل أسباب النجاح .

صنوع ويصول ، ويؤرخها على طريقته المعروفة.

لقد كان يعقوب يعرض على مواطنيه مآسى الأزمة المالية عدداً بعد عدد ، وكان ناقداً مر النقد ، قاسياً أشد القسوة على الحكومة والخديو والأجانب وخاصة الإنجليز ، غير أنه لم يكن يريد ، مهما تكن الأسباب ، أن يتهز أحد فرصة الارتباك المالى فيحتل البلاد ، أو تصبح البلاد في يد حكومة أجنبية تدبر أمرها ، وهو يفضل الموت ولا العيشة تحت تسلط حكومة أجنبية ، غير أن ذلك لا يمنع المترجم له من الترحيب بعزل إسماعيل وتعيين حلیم ، وقد أجرى هذه الأمنية على لسان « أبى العينين » حين قال لأبى الشكر : ده شيخ التمن (١) كتب لدول أوروبا أنه رايح يرفت شيخ الحارة ويولى عمه بداله وهم جاوبوه وقالوا له الحارة حارتك إعمل فيها كما تشاء ، (٢) ثم يهاجم أبو نظارة الخديو إسماعيل وكرسى الحكم يهتز من تحته اهتزازاً عنيفاً ، ولا يرى هناك أملاً في مستقبل مصر وحاضرها على يديه ، بالرغم من تعيينه لشريف باشا ناظراً للنظار ، وهو يمثل الديمقراطية الهادئة والفئة الرشيدة أيام إسماعيل . وفى ذلك يقول فى رسالة « من أبى نظارة معظمه فى مصر إلى أبى نظاره زرقا يباريز » : « لاتظن الوزارة الجديدة يطيل عمرها بل تستعفى عن قريب لأن مازال الجندى (٣) يلعب بديله كسوابقه ، وأوامره يصير إجراها بدون علم أبوشرف وبابا راجب ، والظلم والجور على حاله ، ولا يطلع من يدغم شىء معه ، وصدق من قال لاتفرحوا لمن يروح لما تشوفوا من ييجى . شوف يا عزيزى ، إذا رب العالمين عين سيدنا موسى ناظر مالية وسيدنا عيسى ناظر خارجية وسيدنا محمد ناظر جهادية كن ميقتن أن الفرعون يعمل شغله بسحره ويضحك عليهم ، وكلما مسكوه بسرقة وقالوا له جزاء الجرامى قطع يده يقول لهم والكاذمين الغيظ والعافين عن الناس توبه من دى النوبه ! فلذلك أقول وهذا رأى جميع أبناء مصر أن إذا ما أسعفناش مولانا الأعظم بحمله تحصل أشياء عمرها ما حصلت لأن العالم هنا يندست وقطعت الرجا والدنيا

١ - شيخ التمن هو سلطان تركيا وخليفة المسلمين وصاحب النفوذ فى تعيين أمراء مصر وخلاصهم

٢ - العدد الثالث من أبى نظارة زرقا ص ٢ نهرا . السنة الثالثة

٣ - يقصد الخديو إسماعيل . وأبو شرف هو شريف باشا ومولانا الأعظم هو سلطان تركيا

وحده هو البرلس حلیم .

صبحت سودا أمام عيونهم ولا أحد يشفق عليهم» (١).

ثم يصور لنا المترجم له نفسية إسماعيل على لسان إسماعيل في تلك الظروف التي كانت تمر به ، إنه في فزع وخوف بالرغم من أنه سيد البلاد ، إنه يؤرخ لنا عن الحاكم المستبد الذي عجزت صحيفة معاصرة في مصر عن أن ترسم لهذه الصورة البديعة ، وما كان في وسع جريدة أو مجلة في البلاد أن تقص على قرائها ظروف إسماعيل المضطربة ، ولكن صنوعاً يبدع في هذا الوصف ويمتدح في هذا الخيال الذي جاء بعنوان « شيخ الحارة » وهي لعبة تباثيرية حصلت في أيام الفراعنة ، وأشخاص اللعب هم شيخ الحارة ومشخملو هانم وشمعدان أغا حريم وتوقيف أفندي ونحس ونحسين ورياض وأبو الحلم ومجدع الجهادي وجدة ابن البلد وعمر شهامة فلاح» (٢).
ولسنا نريد أن نطيل في اقتطاف بعض ما جاء في اللعبة التباثيرية ، وإن كانت جذيرة بنقلها جميعاً ، غير أننا سنقتصر على إسماعيل وهو في حجرة نومه لم يمسه الكرى ، ساهد حتى مطلع الفجر ، يحدث نفسه حديثاً تمتعاً فيه صورة بديعة لشخصية الخديو وطرائق نظره إلى الحياة ورأيه في وطنه ومواطنيه .

يقول إسماعيل « راحت عليك يا أبو السباع آه الله يلعن اليوم التي فيه توليت شيخ حارة ، ده كان يوم نحس وأنا كان مالي ومال الشبكة دي اللي زى الطين ، المكتوب على الجبين تراه العيسون ، نعمل إيه في طمع الدنيا ؟ أدبني صبحت أشقى مخلوقات الله والخوف قاتلني ، مانتين عسكري ومدفعين حول سرايتي وبرضى مرعوب ، وكل ما أسمع حد قابل على أنفزع وقلبي يطب وأقول في نفسي آهم ضباط الجهادية وتلامذة المدارس وأولاد البلد والفلاحين جاينين يتقدموا مني ويقبضوا روحي ويأخذوا مفاتيح السهاريج وينهبوا الأموال اللي لميتهم بغاية التبع والمشفقة ويولوا عمي العديم شيخ حارة عواضي . بلاهلس . . . ده أنا سيدهم في المكر ولا أخاف من ملك الشياطين ، أما الجماعه مستحلفين لي بقطعة علقه صنعه . ما يطلعش من يدهم حاجه ، البصاين كثير ومأمور الضبطية جدع ولي حبايب أصدقاء بين الضباط والتلامذه ويعرفوني بكل اللي يحصل يومي ، أما أبو نضاره اللعين راح جددله جرنال

١ - العدد السابع من أبى نظارة زرقا . السنة الثالثة .

٢ - العدد الرابع من أبى نظارة زرقا . السنة الثالثة . ص ٢ ، ٣ ، ٤

تاني وقال في حب الوطن . آهو زى الكلب اللي بينبح خليه يعوى... آيا اسمعيل...
 انت بتسلى غلبك وهملك با لكلام ده إنما قلبك بيرجف وضميرك فى قلق ، آهو الليل
 ينفوت بطوله وعينك ما بتدوق النوم ، آدينى سامع تشخير الأغاوات ، يا بختهم دول
 مبسوطاين ولاهم عارفين الدنيا بتعمل بهم إيه ، والناس اللي ماتقهمش الصورة إيه
 تقول عليهم دول مساكين لكونهم محرومين من لذات الدنيا ، آه يامغفلين والله
 ما حد محروم غيرى أنا ، لكونى ما بستاذ لا بأكل ولا بشرب من خوفى أن خدامينى
 يسمونى، ولما أخرج من البيت كلها أعدى على شارع وأجد فيه زحمة يبان لى أن يوم
 القيامة جاء وأنظر يمين وشمال ومن لحظة للحظة يترآى لى أن العالم رايحه تهجم على
 عربيتى وتهلكنى . ياخى لا . والله إنى مجنون . هو أنا فى أوروبا ؟ إحنا فى مصر
 وأولاد مصر يخافوا من خيالهم ، دول ناس ، ذرطه من غير مؤاخذه تطيرهم ، ولما
 ما كتتش خلصت من أيادهم يوم قيامة الضباط ، آدينى بعمل بكيفى ولا حد قادر
 على . غبار طلعت عليه ضامه وشقلبته رغما عن أنف مشايخ حوارى الإفرنج ،
 وفلسن وبلانور دسيتهم فى جيوبى ، وبأذن الله أتصر على شيخ التمن وأحطه هو
 ووزيره فى الجراب . أما اللى غايظنى أنا ، هو أبو الحلم لأن كل الشعب هنا يحبته ،
 ولما ما كانوش يكتبوا لشيخ التمن ولا عظم ملوك الإفرنج ويتشكوا من جورى وظلمى
 ويقولوا عاوزين لهم شيخ حارة كريم حلیم . الله ينعلكم يا أهل مصر ، يعنى أنا عملت
 لكم إيه ؟ أنا شارىكم من عبد العزيز ، ودأىما السيد يفعل فى عبده كما يشاء ، فلو سكم دى
 فلوسى وأنتم ملزومين تخدمونى بالسخرة ، وللا الفرق بينى وبينكم إيه ؟ أما الفلاحين
 ييموتوا من الجوع . إن شاء الله ما فضلوا ، الفلاح ما هوش بنى آدم . الفلاح بهيم وربنا
 خالقه للتعب زى التور ، والتور أنفع منه لأنه بيعطينى لحمه آكله أما الفلاح بتن وهو
 حى ، وبعد موته القبر فيه خسارة ، لو كان هنا هذا الخنزير أبو نضاره . كان يقول لى
 القبر خسارة فىك يا فرعون لكونك بتظلم خلق الله ، إنما أبو نضارة نفينا من حارتنا
 وآهو قاعد يشحت فى بلاد فرانسا . آهى الشمس طالعه وأنا لسه ما نمتش . آه من
 عيشتى أما أمرها والعامل إيه ؟ الشيطان يدبرنى ...

لقد اكتبنا بنحو نهر من الصفحات الثلاث التى نشرها أبو نظارة ليصور فيها
 نفسية الخديو إسماعيل قبيل عزله بشهور قليلة ، وقد تعرض فيها الكاتب لعيش

الأمير بشئون الحكم ونهجه في جمع المال ، ثم شرح حياة القصر كأنه واحد من أقرب المقربين إلى الخديو ، فعرض أسرار بيت إسماعيل وفضائحه ، كما قال رأيته في « أولاد مصر » على لسان إسماعيل ، فقد كانوا حقاً يخافون خيالهم وإلا لثاروا على الطاغية وثلوا عرشه ، ولكنهم استكانوا حتى تدخل الأجانب فعزلوه بعد نحو ثلاثة أشهر ، ثم شرح رأى البيت المالك في الفلاحين المصريين ، وهو رأى توارثه الخلف منهم عن السلف لقد شرح أبو نظارة لقرائه نفسية إسماعيل في عدة فصول من لعبته التياترية وهو لا يريد أن يختم هذه اللعبة دون أن يبين لهم طريق التخلص من الظالم ، لعل مادار بذهنه

يعجبهم ، أو لعل الشجاعة تواتهم فيهضون لإفقاد بلادهم بطرد إسماعيل ، وقد رسم لهم ذلك في المنظرين ، الرابع والخامس ، نشرهما هنا ، فقد كان أكرم للمصريين لو استطاعوا تمثيل هذين الفصلين على الصورة التي بينها الكاتب الأدب

(المنظر الرابع في شارع عبيد .
شيخ الحارة وتوقيف (١) ونحس
ونحسين ورياض حاملين أكياس على
أكتافهم وأوراق تحت باطنهم ووراهم
دسته قواصه ثم مشايخ الأزهر)
رياض — انحللوا يا جماعة ،
مانتوش سامعين

الزعيق من بعيد (الجميع يرحلوا)

مشايخ الأزهر - (على بعد) ربنا كريم حلیم یابو نضاره الله ينصرنا على
شيخ الحارة

توقيف — حتى المشايخ ضدنا ، ده أنا يوم الدومسه عملت لهم مقام



رياض أو أبو رياض
أو الوزير المشطع ١١

شيخ الحاره — جيعانين نعطى لهم لقمة جراه يسكتوا
(المنظر الخامس . مشايخ الأزهر والضباط والتلامذه والورشجية
(المرفوتين ومجدع وحقق وعمر شهامة وأبو الحلم وأبو الخير)
مجدع — (يسلم سيفه ويقول لشيخ الحاره) طالع ترمح على فين يافرعون ؟
حقق — الأكياس دى والأوراق ثقيله عليكم (يأخذها منهم ويعطيها
للتلامذه والضباط)

عمر شهامة — آء ياغاير ياما عملت فينا
أبو الخير — (يقول لشيخ الحاره) اقرأ هذا الفرمان من مولانا السلطان
أبو الحلم — أنا نصحتك يا ابن الأخ من مدة سنة بجوابى فلو كنت سمعت
كلامى كان البر انصلح وانت فضلت عليه شيخ حاره ، إنما أنت
خربتته وهتكت اسم مصر وأهلها

حقق — لما توليت يافرعون البر ما كاش مديون ، واليوم عليه مائة مليون
جنيه ، المبالغ دى راحت فين ؟

مشايخ الأزهر — بنى بها سرايات وصرفها فى الفسق والفساد
عمر شهامة — وعوض ما يساعد الفلاح ويصلح أحوال الزراعة اللى هى سعادة
أهالى القطر ، فرعون بسلامته نهبنا وباع أطيافنا ومواسينا وموتنا
من الجوع

مشايخ الأزهر — فرعون كافر وأخرته الجحيم وربنا كريم حلیم .
أبو الخير — (إلى الضباط) تسلمكم شيخ الحاره وأولاده ووزيره ، لذهبوا
بهم إلى الاسكندرية ، وأنت يا مجدع باشا سلمهم إلى قبطان مركبنا
العثمانية وهو يجرى اللازم (الضباط وحقق يفعلوا ذلك ويضربوا
القواصة اللى يتجاسروا يعارضوهم) .

شيخ الحاره — (يزعم ويقول) الحاره حارتى وأنا شيخها وأنتم مالكم ومالى ؟
مشايخ الأزهر — بترجروه . ما تسمعوش كلامه .
(الجميع يغنوا)

لأنت فين يا أبو نضاره تجى تشوفنا منصورين

على عمك شيخ الحاره وعلى أولاده المنحوسين
النهارده يوم عظيم لإفرحوا بأهل النيل
الله ينصر سى حلیم ويعاقب اسمعيل

ويعود أبو نظارة فيستيقظ من هذا الحلم الذى تمناه للمصريين وتجاوبه الحقيقة المرة بأنهم أضعف من أن يسلكوا تلك الطريق ، وأن النخوة تعوزهم لبلوغ هذا الأمل فيقول على لسان أبى خليل : أهل مصر كانت شجاعة فى أيام الفراعنة ، أما اليوم ما يخرجش من يدهم بعملوا شىء زى ده لأنهم أخذوا على التنبله ، ١

وهكذا ينتهز يعقوب بن صنوع هذا القلق الذى أصاب الخديو اسماعيل وهذه الاضطرابات التى أحاطت بعرشه ، فيجلى فى الحملة عليه وعلى الفساد الذى أشاعه فى البلاد ، وأساء به إلى الدين أيضاً كتصرفات الخديو فى أموال الأوقاف الخيرية التى كان ينبغى أن يراها بالذمة والشرف ، كلها يخرّب منزل أو حانوت بدل تعميره جارى مبيعه والعقار والأطيان الموقوفه للجوامع وغيره التى انهدمت فى الشوارع ويزيد عددهم عن مائتين أخذهم الفرعون ، فهذا هو السبب الوحيد لخراب الجوامع وتعطيل الشعائر الإسلامية . . . (١)

ثم يعزل إسماعيل العدو الدود ليعقوب بن صنوع ، ويتولى الأريكة الخديوية ابنه توفيق ، ولم يكن فى ذلك تحقيق للرجبة الجارحة فى قلب يعقوب ، فهذا بعض النصر وليس النصر كله ، إنه كان يريد أن ينقذ إسماعيل من مصر ويتولى مكانه عمه الأمير حلیم ، وهو أسانه فى مصر أو فى خارج مصر ، بيد أن عزل إسماعيل لم يقض فى نظره على المفساد ، إذ احتفظ العهد الجديد بأدوات الحكم القديمة ، وهى أدوات فاسدة يعلن عنها عن طريق خطاب تلقاه من الجزيرة وفيه يقول صاحبه : ربنا يخلصنا على خير من وكيلنا أحمد عصمت لأنه جايب لمديرتنا العيا . ده كان فى المدة الماضية محسوب خلخال أغا شمعدان الست الكبيرة ، والآن محسوب كمال أفندى ، ومن حيث أنه لم يكفى بالنهب والسلب السابق ، فهو دلوقت يعمل شغله فى أكل أموال العالم بالباطل ، وينظم ويهندس فى مزروعاته ، وفرعون الصغير (٢) ما استعناش

١ - العدد الخامس من أبى نظاره زرقا - السنة الثالثة . من ٣ نهر ٢

٢ - فرعون الصغير هو الخديو توفيق

يقرا الأعراض (١) التي قدمناها له ، بقي شوف لنا طريقة انت يا بونضاره والسلام .
انت ربنا بيقبل منك ، ولما دعيت على الأب سمع منك وريتحنا منه ، فبالله يا وليد
ادعى لنا على ابنة وخلصنا من شبكتة اللي زى الزفت . عسى الحليم يحلم بحلمه .. (٢)
ولم يعدم بالطبع ، إسماعيل قبل خلعه وتوفيق بعد تعيينه ، من السنة تهاجم
الأمير حليما الذي تعلق به كثير من أحرار المصريين ، وكانت تلك الألسنة تهاجمه
بشدة في الصحف الأوروبية ، وخاصة في الصحف الإنجليزية ، وقد استطاع دعاة
الخدوي أن يؤثروا في تلك الصحف ، فخرجت بمقالات عنيفة صورت بها حليما
نكرة لا عزوة له في مصر ، وقد رد أبو نظارة على تلك الصحف بمقالات ممتعة ، سل
فيها الحق من الباطل ، وأشار إلى ذلك كله في أكثر من موضع في صحفه الكثر (٣)



شريف باشا أو أبو شرف ١١

وليس يعنى هذا أن المترجم له كان
يكره أن تستقر أمور مصر ويسودها
العدل على يد توفيق ، وأنه كان يرحب
بالأمير حليم أميراً عليها ولو فسد الحال
وساء المثال ... لأنه هو واطن شريف يؤثر
حليما بالسكامة الطيبة لأنه نفي من مصر
وحارب في رزقه عندما أوصى ابن أخيه
إسماعيل بأن يخفف همه ويهذب من
سلوكه ، فاستحق عند الأحرار المسكامة
المرموقة ؛ ولقد كان يعقوب يتمنى أن يجد في
السياسة الجديدة في عهد توفيق ما يصرفه عن
خصومته ، وهو ينشر مقالا جاءه من
مواطن مصرى فيه بعض الثناء على توفيق

وفيه رجاء لمصر في العهد الجديد ، فأذا مثل في (المحاوره) عما إذا كان من سياسته
نشر مثل هذا المديح رد على سائله قائلاً : معلوم لأن النضاره جريدة وطنية ماهش

١ — يقصد الامراض

٢ — العدد التاسع عشر السنة الثالثة من أبى نظاره.

لا إسماعيلية ولا توفيقية ولا حلليمية ، فعلى شان كذا لازم ندرج فيها كل ما يخص الوطن ، (١)

ولكن أبا « خليل » يعترض على ذلك بأن الخطاب الذى سينشره - وقد نشره فعلا - فيه مدح شديد ، وهل من العدل أن ينشر مثل هذا المديح فى شخص لا يستحقه فيجيبه بن صنوع ، وفى إجابته تظهر وطنيته السليمة قائلا « ياريت كان يستاهل المدح ده كنا نفرح ، لأن نحن غاية منانا صلاح البر ، إنما يظهر من الرسالة الواردة لنا من جمعية محبين الحرية أن الأحوال برضاها على ما كانت فى عهد فرعون وأذرت ، ويتأخر فرمان التولية ، ويعرض أبو نظارة فى صحيفته لهذا ولغيره من الشئون ، ويذكر أن أمور البلاد لاتزال فى يد إسماعيل يقضى فيها من بعيد بأسوأ ما تقضى به الأمور والأحكام ، وأن المصريين جديرون بهذا الذل لأنهم ارتضوه وقبلوه ويمكنوا له ، فإذا عاب أحدهم فى « المحاورة المنشورة » على المصريين بأنه كان يجب عليهم أن يفرعوا إلى دول أورروبا طالبين تعيين من يرضاه المواطنون ، أجابهم ابن صنوع على لسان « الخطيب » بقوله : الكلام ده خليه لأهل أورروبا اللي حكمهم تحسب لهم حساب ، أما إحنا حكمنا يضربونا ويأخذوا كرا إيديهم ، أدحننا شغنا عزل الأب وتولية الابن ولا تحر كناش ، ياريت بس كذا إلا كان عملنا زينه ، واللى ما كنش راضى يعلق على بابه قنديل كانت الكومسيون تعلق على خدوده أقلام ، ١

وإذا أشار أحد أعضاء المحاورة بالفرع إل السلطان لي عزل الابن كما عزل الأب قال يعقوب على لسان الرئيس : السلطان ما بقت لوش سلطة على مصر ، والربط فى فى يد دول أورروبا ودول أورروبا وضعت الولد مؤقتا ، وبعد كم شهر إذا شافت أنه ما هوش فالحال تشمله ، فنحن نقدر نكتب لفرنسا وانككترا ونعرفهم أن الحاكم اللي انتخبوه لنا أذرت من أبوه ، وأنه يكره الناس العدلين ، ونلتمس منهم بأن يخلونا نولى اللي يعجبنا ، لأن إذا استمرت الأحوال على ما هى اليوم . عمرها مصر ما تقيم راسها ، أهم بدوا يوقفوا صرف الماهيات ، ومن يعرف رايح يجرى إليه فى دفع السكوبون ، وإذا تبين يعقوب بن صنوع أن الأمل ضعيف فى القضاء على توفيق كاقضى على إسماعيل ، أخذ على عاتقه كشف نوايا الحاكم الجديد ، وأساليب التهريج اللي كان

ماذا فعلتم وأى فرده بظلم وأى مظلوم خلصتم وأى مصيبة خفقت ، يا هل ترى نجاحهم مثلها حضرتك جاوبت أصحاب الجرايد أن لالنا نواب ولا شورى ، وليس فينا من يفهم وكلنا على جهل ، لانحسن الخطاب ولا ندرى الجواب ولا فينا عشرة أشخاص يفهمون عبارته ولا يدرون إشارته ، مع علم سيادتك بأن إذا انفض المجلس على غير طایل فكن ميقن أن الأمة لا ريب تلقى المسؤولية على الوزارة .

أبو خليل - يحرس ذا الفم ، طيب وباقي الأعضاء قالوا إيه ؟

أبو نظارة - صاحوا بأعلى صوت وقالوا تعيش الحرية .

أبو خليل - أما الجماعة اتجدعنوا وعملوا الواجب ، بس أنا بستغرب إزاي سكتوا لهم ؟

أبو نظاره - الجندي الیومین دول بعيد عنك ... (٢) فی لباسه اعلمه أن شیخ التمن زعلان علیه وحلف یمین معظم بالله وبرسوله بأن یخلع عدو أمة محمد ویولی محله الشیخ المتصف بالحلم ، فعلى شان كده أبو السباع بیطنش ...

وهكذا لم یخل عدد من التعليقات على تصرفات ریاض باشا حين كان وزیراً للدخلية أورئیساً للحكومة ، ومن التصرفات التي أفلقت بال یعقوب بن صنوع هذا الإرهاب الذی شنه ریاض على الصحف المصرية فی أواخر سنة ١٨٧٩ ، فقد صادر صحفاً وأغلق صحفاً ، ویقول المترجم له : على شان جرنال فتاة مصر (١) مع جرنال المیمون وجرنال التجارة ومصر الجاری طبعهم باسکندریه تسکمو فی صالح الوطن أصدر مره بتعطيلهم ، وقد كان وجرى تعطیل الأربعة جرائیل المذكورین فی أسبوع واحد ... (٣)

إن الضغط الذی لقیته صحافة مصر ، لقیه أيضاً أبو نظارة من حكومة ریاض ، فقد صادرت صحیفته ، الأمر الذی دعاه كما ذکرنا من قبل إلى تغییر اسمها حتى یتیسر

١ - هنا نفظ رفعمناه لأنه لا یلیق بالذکر .

٢ - بغداد جریده مصر الفتاة إسان حال التفرمین فی ذاك العصر

٣ - السنة الثالثة من أبی نظارة زوتنا - تعدد ٣٠ من ٣

إدخالها إلى مصر وقد حاول أن يصدر صحيفته الجديدة وإلى جانبها صحيفته القديمة ، ولكن ذلك تعذر عليه ، فقد كان فوق مقدوره أن يوالى صحيفتين معاً سواء في تحريرهما أو في تمويلهما ، غير أن تغيير الاسم لا يعنى مطلقاً اختلافاً في السياسة ، بل إننا إذا أنصتنا إلى أى صحيفة جديدة فكأنما نقرأ أو نسمع إلى أبي نظارة زرقا أو إلى رحلة أبي نظارة الولي ، لذلك كان اختفاء (أبي نظارة زرقا) أمراً لم يسهل إلى تاريخها قط فقد عادت بعد سنوات كاسنين في فصول مقبلة ، واحتل مكانها في تلك الفترة عدد من الصحف الأخرى ، جرت على سياستها تماماً ، وهي — أى تلك الصحف الجديدة التي سدت الفراغ — تعتبر في ذمة المؤرخ امتداداً لأبي نظارة زرقا ، لذلك ، يحسن دراستها على ضوء هذه الحقائق دون نظر إلى أى اعتبار آخر

النظارات المصرية

كانت مجلة (النظارات المصرية) إحدى الفواصل التي قطعت على (أبي نظارة زرقا) سيرتها ، فقد احتلت مكانها جزءاً من السنة الرابعة لصدور صحف يعقوب بن صنوع ، وإن كانت النظارات المصرية قد صدرت قبل اختفاء اسم المجلة الأصلية ، وإن كانت أيضاً تختلف معها في الحجم ، فهي تشبه الكتب الصغيرة المعروفة ، وأبو نظارة زرقا في حجم مجلاتنا المعاصرة التي تماثل روز اليوسف والجيل الجديد وما إليها

صدرت (النظارات المصرية) في ١٦ سبتمبر ١٨٧٩ ، جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية ، وقد أشار إلى قرب صدورها صاحبها يعقوب بن صنوع في العدد الثلاثين من صحيفته أبي نظارة زرقا (١) وهي في عمومها تشابه من حيث التحرير والإنشاء صحف المترجم له الأخرى ، غير أنها تختلف عنها في كثير من الموضوعات التي عالجتها كما أنها مطبوعة على الحجر بخط جميل ، ويحتل صدرها دائماً رسم يمثل فكرة من الأفكار السياسية التي كانت تشغل بال الجماهير في تلك الأيام ، وبعد صدور عدة أعداد منها ، رأينا في الصفحة الأخيرة رسماً معيناً يسجل رأياً معيناً بالإضافة إلى الرسم الأصلي المنشور في الصفحة الأولى

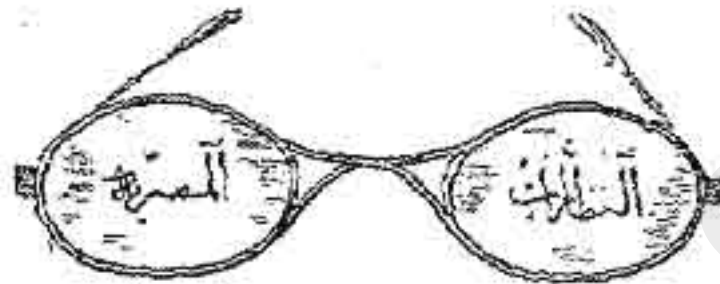
كان أول موضوع عالجنه (النظارات المصرية) متصلاً في أكثره بإنشاء المجلة وأسباب هذا الإنشاء ، وقد جاء هذا كله تحت عنوان : جلسة يوم الجمعة المبارك في محفل محبين الوطن تحت رئاسة أبي نظارة معظمه ، والحاضرين الرئيس وكاتب البد وأمين صندوق والخطيب والشاعر وجميع أعضاء الشركة ، وبحسن ونحن نؤرخ لهذه المجلة ، التي لم يطل عمرها إذا صدر منها عشرة أعداد فقط ، أن تسجل ما يعيننا من جلسة يوم الجمعة المبارك ، تلك ، ففيها إيضاح لسيرة الصحيفة ، وبيان واف عنها

الرئيس — بسم الله الرحمن الرحيم ، إهدنا الصراط المستقيم ، واحفظنا من شر وزارة الواد اللئيم . إننا علينا يا حضرة كاتب يدنا أخبارك المهمة كاتب البد — سمعاً وطاعة يا رئيسنا المحترم ، ورد لنا خطاب ظريف من أستاذنا

١٩

١٦ سبتمبر سنة ١٩

عدد ١



جريدة تاريخية مصرية تحرير مصر واسكندرية

Druckerei Augusten, rue Augustin, 5.



عن يد كاتبه بنظر من البلاد في مصر في ١٩
 Du kaiser du ciel Mohamed Aly verser des larmes
 sur les miseres de son peuple

من صحف يعقوب الاولى في باريس

الجليل أبو نضاره زرقا وبه يفيدنا أنه اتفق مع الموسيوراجنو (١) الطبيع يباريز على نشر جريدة النظارات المصرية التي نحن عازمين على تأليفها لتتویر أبناء وطننا العزيز وإرشادهم في سبيل الحرية، فالمسيوراجنو قبل وعيّن للنسخ شخص على معرفة عظيمة في لغتنا العربية، وتهد بأن يطبع خمسة آلاف نسخة من كل عدد ويرسلها بطريقة حسنة إلى وكلائنا للبيع

الرئيس — أبو نضاره زرقا رجل لطيف ويستحق أنخر المدح لكونه يسعى دائما فيما ينتج منه تمهذيب وتنوير وشرف أولاد بلده

أحد الأعضاء — أمال لايه بطل أورايح يبطل نضارته ؟

الرئيس — هو الله يحفظه قبل ارتحاله من ديارنا كان أوعده بنشر ثلاثون عدد بصفة رحلة، فعندما انتهت الأعداد المذكورة، جمعيتنا الشريفة التمسست منه بأن يكتب ثلاثون ثمرة أخرى . فامثل لأوامرنا وفعل ذلك، فالآن يحجب علينا بأن تتبع قدوته ونرفع عنه هذه المشقة، ونجاهد نحن مثله في ميدان الحرية وحب الوطن

الخطيب — أبو نضارة زرقا اكتسب له اسم لايموت بل يصير حتى خالد بعد موته

الشاعر — كما قال أحد شعرانا

وأخو العلم حتى خالد بعدموته وأوصاله تحت التراب رميم
هو ذو الجمل ميت وهو ماشى على الثرى يعدم من الأحياء وهو عديم

الخطيب — الله الله ! ما أعذب هذه الآيات ! ربنا ما يحرمنا منك يا شيخ يوسف يا شفعاوى يا شاعرنا العزيز، أما احنا يرجع مرجوعنا إلى أمر جرنالنا الجديد .

أمين الصندوق — أنا بناء على أمر رئيسنا المحترم أرسلت إلى الطبيع الدراهم اللازمة إلى طبع العدد الأول والثاني، وحين يصير يبعهم هنا واسكندرية، جميع الأرباح التي تنتج من بعد المصاريف نفرقها على مساكيننا

١ - جاء ذكره في أ مكان من موضع في ببلاته الأخرى

الذين يومي في الزيادة لكثرة ظلم الحكام وجورهم .
كاتب اليد - جزاك الله خير يا أمين صندوق ، وأنا أنسخ جميع المقالات
والمحاورات التي يتلونها علينا أعضاء شركتنا الخيرية وأرسلها إليه ،
وأكتب خطاب لأستاذنا أبو نضاره زرقا وأترجاه بأنه يفضل
علينا ويكتب لنا مخاطبة ظريفة يوضح لنا فيها رأى جرايد أوربا
من ظلم فرعون الأكبر مدة تسلطه على برنا .

الخطيب - حضرة الشيخ يوسف الشفعاوى شاعر محفلنا الشريف مؤلف
الرحلة المشهورة في تاريخ المطرود التي درجها في رحلته جس
أبو نظاره زرقا كتب مقامه عظيمة في هذا الموضوع ...

الرئيس - سمعنا ياسيدنا مقامتك الظريفة ١
الشاعر - ولو أنها ليست في محلها . مع كل ذلك سمعاً وطاعة .

وهكذا شرحت جلسة يوم الجمعة المبارك سياسة المجلة ، وهي نفس السياسة التي
عرفناها عن مجلاته الثلاث التي صدرت من قبل ، ونجد في (النظارات المصرية)
أيضاً نفس الموضوعات التي طرقت في أكثر من عدد في صحفه الأخرى فنقرأ
المقامة المصرية ، التي جاء ذكرها في (الجلسة) ونرى تمثيلية لطيفة من عدة فصول ،
وقعت حوادثها في سوق السلاح بين زمزم بيّاعة عيش فارشه على الأرض ، وإبنا
رضيع على يدها ، وديوس أعا قواص تحصيلات الفردة ، وهي تعرض لنا صورة من
قسوة الضرائب المفروضة على صغار الباعة ، وصلاف الموظفين وجبروتهم ، وتدخل
الأجانب في أخص مسائلنا ، ثم يمضي المحرر فيقدم المحاوراة التقليدية بين (أبو خليل
وأبو نضاره) (٢) على طريقته المتبعة .

وإذا كنا قد لاحظنا أن صحف يعقوب قد هاجمت رياض باشا في أكثر من
موضع ، فإن النظارات المصرية تعتبر صحيفة (تخصص) في الحملة على ذلك الوزير
المصري الذي تسميه « أبو ريشه » وتدخل في هذا التخصص أيضا الوزير نوبار ،

١ - النظارات المصرية - العدد الأول ص ١٠

٢ - النظارات المصرية - العدد الأول ص ١٤

وقد رأينا في أحد أعدادها (١) محاورات خاصة بما نشرته جرائد أوربا عن الواد الأهبل والوزير نوبار ورياض ، وفيها تعليقات شديدة اللهجة تجاوزت المفهوم في ذلك الزمان ، وخاصة تلك التعليقات التي جاءت في معرض التحدث عن «مخفل محبين الوطن تحت رئاسة أبي نظاره معظمه» ، وقد انفرد هذا العدد تقريبا بما أشرنا إليه وحسبنا هذا الحديث الطويل الممتع عن الحسين ألف جنيه التي دفعت رشاشي في تركيا في سبيل الحصول على فرمان تولية توفيق للأريكة الخديوية ، بينما الشعب المصري يتضور جوعاً ويموت أبناؤه بالعشرات نتيجة البؤس والفاقة ، وينوء أغنياءه بالضرائب الباهظة التي أفسدت عليهم طعم الحياة .

وبصور يعقوب بن صنوع الخصومة التي بين رياض وبين الصحفيين الأحرار ، ومدى العنف الذي اتبعه معهم ، حتى وصم عهده في شئونهم بأنه عهد المحنة التي لم ترحلها مصر شيئا لا من قبل ولا من بعد ، فقد أغلق الصحف وصارها ونفى كثيرين من الكتاب وأصحاب الجرائد في سنة ١٨٨٠ وفي مقدمتهم أديب استحق صاحب جريدة (مصر) وهي جريدة وطنية أصدرها هذا الشاب معبرة عن رأي الحزب الوطني (٢) ويقص علينا المترجم له قصة رياض مع أديب في «محاوراة بين الواد المرق ووزيره المشغلع ، ومفهوم أن المرق ، هنا هو الخديو توفيق ، الذي اعترض على رياض في أحد الموضوعات فقال : —

الوزير — يظهر أنك اطلعت على جورنال مصر اللي قفلناه هنا وفتحوه في باريز ، ماتسمعش كلام الواد أديب ، ده رجل طويل اللسان يعرف له كلمتين ثلاثة نحو يتباهى بهم ... ياريتك سمعت شورتى ككنا سقينا (٣) وخلصنا منه ومن شبكته هو الثاني ، لأن مع الشبان اللي من العينة الخبيثة دى اللي تتجاسر وتحكى في حق أسابها ، المعروف ما ينفعش ولا يجوش إلا بالملوف .

الواد — طيب ونسكت العفريت ده ازاي كان ؟

١ - النظارات المصرية - العدد الثاني

٢ - راجع تطور الصحافة المصرية للمؤلف ص ٢٤٦ وأعلام الصحافة العربية ص ١١٦ وما بعدها

٣ - أي سوءه انجان القهوة التقليدي ، وهو مخلوط بالحم كالمحمدنا يعقوب في أكثر من موضع

الوزير — إذا سمعت شورتي أبو شرف (١) وبابا راغب وعمر لطفى وعزى وثابت وحيدر وشاهين والمفتى والبكرى الى جميعهم أعداك ومايلين لعم أبوك، يسكت أديب القبيح، لأنه هو رايد لهم ومحسوسهم، وفي الواقع إحنا ما حناش قدر لسانه ... كلب ينتش لمح، أسكت يا أفندينا أنا منغاظ من الجدع ده واللى يحكمى عليه أقطم زمارة حلقه لأنه هو اللى يهيج العالم علينا بكلامه الى زى الرصاص ... (٢)



وحقا لم يكن توفيق ولا رياض بكفئين للأديب الكاتب أديب اسحق، فقد أصدر في باريس جريدته باسم (مصر القاهرة) نشر فيها عدة مقالات، تعتبر في ذمة التاريخ من الروائع التى كتبها صحفى في جريدة سيارة، وكانت تلك المقالات تنهر عن أمانى الحزب الوطنى وأحرار البلاد، وفي مقدمتهم شريف باشا وأنصاره من الديمقراطيين.

ولا تغنى الحملة على توفيق ورياض وغيرهم من أصحاب الشأن أن ابن صنوع قد

أديب اسحق

انصرف عن إسماعيل، فذلك أمر لا يستقيم مع طبيعة الصحفي المجاهد الذى لا ينسى الإساءة، والذى هاجر ليوظف قلبه في فضح سيرة الخديو، وقد قرأنا له في هذا المعنى لوأ جديدا لم يلجأ إليه من قبل، حل فيه على إسماعيل؛ وعرض لحياته في إيطاليا، وهى صورة لطيفة جاءت تحت عنوان (الإصحاح الأول) تنقل منها فقرات من الصفحات الست التى استغرقها هذا الموضوع

إرميا — كيف جالس فى نابولى لوحده الأمير؟

أبونظاره — لأن الناس الطاهره تبعد عن الخنزير

إرميا — من يسكن الآن فى سراياتك الفاخرة يا فرعون؟

أبونظاره — الفيران لأن بنبيعها فى المزارد لدفع الديون

١ - يقصد شريف باشا، وبقية الاجماء من الوزراء ورجال الدين الأحرار

٢ - النظارات المصرية - العدد الثالث ص ٤٤

- إرميا — كيف أصبح الخديوى الجليل أذل الأمراء ؟
 أبو نظاره — لكونه استمزا بالملك والوزراء
 إرميا — يبكى اسمعيل فى الليل ودموعه على خده
 أبو نظاره — نعم ومن غيظه (١) روحه بيده
 إرميا — ما فضل له معز من محبته
 أبو نظاره — لكونه ظلم شعبه وكفر فى دينه
 إرميا — فى يوم الضيق أصحابه تبرأ عنه وفاتوه
 أبو نظاره — من خوفهم لكونهم فى هلاك العالم ساعدوه
 إرميا — إرحم يارب وافرغ على اسمعيل
 أبو نظاره — الله لا يرحم من خرب وادى النيل
 إرميا — صبحت الجيزة والجزيرة والعباسية وعبدین
 أبو نظاره — نأجحه على اللى بناها من دمنا فرعون اللعين
 إرميا — عيب على أهل مصر تفرح وترقص فى الطريق
 أبو نظاره — معلوم تفرح فى سقوط وطرده قاتل الصديق
 إرميا — صبحت سراريه مزلات وهى فى مراره
 أبو نظاره — بلاهلس ، دى قالت له فى داهيه يا شيخ الحاره
 إرميا — ليلا ونهاراً بتندب عليه السرارى الجمالات
 أبو نظاره — الوالده باعتهم وينبسطوا عند العايقات ، ومن وقتها فى مصرنا زاد ،
 بين الشبان السكر والفساد ، وألطف جدعان دمياط ورشيد واسكندرية ،
 نزلت على . . . (٢) وصرفت من الجنهات بالميه ، وشافت لها المفاسيد
 فى مصرنا يوم ، ونزلت مع سرارى فرعون فى بحر المحبة عوم ، والكم
 صبيه اللى أخذها معه فرعون ، لتسلية على همه فى بلاد الماكرون ،
 بيخطفوها منه فى نابلي الجدةعان ، رغماً عن أنفه وأنف الحصيان ، ولسه
 ياما يشوف من الهوان اسمعيل ، ربنا يعاقب الظالم إنما بالهطويل (٣)

١ - هنا لفظ بمنعنا الحياء من ذكره

٢ - هذا لفظ لا يلىق نتمره

٣ - النظارات المهرية - العدد الخامس من ٧ ، ٨



أول طبع في مصر سنة ١٩٠٤
A. M. El-Masri
Imprimerie de l'Université

الحديث يحتضن الفلاح اينح
الفرصة لوزرائه كي يسرقوه...

وهكذا يستمر الكاتب مؤرخاً لإسماعيل
وسيرته في مصر وإيطاليا في هذا (الإصحاح)
الطريف ويستطيع قارئ هذا الفصل الممتع
أن يدرس تاريخ الحديو الخاص بتفاصيله وما
خفي منها كما أنه صور لنا لونا من ألوان الحياة
الاجتماعية التي عاشتها مصر في عهده، سواء
اتصل ذلك بالبيت المالك أو اتصل بعامة الناس،
فقد شرح لنا كثيراً من مفاسد العصر، موضحاً
الانهيار في النظام الاجتماعي الذي أصاب الحاكم
والمحكوم على السواء

وقد تفردت مجلة (النظارات المصرية)
بهذا اللون من الحوار الغريب في «أسماء»
أصحابه وفي سمعه، بل لعلها كانت أول صفحة
التي نشرت حواراً مسجوعاً، هذا إلى تميزها عن
الصحف الثلاث الأولى بنشر أخبار قصيرة عن

الحالة المالية والاجتماعية والسياسية والخلقية في مصر، وكلها تنعني المفاصل التي يرتكها
الحديو توفيق وأنصاره من عمد ومشايخ ومديرين ووزراء، وعلى رأسهم خصم أبي
نظارة الأول رياض باشا أو (أبورضه) كما تسميه (١)

وقد اتهم يعقوب بن صنوع منذ نفي من مصر بأنه صنيعة البرنس حلیم الذي كان
يدعوله ويرجو أن يعين أميراً على البلاد، وقد رأينا في (النظارات المصرية) نفياً
لهذه الشائعات التي أطلقها أعوان توفيق، وقد ذكر أن (الواد الأهبل) أي توفيق،
بعث إليه يطلب عودته إلى مصر عارضاً عرضاً مجزياً من الناحيتين الأدبية والمادية
، إنما أنا ما قبلتس لعلي أن الإبن أذرت من الأب، ثم يبين في حديثه صحف الشائعة
التي تزعم أن حلیم أمد به المال، وهذا أمر متعذر لأن إسماعيل ما خلاش أموال عند
حلیم باشا ينفق بها على محررين جرائل مثلنا، ويبين أن المال الذي يحتاج إليه يحصل

عليه بعرق الجبين ، إذ لنا صنایع بنربح منها ونصرف على جرايدنا وهذا لكثرة
محبتنا في استقلال وطننا فأنا صنعتي خوجة السن ، ولله الحمد في باريس تلامذه
عديده ، وبكتب في جرايد انكليزية وفرنساوية ونمساوية وإيطاليانية ولى عليهم
مرتبات أيضاً ، فهكذا أنا مبسوط ولست مفتقراً لمساعدة أحد . . . وهذا إعلان
صريح وجبت إذاعته رداً على خصوم المواطن المنفي ، وقد اختار له النظارات
المصرية ، فانفردت به دون صحفه الأخرى

وقصارى القول في (النظارات المصرية) إنها تكاد بحجمها وموضوعاتها ،
تتعرف كثيراً عن صحف يعقوب بن صنوع الأخرى ، حتى إنه ذكر على أعدادها
والسنة الأولى ، وكان المفروض أن تكون السنة الرابعة في سيرة مجلاته المختلفة ،
لأنه حين أبطل إصدارها ونشر د أبو صفارة ، ذكر على الأخيرة (السنة الرابعة)
كان أبا صفارة وصل ما انقطع من أنى نظارة زرقة ، وليست صحيفة جديدة كالنظارات
المصرية ، وهى أى — أبو صفارة — ليست جديدة فى شيء يتصل بالشكل أو الموضوع
كما سنرى في الفصل التالى

أبوصفارة

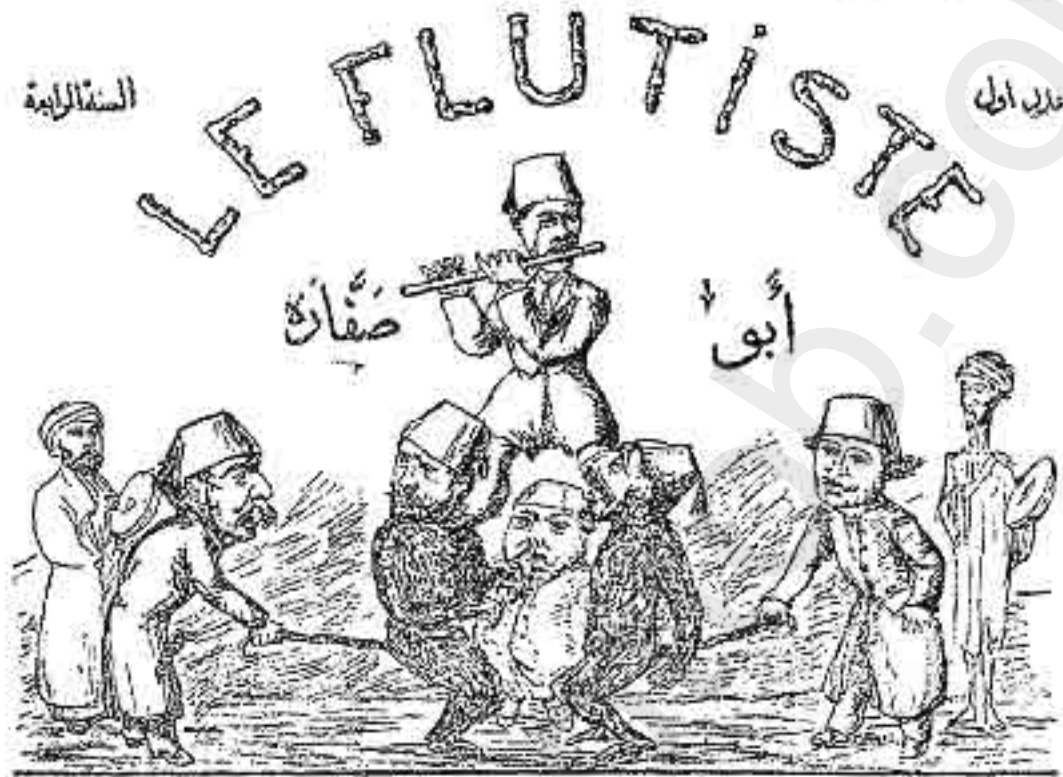
هى وصل ما انقطع من مجلة أبى نظارة زرقا ، وهى تكملة لها وصورة مطابقة فى الشكل والموضوع. صدرت (أبوصفارة Le Flutiste) فى السنة الرابعة من تاريخ صحف يعقوب بن صنوع ولم ينشر منها إلا ثلاثة أعداد فقط ، ثم أمرت الحكومة المصرية بمصادرتها ، وتعذر عليه متابعة إخراجها بهذا الاسم ، كما أشرنا إلى ذلك فى أكثر من موضع ، وهى كما يقول محررها « جريدة هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية ، يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية ، منشأها محب الاستقلال والحرية » .



لويس صابونجى وكان فى مقدمة من كتب فى صحف يعقوب بن صنوع

صدر العدد الأول من (أبوصفارة) فى ٤ يونيه سنة ١٨٨٠ أى بعد اختفاء (النظارات المصرية) بنحو ثلاثة أشهر ، وقد ذكر لنا يعقوب أسباب مصادرة وإغلاق صحيفته « النظارات المصرية » ذكرها باسم غريب ، قال إنها (الغدارات المصرية) وكان فى وسعنا أن نعتبر ذلك خطأ فى النقل لولا أن الاسم تكرر فى أكثر

من موضع ، حتى إنه أطلق على اسم صحفه (الغدارات) (والغدارة الزرقاء) ويحدثنا عن آخر عدد من النظارات المصرية على لسان مدير البوسطة . . . إنما هو يكون



جريدة هزلية أسبوعية لأبناء الناس
المصرية يحفظهم ربنا ليرى من الظلم الغربي مستنها محيا لاستقلال طوي

تقول أبناء مصر واسكندرية - حينما نطلع على هذا الجريدة
البيضاء - اننا ابي خليل صديقنا استاذنا ابرصقاره - التي
شهر وانصر على عدوهم شيخ الحارة - شرف الرسم ده
وفهمنا معناه - يا اخ يا صديق يا برخليل - ده شي
ماحمرنا شفاء - ولا على ايام صاحبك اسماعيل .
(ابر خليل الخديف - عدد الزاد اثري - ينظر لك
الرسم باليمين - وفهمنا لم نعدنا يعطيك صمكة وقلوب)
- الوددك ده التي بيدك على العنقاره - ده امره عند
البحر سلم - ده استاذنا ابرصقاره - التي اليه
من اسفه محرم - راني ارسم يا صديقك بكيك
- الشخصيات دولة المكرمين - التي على اليمين - ده

حبيب خديريك - والله على الشمال دنيز يا شاة الغلابت
- التي يشهدنا في دنيزم الكبار - دول ابرصقاره ولا فوش
غبار - دال بيظننا لم نعرفهم الفلاح ابرصقاره - والشبح
عكوبه الفلوسه .
(ابناء مصر حينما يسمعون هذا الكلام - ينبتل رقبيل ايدي
خليل ابن الكلام) الله عليك يا زينة وطننا العزيز - دامت
فقت اولاد لوتدرو وبابيس - في الخدات والفهم والنظاره
وتفهم رسومات ولينا ابرصقاره .
(ثم يشهدك احمين . وينتقل الى الرسم وهم ناظرات) -
هات من خاينك يا ابرصقاره هات - واظرب سنا سنا
بالثلاث - رات يا شبح فزانك على لاله - من صديق جحا

من صحف يعقوب في باريس

فرق الجرائيل - على جميع سكان وادي النيل - والعدد العاشر من الغدارات
المصرية - التي امرنا بتعطيله لكون عليه صورة حايم - فرقوا يعني باعوا منه

عشرة آلاف وخمسمية . . . ، (١) ولم تنشر لحليم صورة إلا في صدر العدد العاشر من النظارات المصرية .

ومما يؤكد وجهة نظرنا في أن يعقوباً إنما يعنى (بالغدارات) صحفه المختلفة قوله : أنا صار لى ثلاث سنوات -- باقول لكم يا إخوانى وأعيد -- فى الغدارة الزرقاء وفى الغدارات . . . ، (٢) ثم يقول فى مكان آخر عن شعور مواطنيه حين ترمى إليهم نبأ مصادرة النظارات المصرية وإغلاقها : واخنا يا شيخ كنا فى غاية القلق عليك ، وكان اللى يضربنا بالقوله نطق ، لما شفنا فى الجرائيل المحلية أن الغدارات المصرية صار تعطيلها . . . وفى الواقع ولو أنهم عطلوا الغدارات بعد العدد التاسع -- أنت ما خيبتش أملنا وبرضك نشرت العدد العاشر ورسمت عليه صورة حبيبنا أبو الحلم الشريفة ، وأرسلت لنا منها آلافات من النسخ . . . وحصل لنا غاية الفرح والسرور بمطالعها لكونها مبشرة بخلع الواد الأهل وأبورضه اللعين . . . (٣) وهذه هى محتويات العدد العاشر من النظارات المصرية التى طبعت وفى صدرها صورة لحليم وفى طياتها حديث عن أمانى يعقوب فى عزل توفيق .

وقصارى القول فى هذه الأعداد الثلاثة من (أبو صفارة) أنها مضت على سجية مجلات المترجم له الأولى ، ليس فيها جديد لا فى صورها ولا فى موضوعاتها ، غير أنها اشتملت على اتفاق مع صحفى معروف وخلاف مع صحفى كبير آخر ، أما الاتفاق والإعجاب اللذين نعنهما فيتصلان بالنفس لويس صابونجى صاحب مجلة النحلة التى كانت تصدر فى لندن إذ ذاك فقد نشر صابونجى مقالا باللغة الإنجليزية أَرْضَى يعقوب بن صنوع ، فأشاد بالمقال وصاحبه ، وكتب يقول : ومن أراد منكم يقرأها يا إخوان -- فيجدها مترجمة بالعربى بأفصح لسان -- فى جريدة النحلة عدوة الكسل -- التى كلامها أحلى من العسل -- ومحررها بلنדרه الفاضل سيدى الصابونجى اللطيف -- فليكونه صابونجى كلامه نقي ونظيف -- وجرناله مملوء من مراعاة وحكم فريده -- ومقالات فى الآداب والعلوم والفنون مفيدة -- ترشد القارى فى طريق التمدن والكمال -- وتطرب الشاعر لكونها عذبة لذينة الأقوال -- حفظ البارى من كل شر منشئها -- وطرح

١ - أبو صفارة - العدد الأول من ٤ نهر ٢
٢ - أبو صفارة - العدد الأول من ٣ آخر النهر الأول
٣ - أبو صفارة - العدد الثالث - العدد الأول

الله لنا البركة فيها . (١)

بهذا الأسلوب الرقيق ، وهذه المشاعر الدقيقة أكرم كاتبنا زميله في لندن ، لأنه دأب على نصرته القضية المصرية والدفاع عنها في شتى المناسبات ، أما الصحفي الآخر الذي حمل عليه يعقوب حملة شعواء فهو واحد من أعلام الصحافة العربية الذين لا ينكر فضلهم ، هو أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة (الجوائب) كبرى صحف الشرق العربية التي كانت تصدر في الآستانة (٢) وقد كان الشدياق صديقاً للخديو إسماعيل وأنى أن ينشر مقالا رسمياً من الحكومة التركية يتضمن الإساءة إلى صديقه ، فعطمت صحيفته لذلك عدة شهور .

وقد دأب الشدياق على تحية ابن صديقه خديو مصر - توفيق في صحيفته (الجوائب) فنشر له يعقوب بن صنوع كتاباً مفتوحاً بعنوان (من أبى صفاره يباريس إلى حضرة محرر الجوائب بالآستانة) (٣) جاء فيه : بالله عليك يا شيخى يا أبو الحية بيضاء محترمة تفضك من كتابة مقالات لا ينتج لشرفك منها إلا العار والاحتقار — إئت بسم الله ماشاء الله رجل عالم وقاضل ، وأخو العلم حبيب الحق وعدو الباطل ، فكيف تحط الساق على الساق (٤) وتنجس قلبك بتحرير أقوال فى مدح من لا يليق — مثل رياض وتوفيق ؟ ده كلام عيب ياسى الشيخ ، وما حدش من زملائك يرضى به خصوصاً داعيك اللى يوقرك ويعرف مقامك — أهو باقول لك النوبه دى بالمعروف يعنى بالآ هى أحسن ، وإذا ما قبلتش النصيحة والله ألتزم أدرج فى جرنالى القادم جميع مقالات أبناء مصر فى حقك يا فارس ، وتبقى من غير مؤأخذة هتيك وجرمه . . . ثم لا يكتفى أبو نظارة بتهديد الشدياق بل ينشر مقالا مقدعاً فيه ، استغرق صفحة كاملة ، معتذراً بأنه اضطر إلى نشره لأن صاحبه أقسم بشرف والد وجد يعقوب ، أن ينشر بمجرد وصوله .

واحتوى العددان الثانى والثالث حديثاً رائعاً عن سى موسى العقاد والضابطان أمام الواد الأهبل ووزيره ، وهو يقص فى هذين العديدين ما صنعتته الحكومة مع موسى

١ - أبو صفارة .. العدد الأول من ٣ نهر ٢

٢ - أعلام الصحافة العربية للمؤلف من ٣٦ وما بعدها .

٣ - أبو صفارة - العدد الثانى من ٣ نهر ٢

٤ - هذا عنوان صحف أحمد فارس الشدياق حتى سعى صاحب الساق على الساق ،

العقاد الوطنى المصرى المعروف ، ومدى الظلم الذى أوقعته به وبمجموعة من ضباط الجيش ، ويعرض لنا دور رياض باشا فى هذه المأساة ، سواء بالألفاظ أو بالرسوم ، فى أسلوب غاية فى العنف والشدة ، الأمر الذى ترتب عليه مصادرتها من الدخول إلى الديار المصرية ، وفى ذلك يقول أبو نظارة . . . قلت ياربى نور عالى وفهمى وانصرنى على الواد الأمري مصطفى فهمى ، اللى أمر بتعطيل صفارتى البية ، العزيزة عند الشبان المصرية ، فأجانبى من السماء سيدنا جبرائيل ، وقال لى يا حبيب وادى النيل ، إعلم أن أبو ريضة اللعين والواد ، لما قرعوا الثلاثة أعداد ، اللى تشرتهم فى الصفارة ، طلع الدم فى راسهم وعملوا غاره . . . خلا وأمر يرف للبوسطة انفرنساويه بحجز العدد الثالث من الصفارة المحمية ، إنما سعادة مدير البوسطة كان من زمان

فرقها ، ووكيلى أو غسطينى على الزباين وزعما ، فأرسل من وقتها من غيظه ناظر الخارجية ، صورة الدكرينو للجرائد المحلية ، وبه يقول إن من حيث جرنال أبو صفارة ، هو من تحرير الشيخ أبو نصاره ، فلزم منع دخوله فى الديار المصرية لأنه ضد الحكومة ومهيج الرعية . . . (١)



صاحب الجوائب ، صديق
اسماعيل وخيم صنوع

وقد كان يعقوب عتيقاً حقاً فى حملته على الخديو وحكومته ، غير أنه كتب فى موسى العقاد خير ما كتب فى مواطن يستحق تقدير وطنه ، وقد استغرق مدح العقاد الصفحة الأولى ومعظم الصفحة الثانية من العدد الثانى وقد جاء فى هذا المقال أول كل شىء يا حبيبى يا مصرى ، يا نور عيى يا فريد مصرى ، يا فخر أبناء الشرق أجمعين ، أهنيك على عدم خوفك

من الظالمين ، وهم الولد الأهلل الرذيل ، ووزيره عدو وادى النيل . . . ياما حصل
لى الشراح وسرور ، حينما بلغنى أنت سى موسى المشهور ، الرجل الحر حبيب
الحق ، خلى أبو ريشه من الغيظ يطق . . . والله عفارم عليك ياعقاد ، ماتخافشى من
أبو ريشه والواد ، دول هو انهم ما همش رجال ؛ ويظهر من فعلهم أنهم ألدال ، لأن
لو كانوا صحيح حكام ، ما كانوا يشيهموا عليك فى الظلام ، ويهينوك ياسيدى
ياشريف ، إنما برضه ربك حلیم لطيف ، ينجيك من أيدى هؤلاء الكلاب ، وللنصر
بفتح لك ألف باب .

ثم يبلغ الثناء على العقاد أقصاه ، وذلك فى قوله : أنت استمر على دا الشهامه
والجداعه وكن مبين يا حبيب ، أن الفرج جاى من قريب ، ما عليشى إنى تحمل
جور الظالمين ، يلطف يا أبناء مصر رب العالمين ، دى جميع الجرائيل الفرنجية ، كتبت
فى حقك مقالات مدحيه ، ومن جملة ما قالت هؤلاء الجرائيل ، قالت إن موسى
الأول كلیم الله نجا أبناء إسرائيل من المظالم الفرعونيه ، وموسى الثانى سوف يخلص
الديار المصريه . . .

وهكذا سار أبو نظارة على هذا الدرب فى معالجة الشئون السياسيه ، وبيان قيم
الرجال ، يهجو خصومه هجاء خلا من العقه ونزل إلى الحضيض فى المعانى العبارات حتى
ليصدنا ذلك ، فنأبى تسجيله فى مطبوع ، ويمدح أصدقاءه فيخلو فى ذلك غلوا يشكك
فى قدر الثناء ، غير أنه فى الحالين يترك لنا تفسيراً للحوادث وتصويراً للأشخاص ،
لا يمكن أن نغض الطرف عن نواحى الصدق فيها ونحن نفسر التاريخ على ضوء
الوثائق الشعبيه ، وأبو نظارة وثيقه شعبيه جديرة بالنظر والاعتبار .

أبوزمارة

أبوزمارة La Clarinette هي إحدى مجلات الضرورة ، إن صح التعبير ، الضرورة التي فرضت على يعقوب بن صنوع أن يغير في أسماء صحفه ليستطيع إدخالها إلى مصر ، وأبوزمارة من حيث الشكل والموضوع صورة مطابقة لأبى صفارة وامتداد لأبى نظارة زرقاء مع اختلاف في الرسوم والخطوط والأشكال ، ولكنه اختلاف يسير ، لولا تغيير الاسم لعز التفريق بين الصحيفة باسمها الأصيل أو باسمها الدخيل ، وقد التزم المحرر في عددها الأول ، الأقوال العامة المسجوعة كما كانت الحال في الصحف الصغيرة التي أصدرها تحايلا على الحكومة وعبوتها .

وتضمنت الافتتاحية بيانات طريفة نشرها كاملة وبسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أنبيائه أجمعين . أما بعد فيقول العبد الحقير أبوزمارة . لما بلغنى بأن صدر أمر من ناظر الخارجية . بقفش وكسر الصفارة . الساعية في استحصال التمدن والحرية . قلت ياربى نور عتلى وفهمى . وانصرنى على الواد الأمرد مصطفى فهمى . الى أمر بتعطيل صفارتى البهية . العزيزة عند الشبان المصرية . فأجابنى من السما سيدنا جبرائيل . وقال لى يا حبيب وادى النيل اعلم أن أبوزمارة اللعين والواد . لما قرأوا الثلاثه أعداد الى نشرتهم فى الصفارة . طلع الدم فى راسهم وعملوا عليهم غاره . وبعثوا ندهوا الواد مصطفى . وبالأقلام ورموا له الخدو القفا . وقالوا له شاربى شاربى . فارتعش فهمى . . . فى لباسه . وخاف من الظالمين على فقد راسه . فخالا وأمر يرف للبوسطة الفرنسية . لحجز العدد الثالث من الصفارة المحمية . إنما سعادة مدير البوسطة كان من زمان فرقها . ووكللى أوغسطينى على الزباين وزعما . فأرسل من وقتها من غيظه ناظر الخارجية . صورة الديكرينو للجرائد المحلية . وبه يقول أن من حيث جرنال أبوزمارة . هو تحرير الشيخ أبوزمارة . فيلزم منع دخوله فى الديار المصرية . لأنه ضد الحكومة ومهيج الرعية . فتأسفوا أبناء مصر أجمعين . وظنوا أن علينا انتصر الظالمين ، إنما فشروا والله العظيم . . .

غير أنه يعلق على ذلك بقوله . . . برضنا إحنا نغيظهم بحماه الحليم العليم ، وينزل

السوق ونشترى لنا قطعة زمارة ، في الصوت والطرب تفوق الصفارة ، ونزمر فيها أدوار عجيبة ، نتمحق من سمعها الحضرة الكنيية . . . وبمطالعة يسلى أحبابه على همهم ، وينسبهم كرمهم وغمهم ، ثم يعتذر المحرر لقرائه بأنه سيستعمل في التعبير عن أفكاره والعربي الخارج الصريح المستعمل عند الخاص والعام ، بين أبناء مصر الكرام ، وهو يذكر الموضوعات والمحاورات التي ينشرها وهي على النهج القديم ، ثم يقول إن مواطنيه طلبوا إليه : إن فضلت في جرنالك حته يضا ، شك لنا فيها سيرة الواد وأبو ريضه . . . غير أن السكايب يطلب من مواطنيه مساعدته في تحرير ، أبو زمارة ، وإن حد فيكم تفضل علينا بقصيدة ، أو بمقالة عظيمة حميدة ، في حق رياض والواد وفلسن ، نقول له ألف بركات ورسن . . .

ومكنا حقق يعقوب في الأعداد الثلاثة التي طبعت من هذه الصحيفة سياسته التي وعد بها ، وقد خص الخديو توفيق بنقده العنيف الساخر المتصل ، وشرح - فيما شرح - موقفه من أيه وقبض يده عنه ، واعتبر ذلك زلة لا تليق بكريم ، فأن قلتوا لي إن المطرود يستاهل ده كله ، أجابكم أن يكفيه عزله وزله ، إنما ابنه الي اشترى له الوراثة (١) بملايين ما كانش لازم يعامله كالأجنيين ، أنا مش قصدي أحامي على المطرود إنما مرادى أوريكم حساسة المولود ، بقى الي ماله خير في أبوه وعائلته ، كيف يكون له خير في وطنه ورعيته ، إخص عليك ياواد يافرديك ، والله خسارة الخديوية فيك ،

ويحدثنا العدد الثاني من (أبو زمارة) (٢) عن وصول العدد الأول واستقبال رياض باشا له ، وهو حديث ممتع طريف ، غير أنه لا ينشر لكثرة ما فيه من عبارات لا تليق بأن تكون في مطبوع ، غير أنه يومئذ إلى أن الصحيفة كانت في كل يد بالرغم من الحكومة وعيونها ، كما يتهيز العدد الثاني من (أبو زمارة) بكثرة المراسلات التي جاءت إلى المحرر من مصر ، وهي في معظمها ركيكة العبارة ، فلهي عربية ولاهي عامية ، كما أن موضوعاتها في عمومها تافهة لا تستحق النشر أو التعليق

١ - كانت وراثة العرش قبل تعيين اسماعيل لأرشد الأسرة ، واسكنه حين عين خديويًا على مصر جبل الوراثة لتوليف ودع مالا كثيرا للسلطان ووزرائه في سبيل تحقيق هذا الغرض

٢ - العدد الثاني من أبو زمارة الصادر في ٢٩ يوليو ١٨٨٠

ويمتاز العدد الثالث وهو الأخير من (أبو زمارة) بأن المحرر قد ضاق ذرعاً بمواطنيه وتكاسلهم عن أداء واجبهم نحو التخلص من الخديو توفيق ، وأجرى ذلك على لسان ، الحق ، فقال : وأمر حياض المسكين أربع مدين كأنه ياتبع في قربة مقطوعة والعالم يشعجب ويقول ياترى يجيب الكلام ده كله مدين ؟ إحنا بس نعرف اقرأ

السنة الرابعة

العدد الثالث



Smash recouper Châque à l'aple



Châque Enfant les finances aux décrets de Toulou

شيخ نهاره يستقبل بابا شاهين بالوعظ
Paris 1880

لجنت شاهين لأم الوزير والوزير يشعل الدخان
باريس ١٨٨٠

مصطفى - وبالذات دم ورمو له الحد واقفا - وقال له
شامق مشاوي - اجز حربية الصغار وارمك على
خازن - فارتش في رجلي في لاسه - وخافني
المالين على قد رأسه - فثار واربى للوسطه الفرسا
- بجز العدد الثالث من الصغار المحبة - انما سادة مبر
الوسطه كان من زمان خضها - وكمل او غبط على الزباين
وزعها - فارتش من رجلي من خبطة ناظر الخارجه - صرة
الدكتور الجرائد الحياه - وبه يقول ان من ميت جبال ابر
صغار - عو تحرير الشبح ابر صغار - فلو لم سخ وخطه
في الديار المصرية - لانه هذا الحكيم وسبح المرب -
فأستأر ابناء راجحين - ولعلنا ان علينا انتصر
المالين - انا فثروا والله العليم - رفقنا امنا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين - والصلاة والسلام على نبيه
احيان - اما بعد فيقول العبد الخفي اميراده - لما
بلغني بان صدر امر من ناظر الخارجه - بنش وكسر
الصغار - السابعة في امهات الدوله واخبر -
قلت يا ربى فتر عفتي ورحمتي - ودمرت على الاد
المرور مصطفى حبي - التي امر بنشيل حصار في البه
- العزيرة هذا الشبان المصري - فاما بي من السما
سيدا جبرائيل - وقال لي يا حبيب وادي النيل
عم اي خبر رجعه المدي والود - لما قرأ الفارثة
اعداد - التي اشهر في الصغار - طبع الدم في
راسهم وعلما عظم غاره - وبغيا نهارا العاد

من صحف يعقوب في باريس

جرائيله ونقول الله الله يا كلام حلو ، يا أفكار عجيبة وما أشبهه ... (١) ثم يقول يعقوب على لسان (الخدق) مرة أخرى ، إنه خطب وسط حشد من خاصة الفرنسيين مبيناً جور توفيق وجبروته وظلمه لرعيته ، حتى بكى من فرط التأثر ، فأذا ترك منبر الخطابة ، سأله البعض : إن كان الأمر هكذا ، ألا هالي ساكتة ليه ؟ ولأيه بتعمل زفة وزينه في يوم عيد الواد ... ؟ بقی لازم يكونوا أولاد مصر أندال والأندال ما يستحقوشى إن محبين الشرق والحرية يساعدهم ، ا

وهكذا يزحم يعقوب بن صنوع صحيفته (أبو زمارة) بشكوى مرة من تهاون مواطنيه في طلب حقوقهم المشروعة ، والسعى لإعلاء كلمة الحق والحرية ، وسوف نرى على مر السنين أن هذه الشكوى كانت متصلة وقوية ، لأن القوم رضوا بالذل جيلاً بعد جيل ، ولم يفرغوا منه بالرغم من جهاد الأحرار في مصر وخارج مصر سنوات وسنوات .

وهو دائب السعى في الحملة على رياض باشا أو أبو ريشه ، كما يسميه ، محمداً مواطنيه كي يقضوا على عيون هذا الوزير الذين أفسدوا ذمم الناس وأخلاقهم ، وملأوا النفوس رعباً وخوفاً ، وقد بين ذلك كله في محاوره بين الخدق ومجدع في حديقة الأزيكية ، ونشر طرفاً منها هنا كخاتمة توضيح ما كانت تسعى إليه (الزمارة) عند قراءتها العديدين .

مجدع — إن كنت صحيح حديق وبتفهم الصورة إيه ، قل لي أُمال إمتة الأمور تنصالح والأحوال تتعدل ، لأن الكيفية إذا استمرت على ما هي الناس قول عليها عدمت والسلام ، لأن ذوات وأعيان ووجوه العاصمة المصرية ما يتيسر شى لأحد منهم أنه يروح يطل على صاحبه ، وده كله من كثرة أولاد ... (٢) البصاين المفترين الساعين في قفل بيوت العالم وسبب الهلاك ده كله يكون أبو ريشه لأنه حلف بأبوه الوزان أن يخرب ويحبس الناس الأبرياء خذاه الله

(١) العدد الثالث من أبو زمارة الصادر في ٢٧ أغسطس ١٨٨٠

(٢) هنا لفظ رعناء لأن نصره لا يلبق

الحـدق - وإنـت التاني إن كنت مجدع صحيج كنت مع كم واحد من إخوانك
تزنق كم بصاص (١) من دول وترقعهم علقه بنت هرمة كانوا يحرموا، إنما
إنـت وأصحابك خسارة إسم مجدع فيكم ، بس تعرفوا تسكلموا
في الهـسـرا

وهكذا يمضي يعقوب بن صنوع على سجيته في نشر المحاورات في الزمارة كما
نشرها في غيرها من صحفه منذ أنشأ تلك الصحف إلى يوم قضى ، لاهوادة في
خصومة من خاصمهم ، ولا تراجع في إيمانه بمن وثق منهم ، صنعة الكاتب الأبي
النزيه ، والصحفي النادر المثال في تاريخ عز فيه قرين لذلك الكاتب المناضل ، وقل
من يقف إلى جانبه في صفوف الأحرار

الحاوى

وهذه مجلة أخرى من مجلات الضرورة ، الحاوى Le Charmeur ، صدرت عدة أعداد ، كل خمسة عشر يوماً تصدر نسخة منها ، وقد جرت في سياستها ومزاجها على النهج الذى نشأ عليه أبو نظارة صحفه المختلفة ، وإنه لم يغير من مجلات الضرورة تلك إلا أسماءها ورؤوس الصفحه الأولى فيها حتى تستخفى معالم الروح وراء الرسوم والأشكال ، ولا تفتن عيون الحكومة المصرية إليها ، وإن لم يغير سنوات الصدور التى سجلت على تلك الرؤوس ، فالحاوى صدرت في السنة الخامسة من حياة صحفه الكثر ، وإن كان نصيها في رسالة الرجل عدة أسابيع

صدرت ، الحاوى الكاوى اللى يطلع من البحر الداوى عجائب النكت للكسلان والغاوى ويرمى الغشاش في الجب الهاوى ، يوم الجمعة ٥ فبراير ١٨٨١ ، وقد سبق صدورها كراسة صغيرة الحجم سميت (مقدمة الحاوى) وهى في مائة واثنين وعشرين صفحة ، تضمنت كثيراً من الموضوعات المختلفة ، قرأنا فصلاً عن مجلة (الحاوى) بلهجة الشاميين زائراً بفضائح الحكم في مصر ، وفصولاً أخرى عن السياسة الخارجية التى لها اتصال مباشر بالسياسة المصرية ، ثم عرض الكاتب ، مخاطبات ، بينه وبين تونسيين ، وهى من الطرائف الجديدة في صحفه الطارئة ، ثم عني في هذه المقدمة ، ولعلها المرة الأولى ، بأمور تونس ، ولعل أسباب ذلك ترجع إلى الصلات التى بدأ يقيمها المترجم له مع باى تونس ومع غيره من أمراء الشرق ، كما ستفصح عن ذلك صحفه في مستقبل الأيام ، وقد أكد هذا ، الفصل الممتع الذى نشره في تعريب الألفاظ التونسية الظريفة ؛ هذا إلى مجموعة ضخمة من الأخبار المتفرقة عن شئون مصر الداخلية كتمعين المديرين والمحافظين وما إلى ذلك

وقد طبعت هذه المقدمة في كراسة من الحجم الصغير ، ولم يشر صاحبها إلى أسباب طبعا ، كما لم يذكر في أعطافها موعد صدورها ، ولم يعرف إن كانت هذه المقدمة قد نشرت أجزاء أو طبعت جملة ، فإنه لم يرقها ، غير أنها كتبت بعدة خطوط وطبعت على الحجر ، وكان أسلوبها في كثير من صفحاتها أسلوباً عربياً صحيحاً ،

LE CHARMEUR.

U. S. B. REC. EXCH. SEC. FRANKLIN J. C.

جس پر اُجی قمار

السنة الخامسة



اللاوي

المحارب الكاوي الذي يهزم من البحر الداوي

عجایب انک للکسلان والفاوکیب

ویرمى : لغات فی الخبیر المہار

المدينه الحرة جسر انوار وجمال



بين الكرم شجاعة الشبان الصيرة - ونبهكم من ذم ابو حور
 محرو حقوق رياض - التي تله على ابناء مصرنا حاتم -
 ويقدم على شتر كين الجارية الكرم - العاد ووربره على سلام
 الحرام - وسرفه الحرف - ويدر العالمه الجوعين عند جيع
 رعليه - ينشروا في جدين سعاده الخير - وهو
 يتجده في رولين سبطه المعبد - فيها اللاد ووربره
 سانبعد خافه انعلم - فبراشم فتمت تحوته
 وبهاه ابناء مصرنا الكرم انه شاءه نجح بابا
 شريف - انا والله نملك كذاك ظريف - ولنه

الحدود الأولى يوم الجمعة ٥ فبراير ١٩٥٦
قال المفاوض

اصحابنا فصدقوا يا سادة من قال - ان صاحبكم الحارثي مات
 او خرسوه الظاؤون بالمال - لعدم ظهوره في الشام والحي
 فانت - الحارثي صاحب مشرف فاعلان - وكان يعدد
 من الله لولم يكن حياته - انما المشهوره - باذن ابياري -
 بهج بنواير من مزيه الحارثي - وريته لثامه - بحويته على
 مصره الموزير واور - والجب طابرت حننهم بحب لولم الجاد -
 ويدرج في هذا العدد اخبار محفل ميدان الحربه - ولشهر

من حرف يعقوب في باريس

وإن غلب عليه طابع الكاتب الساخر والممثل الأصيل

وتتضمن الصفحات الأولى من (مقدمة الحاشي) الأهداف التي صدرت لتحقيقها
انجزة نفسها، فيقول الكاتب: أول البارج ورد لي من أحدى جواب. وقال في فيه
ياحاوي طلمع من الجراب. فتأملت في قوله وفهمت الكلام. وحالا نشرت الحاشي

لسادق الكرام. ودرجت فيه حوادث برنا الكريم. وذكرت فيه اسم حبيكم الحليم . وزينته بأخبار الأمم الإفرنجية . المتمتعين بالسعادة والحرية ... إلى أن يقول « بقي كل شهر مرة يصدر الحاوى ، ويخاطب الأحياء بالعربى مش بالفرنسوى »
وقد عنيت (مقدمة الحاوى) عناية ملحوظة بحوادث الخارج ، وإن كانت قد دأبت على روايتها رابطة بينها وبين حوادث مصر ، فهو يحدثنا مثلاً عن المؤامرة التى تسعى إلى تنفيذها ألمانيا ضد فرنسا ، والجهد الذى تبذله للإيقاع بين إيطاليا وبين وطنه الثانى (١) فيقول « ... عمتنا بنزرت « بسمارك » الثعلبى البرومباني ، لما شاف أن جمهورية فرنسا المعظمه كلما لها لله الحمد فى التقدم والثروة والنجاح رايح بعيد عنك يطق من الغيظ ، وقاعد يبحث لها ليلاً ونهاراً على مشكل يعنى خناقه من تحت رجلين الفراخ ، فأراد يرمى فتنة بينها وبين دولة إيطاليا المحمية ، ويجعل مملكة تونس سلم ، إنما الباي الذكى اللى يفهم الصورة إيه ، ماهوش مثل الولد الأهل تور الله فى برسيمه فهم العبارة وفقس ملعوب بنزرت وراضى الفريقين وفض المشكل ، والله جدع وبنزرت طلع قفاه يقمر عيش »

فإذا انتقلنا إلى مجلة الحاوى نفسها وجدنا روحاً فى علاج الموضوعات تختلف عن المقدمة بعض الشيء ، غير أن مجلة الحاوى تأخرت شهراً عن الصدور لأسباب خارجة عن مقدور صاحبها « إصحو تصدقوا بإسادة من قال — إن صاحبكم الحاوى مات أو خرسوه الظالمون بالمال — لعدم ظهوره فى الشهر اللى فات — الحاوى صاحب شرف يا خلان — وكان يصدر جرناله لولم يكن عيان — إنما الشهرده بأذن البارى — يهب بنوادره مرتين القارى — وينزل كالعادة بجر يده على حضرة الوزير والواد — اللى عاملين صنعتهم نهب أموال العباد — ويدرج فى هذا العدد أخبار محفل ميدان الحرية — ويشهر بين الأمم شجاعة الشبان المصرية ... » (٢) ثم يتحدث فى بقية هذا العدد بطريقته المعروفة عن غليسان الجيش فى مصر واستبداد الحكومة الرياضية فى علاج شئون الوطن

وتتميز أعداد الحاوى القليلة التى أصدرها بتسجيل مقدمات الثورة العسكرية ،

١ - مقدمة الحاوى ص ١٢ وما بعدها

٢ - الحاوى . العدد الأول الصادر فى فبراير ١٨٨١

بل إن ما كتبه فيها يعتبر في ذمة المؤرخ فصولاً متمعة لهذه الفترة من تاريخ مصر الحديث، مع الدقة الملحوظة في العرض والتفصيل، وإن جاء ذلك كله في كلامه العامي المسجوع الذي كان يطرب له المصريون إذ ذاك، وما أظن إلا أنه يطرب أيضاً المعاصرين منا، الدارسين هذه الحقبة من التاريخ.



شيخ الفن نصره الله شيخ بكلية الحقوق محمد الشاذلي وهو عمله التوقيع ابنه مصطفى لنا ابو العالم وابو القوي

مثل الجيش يشكو لشيخ التمن أي السلطان تصرفات الخديو السيئة
استمع إليه يقول (١) ووردت لنا اليوم مراسلات عديدة، والأخبار التي فيها
يقيناً مفيدة... قال يوم الحمل العساكر المصرية، وهم عابرين أمام الحضرة الخديوية
ماحدث منهم قال يعيش توفيق، فيظهر أن بينهم وبينه عدم توفيق، والحق بيدهم
لأن الجهادية، صبحت ذليلة تحت الوزارة الرياضية... يرسلوهم في المأموريات
التي ماينتج منها إلا العار للاممات، وللشركس يعطوا الرتب العظيمة، والسراري
الحلوه والإنعامات الكريمة، لكونهم من جنس ناظر الحريه، مساح جوخ الحضرة
الرياضيه، فرعلت من الأمر الضابطان، أرادوا يورثوا العالم أنهم جدعان...
إنما لكونهم أصحاب عقل صحيح، وسعيهم دائماً مليح، تشكوا للواد وللوزير، من
ناظرهم عديم التدبير...

ثم يتحدث الكاتب عن عثمان رفعت وكيل الحرية والعجز المدهول المخرف
المجنون، وما كتبه المسئولون في الضباط لممثلي الدول الأجنبية ليطمئئوا على
رعاياهم، مبينين لهم أن أي خطوة إيجابية منهم لا تعني أنها موجهة إلى الأجانب، وده
فكر عظيم لأن الدول أدى مرادهم - وقصدهم يدخلوا قطرنا بحجة أنهم يحاموا على

أولاد بلادهم ، وهكذا يفصل لنا أبو نظارة قصة إقالة وزير الحرية وتعيين البارودي مكانه في جميع صفحات المجلة ، في دقة تامة لا تختلف أبداً مع أى مصدر صادق من مصادر التاريخ .

وقصارى القول في مجلة الحاوى ، إنها تفقد بهاها إذا أنكرنا مقام (مقدماتها) في بيان قدرها ، فالمقدمة عنوان حسن جداً للمجلة نفسها ، بل هي عندى أعز وأكرم من (الحاوى) نظراً لما احتوت عليه من موضوعات دقيقة ، واشتملت عليه من صراحة في تنكيت المواطنين ولا نصرافهم عن الجِد والعمل ، وقبولهم للذل والخسف ، هذا إلى أن المقدمة تشير بوضوح إلى السياسة المرسومة في توثيق العلاقات بين مصر وفرنسا ، فأن المترجم له قد سفر في هذه المقدمة عما يختلج به صدره من حب عميق لفرنسا ، وتكريم لرسالتها بين الأمم والشعوب ، وسوف نلقى ذلك ، من الآن فصاعداً ، واضحاً ظاهراً في جميع ما كتبه أو قاله يعقوب بن صنوع .



هذا عن (المقدمة) أما عن الحاوى نفسها فقد كادت تنحصر في الثورة العراقية ، ولم يكن في محاوراتها أو موضوعاتها الأخرى شيء غير هذا الحادث الذي كانت له مقدمات ونتائج ، سجلتها الحاوى في تفصيل جميل ، ودعت المواطنين إلى التشبه بضباطهم وجنودهم الشجعان وطرد حكومة « الواد الأهل » والقبض على (الواد) نفسه ومحاكمته ، وإن الكاتب لينذر مواطنيه بأنه « إن ما خلصتوا من الواد ورياض يا جدهان — أحلف بحب الوطن والحرية — وشجاعة التلامذة والجهادية بأنى أزع الجرنال وأكسر النضاره — وأبيع خرج الزماره والصفاره — بى فوقوا يا أولادى من غفلكم ووروى آمال شطاركم — إنما يكون الأمر عن قريب — وأنا حالاً أجيبكم بالحبيب ، (١) .

سيد العرب ، أحمد عرابي

١ - الحاوى - في ٢٥ مارس ١٨٨١ ويقصد بالحبيب البراس حليم

أبوظارة
لسان حال الأمة المصرية

ABOU-NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

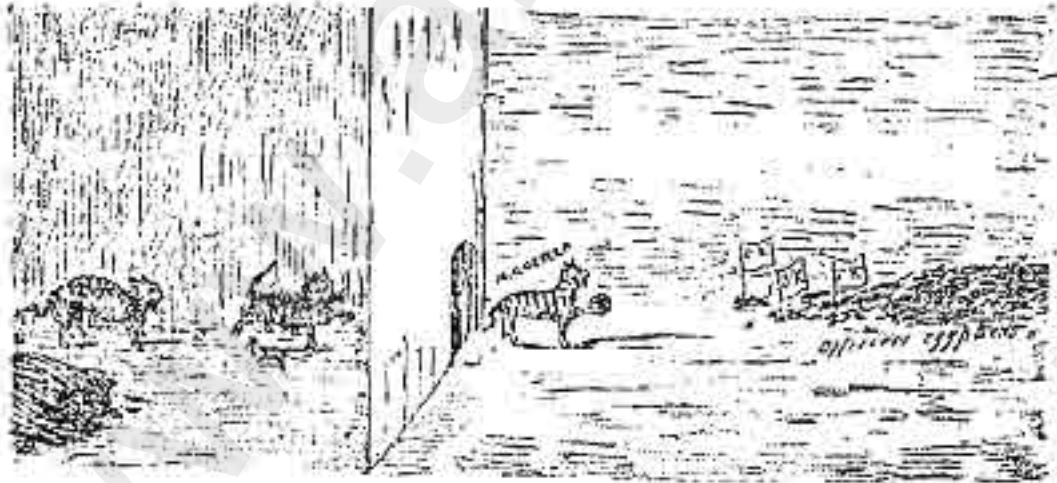
5^e Année



Numéro 1

RÉDACTEUR EN CHEF: JAMES SANUA, 46 Avenue de Clichy à PARIS

مدير ومحرر الجريدة الشيخ جيمس سانوا أبوظارة زرقا المصري



Une fable de La Fontaine en Egypte.

توفيق درياف والبارودي النقط الحائزون مرادهم يغفوا ظابطان يكفني راضني ودرني
الاي العيران الابرياء على كل الفطيرة الشلثة المسحومة ككن الفيران ناهمن كليل

من صحف يعقوب في باريس

منذ شهر أبريل سنة ١٨٨١ حتى وقف صدور صحف أبي نظارة لمرضه في سنة ١٩١٠ صدرت (أبو نظارة) و (أبو نظارة زرقا) و (أبو نظارة) وهي أسماء ثلاثة لصحيفة واحدة ، غير أنها أسماء متقاربة الشبه ، غلب عليها الاسم الأخير ، الذي عاشت عليه الصحيفة أكثر من عشرين عاماً

صدرت أبو نظارة صورة صادقة لما سبقها من صحف ، لم يتغير العنصر النفسى فيها ولم يصب قط بوهن يسقط من قدرها أو يقلل من مقامها فى تاريخ الصحافة المصرية ، بل إن عصرها الذهبى مقبل بعد قليل .

ABOU-NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

6^e Année



Numéro 4

لسان حال آمنة المصرية للمرأة

RÉDACTEUR EN CHEF : JAMES SANUA , 48 Avenue de Clugny à PARIS

مدير التحرير الشيخ جيمس سانوا أبو نظارة زرقا المصري



Triomphe du Parti National. Clugny veut l'Egypte pour les Egyptiens, Abdallah Salim Gouffé, Fakhri pacha et ses amis le départ de Clugny.

سبيد العرب ، عرابي يقول مصر للمصريين عبد القادر بنى الواد الذهبى وفراي
بحر المحل حتى نزول رنة بابا نترق ومكيدة

IMP. LEFEBVRE 87-89 PASSY au CAIRE PARIS

عراي وأنصاره يطهرون البلاد من خصومها

وقد صدرت (أبو نظارة) بعد أن صدرت الحكومة المصرية الحاوى ، وعاقبت بالنقى بعض من حملها ، وفى ذلك يقول يعقوب بن صنوع مخاطباً الخديو توفيق وقد أمر وزيركم بسوء تدبيره المستحسن لدى سموكم بنقى شخصين من معتبرين البلد بسبب

وجود جريدتي معهما ، (١) وقد نشر العدد الأول من (أبو نظارة) في السنة الخامسة من صحف المترجم له ، وكانت تصدر كل عشرة أيام أو كل أسبوعين ، وقليل ما كانت تزيد المدة على أسبوعين بين العدد والعدد ، وكانت بعض الأعداد تصدر في ثمانى صفحات (٢) وبعضها يصدر في اثنتى عشرة صفحة (٣) ، أما بقية الأعداد فكانت من أربع صفحات كغيرها من صحفه الأخرى ، ولها شعار هو « لسان حال الأمة المصرية الحرة » .

وتتميز أبو نظارة بالمقالات الأدبية التى نشرها يعقوب خاصة بالثورة العرابية ابتداء من العدد الثانى فى سنتها الخامسة بعنوان (الصبحة الأولى) (٤) ، وهو يصرف فيها مواطنيه بخطر تدخل الإنجليز ، ويدعوهم إلى التآلف والتكاتف والاتحاد لإنقاذ شرفهم وتحسين أحوالهم المالية والسياسية والاجتماعية ، وهو يخاطب فيها الأمة عامة ويوجه الخطاب خاصة إلى علمائها فى بعض الصيحات (٥) .



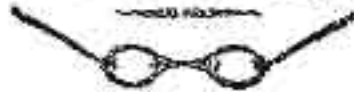
L'AMNISTIE KHÉDIVIALE

الضغط على الحريات ، تهصف أعلام الكتّاب وتكتم أفواه الأحرار
ويضيق الكتّاب بمواطنيه وتكاسلهم ، فينشر باباً جديداً بعنوان (الآزقة) ويحرر
فيه أزقة بعد أزقة ، يعلن فيه سخطه على رجال مصر الذين سلّوا فى حقوقهم ، لجعلوا
أنفسهم مطايا للوزراء والخديويين ، الذين استنزفوا أموال مواطنيهم وقبلوا الذل

- ١ - الخاوى فى ٢٥ مارس ١٨٨١
- ٢ - أبو نظارة العدد السادس السنة الخامسة
- ٣ - أبو نظارة العدد الثامن السنة الخامسة
- ٤ - أبو نظارة فى يوليو وأغسطس ١٨٨١
- ٥ - أبو نظارة فى ٧ أكتوبر ١٨٨١

Abou-Naddara.

61 Année.



N° 2.



1^{er} Acte du peuple égyptien... Le Châtiment... Le génie égyptien s'élève en l'air
soufflé d'ouïe ses misères gouvernantes... Tous les arts couronnés d'enquête.

أولى فعل المصوبين من الجهادية والنواب - حاقبة الحكم الجرمين -
وطرد الواد وشركاه شيب الخراب - يعقوب الملاك - حاني مصر من الهلاك



Deuxième acte populaire... RÉCÉPTE ET DÉPARTEMENT... Le génie égyptien, préservant à l'humanité
son chef législateur et national, le prince Hôli-m, diadème et jouet de la pitié, s'élève à l'apogée de sa gloire
et se pose sur le trône de la justice et de la paix.

ثاني فعل الأهالي المصرية - استقبال حليم بالا حضان - وأعطاه السُلطة

الحديوييه - ومُسكن الحكم على الركن

IMP. LEBEYRE 87 - 88 PASS. CAIRE. PARIS.

تمنيات يعقوب للحركة العراية

فأضحوا عبيداً وسط أمم لا سيد فيها ولا مسود، وقد حرر هذه الآزفات بأسلوب عربي ممتع، قلما نجد له نظيراً في صحف يعقوب المختلفة (١).

وبالرغم من إعجاب يعقوب بشريف باشا فإنه لم يتردد في الحملة عليه حملة شعواء حين أصدر قانون المطبوعات، وفيه من القيود مالا يهضمه تفكير الأديب المنفى في عاصمة الحرية، وإن كان هذا القانون قد استقبل في مصر نفسها استقبالا حسناً وتظهر هذه الحملة العنيفة في رسم صدر به الصفحة الأولى، وفيه يكتم شريف أفواه الكتاب ويربط أيديهم أمام مثلي الأجانب الذين رحبوا بهذا الضغط، ويقول أبو نظارة تعليقاً على ذلك: «إكسروا أعلامنا وسدوا أفماننا برضنا نتصر على أخصامنا ونكسر أنف أظلم حكامنا والرب كريم يسعد أيامنا» (٢).

قصد المترجم له مما كتب ومما نشر من صحف أن يبصر مواطنيه بما لا يعلمونه من خبايا السياسة المصرية وحوادث البلاد الداخلية التي كان يتعذر على صحف مصر إعلانها بأية صورة من الصور ولا تعرضت للمصادرة والإغلاق غير أن يعقوب بن صنوع — كصاحب رأى — كان يمثل المعارضة المتطرفة، فهو يمدح شريف باشا حين كان شريف بعيداً عن السلطان، فأذا ولي أمور الحكم وأفسح المجال للبرلمان، ورضى أكثر الناس عن الحكومة الشريفة لم يرض أبو نظارة بل كان ضمن الساخطين، لأن شريفاً لم يخاصم الخديو توفيق، ولم يكن من طبائع الأشياء أن يخاصم الوزير الدستوري أميراً نزل عند رأيه في احترام الدستور، ووعده بالتمكين للحياة الدستورية في هدوء ودون قلقلة قد تفسد القضية المصرية وتسيء إلى مقدرات البلاد.

إن ابن صنوع لا يؤمن بهذا، لذلك نراه يسخر من شريف، ويسخر حتى من حياته الخاصة، فقد كان الوزير يهوى (البلياردو)، ورأى الجيل هذه الهواية سوءة تذكرها له الصحف الخصيمة كلها هاجمته سواء قبيل الاحتلال أو بعده، وكان من بين الصحفيين الذين ذهبوا هذا المذهب يعقوب بن صنوع، فهو يكتب متخيلاً ساحراً أراد أن يخلص مصر من توفيق وشريف تلبية لرغبة يعقوب، فكذا مرادى باشيطان، بأنك تأمر اثنين من أهل الجان، واحد يخطف الواد الأهبل ويرميه، في نابولي

١ - أبو نظارة العدد ١٣ من السنة الخامسة

٢ - أبو نظارة العدد السابق



Mieux vaut donner que violer.

لما رأونا الجماعة دخلنا عفرية يد - وحزينا الوطن صجاشه رشيد - بقلو الزعمي والشهيد
- ولتوا الامم الثقيل وفتح الجوع مفيد - ربنا كم علم الفرج ما عوشتا بيديد -

IMP. L'ÉCLAIR DE LA RUE CASSE, CAIRE, PARIS

الأعلام فيقول : السلام عليك يا سي نديم ، يا قرة عين قراء جريدة الطائف ، الله
الله على ذوقك السليم ، يا حاوي الظرائف والمطائف ، أحلف بحب الوطن يا عم ،
أن كلما أتى جرنالك يزول غنى الهم من حلاوة أقوالك ، ومقالاتك الأدبية نورت مصرنا ،
وبذاتك السياسية جددت عصرنا ، وحياة دفتك يا عزيزي ، من عشق في فصولك
الفريدة بترجمها بالفرنساوي والإنكليزي ... (١)

ثم استمع إلى رأيه في عبد الله نديم في ٩ يونيو ١٨٨٢ وأبها الولد الأبر ، كنت
أظن أن الذمة والشرف توجبان على كل إنسان خصوصاً على من تحلى بخدمة الحرية
والمبادئ أن يكون متصفاً بشعار الحق والإنصاف ، حافظاً للجميل لا تلفته المقاصد
الشخصية ولا الغايات الذاتية عن الحق ، فقد قبل : لعن الله قوماً يضع الحق بينهم
ولكن لما كان لكل امرئ من دهره ما تعود ، وكان الطبع غالباً على التطبع مهما كان
صاحبه ، كشفت يد الأيام ستر الخفا عما يكنه الضمير ، فاتضح الصبح لدى عيني ،
وبان لي الآن خطأ ظني ، وعلمت أن الحق هو عبارة عن ترويج المصالح ... وذلك

لأنى تلوت بلسان الأسف وظالمت بعين الاستقامة ماحواه عدد ثلاثة وأربعين من
جريدة الطائيف الصادرة في ٢٥ جماد الثاني، وإذا بك قد أثبت فيه بعض جمل
وعبارات خالفت فيها ما تستلزمه النمة وخرجت عن جادة الحق والإنصاف (١)

ABOU-NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

51. Année



Numéro 11

RÉDACTEUR EN CHEF: JAMEL SANUA, 48 Avenue de Clugny à PARIS.

مدير التحرير: الشيخ جمل سانوا ابونظارة زرقا المصري



Araby. Bey dit à John Bull: Tant que je garderai les portes des Émirats du désert,
tu n'y mettras pas la main. Il n'y a pas le prince du désert qui doit y entrer.
L'Égypte est pour les Égyptiens. — John Bull s'épouventa. Les Égyptiens ont gagné.
Araby. Bey

(هذا الرجل الذي في الصورة) مصر لا تريد أن يتركها أيدي الغرباء. كما قال: "تحت يدي، لا يدخل أحد من الغرباء مصر".
الملك: "مصر هي لمصر، لا للغرباء". — الملك: "مصر هي لمصر، لا للغرباء".

IMP. L'ÉCLAIR, PASS. DU CROIX 81, 83, PARIS.

تلك كانت سجية يعقوب بن صنوع ، لا يتردد في تعديل رأيه في شخص ما إذا
ترامى له انحرافاً في الرسالة التي اتبعها ، وهو لا يفرق بين كاتب أو وزير ، وقد رأينا
هذه السجية مضطردة في صحفه جميعاً ، وإنه لم يغير رأيه قط في عدة أشياء : لإيمانه بوطنه
وتحانه إليه ، ثم محاسنهم للخديويين فيما خلا عباساً الثاني وهجومه المتصل على الإنجليز
ومبايعتهم في مصر والسودان ، وقد بق على هذه الآراء حتى قضى في سنة ١٩١٢ ،

فلا عجب إذن إن رأيناه فيما بعد مادحاً لشريف ، فعلى قدر ما يقدم الوزير لبلده
يلقى من المترجم له التأييد والتشجيع .

ABOU NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

5^e Année



Numéro 15

لسان حال الأمة المصرية للفرع

RÉDACTEUR EN CHEF : JAMES SANUA . 48 Avenue de Clugny : PARIS .

مدير ومحرر المجلة الشيخ محمد سافو أبو نادر زرقا المصري



تمتلكوا بغيركم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .
والأول والأخير منكم في الدنيا ما لم يكن في الدنيا منكم .

IMP. LEFÈVRE 87-89 RAS DE CURE PARIS

في برلمان ذلك العهد

ابونظارة زرقا لسان حال الأمة المصرية الحرة

يمضى أبو نظارة في طريقه يؤدي رسالته الوطنية والصحفية ، فيغير اسم صحيفته
تغيراً آخر فيسميها (أبو نظارة زرقا — لسان حال الأمة المصرية الحرة) ويتم
هذا التغير بصدر العدد الثامن الصادر في السنة السادسة بتاريخ ٢١ أبريل ١٨٨٢

لما جاني خبر أنك انت شاهين . باننا نقتل الى
الرحمة الالهيه . طلبت له العفو من رب
العالمين . وزالت كراسته من قلبي ونسيت
الابغية . لانه الله برحمه كان قال لا شمعيل
مدة ما كان الجند في عزه ونايه .
اذ الجاشع رحيم ودخل وادي النيل . ورام
اخذ بنا احبيب لك راسه . وادى شعب
دراة ابنا مصرنا حيه . انما احنا قلبنا عليم
قلنا عذاب ناپولي شمين بكفيله . يفر
خطانا . ويفتح له باب النصيم . يا اهل شاهين
قتل شيخ الحاره . اتيلوا والطوا على الحدين
سبع بيتكم مات في بلاد النصاره . ولا كان
جنبه شيخ . نقي يقر له كلين . اه عنبر
طلوع رومك يا شاهين . ما كان هناك الا
اسماعيل الشيطان . فما خلاكه شمشيد
كالمؤمنين . ونش من يدك يا كبد حبيب
القران . انما برصنها الجنه مفتوحة لك
ورجى يحيى من حباثة توفيق اعين لك

أول نعي في مجلات يعقوب

وقد أخذ ينشر مع الماتن العربي في كثير من الأعداد ترجمة فرنسية طغت أحياناً على
صفحات الصحيفة ، ويعتذر الكاتب عن ذلك بقوله « وصغرت الخط لجعل محل للترجمة
الفرنسي التي طلبتها مني جميع محررين أوروبا لدرجتها في صحفهم الغراء ، فأن شاء

الله من الآن وصاعداً النظارة تصدر عربى وفرنساوى « (١) .
ومن الجديد الذى رأيناه فى (أبو نظاره زرقا) فى عامها السادس نشر أول
نعى فى صحفه جميعاً ، غير أنه نعى غريب طريف ، لأنه فى إطار مستطيل مجلل بالسواد ،
ينعى فيه شاهين باشا أحد خصومه من كبار الرجال فى عهد اسماعيل ، ونشره كاملاً
لنقبين كيف تسيطر عواطف صنوع على آرائه فى الناس ، حتى أولئك الذين فصل
الردى بينه وبينهم بحجاب ثقيل ، ولكنه لا يراعى رهبة القضاء ولا جلال الموت ،
قال « لما جئنا خبر السكونت شاهين ، بأنه انتقل إلى الرحمة الإلهية طلبت له العفو
من رب العالمين ، وزالت كراهته من قلبي ونسيت الأسيّة لأن الله يرحمه كان قال
لإسماعيل مدة ما كان الجندى فى عز هو وناسه ، إذا تجاسر حلیم ودخل وادى النيل
وراس أفندينا أجيب لك راسه ، وأدى سبب كراهة أبناء مصرنا فيه . إنما إحننا
قلبنا حلیم قلنا عذاب نابولى سنين يكفيه ، يفقر خطاياهم ويفتح له باب النعيم . يا أهل
شاهين قتيل شيخ الحاره ، اتيلوا والطم — سوا على الخدين ، سبع بيتكم مات فى بلاد
النصاره ، ولا كان جنبه شيخ تقى يقرأ له كلمتين . آه عدد طلوع روحك يا شاهين ،
ما كان حداك إلا اسماعيل الشيطان ، فما خالك تستشهد كالمؤمنين ، ونتش من يدك
يا كبدي القرآن . . . (٢) وقد ترجم الكاتب هذا النعى الغريب إلى اللغة الفرنسية
ونشره فى إطار أسود .

ثم تعود الصحيفة فتواصل رسالة يعقوب الأصيله ، وتشغل صفحاتها بمجريات
الحوادث فى مصر ، فتحذر عرابى وإخوانه من الخطر المحدق بالقضية الوطنية ،
وتشرح لهم ذلك شرحاً وافياً استغرق نحو ثلاث صفحات من المجلة (٣) وأخشى
ما كانت تخشاه أن يقع الاحتلال الإنجليزى للبلاد ، لخطأ من المسؤولين مقصود
أو غير مقصود .

وتتأزم الأمور وتضرب الاسكندرية وينطلق فيها الحريق فىأتى على مبانها ،
وتترامى الأخبار إلى أبى نظارة فينشر تفاصيلها ، ويبين لمواطنيه الموقف فى صفحة

١ — أبو نظاره زرقا ، عدد ٨ سنة ٦

٢ — أبو نظاره زرقا ، عدد ٩ سنة ٦

٣ — أبو نظاره زرقا ، عدد ١٠ سنة ٦

جلل جانب منها بالسواد ، ثم يدعوهم إلى الجهاد ، ومن قوله : يا كبدي عليكى يا سكندرية
يا بكا عيني على سراياتك الفاخرة ، صبحتك كوم رماد الجلل الإنجليزية ، وبين
كذب الإنجليز بتحميل المصريين مغبة هذا الحريق « ما لها أصل ولا فصل أخبار



السيد عبد الله النديم وقد جاء
ذكره في أكثر من موضع

التلغراف ، لأن جميعها صادرة من كلب البحر
صيمور ، فلا أصدق أن عساكر مصرنا
الأشراف ، ضد الإنسانية تحصل منهم أمور ،
الجهادى المصرى يموت ، فى حب وطنه العزيز ،
فكيف يحرق وينهب البيوت . . . وفى الواقع
اللى حصل من القتل باسكندرية ، ذا جاب
علينا الحق لأنه عار ، ولو أن ابتداءه من الجريح
الدون والمالطيه ، اللى وزوهم اسماعيل
وتوفيق وماليت المكار . . ثم يبين يعقوب
لمواطنيه أنهم أساءوا إلى بلادهم إذ لم يستمعوا
إلى نصيحته ولم يوقعوا عريضة وينالوا فتوى

العلماء بطرد توفيق ، ثم يقول : اللى فات مات يا جدعان . . . حاموا بشرف عن
بلادكم يا فرسان ولعنة الله على من يسلم روحه للعدو أسير ، ويتجه بكلامه إلى الأمة
الإنجليزية يشكو إليها حكومتها ، لانتى كريمة يأمره بريتانيه ، إنما حكومتك بالمظالم
مشهورة ، لانتى بتدافعى فى محافلك عن حقوق الأهالى المصرية ، وحكومتك مرادها
تخرب بلادنا المعمورة ، ويمضى مادحاً الفرنسيين ، متحدثاً عن موقف أحرارهم فى
البرلمان الفرنسى وعلى رأسهم كليما نصو ، حاملاً على بعضهم لمؤازرتهم الإنجليز فى
فعلتهم وفى مقدمتهم جامبيتا ، ثم يشجع مواطنيه أخيراً ، اليوم صبح إسمكم عظيم ،
ومحبوب عند جميع محبين الحرية ، ماتخافوش ربنا كريم حلیم ، إن كنتم جدعان
الإنكليز يطلعوا من الديار المصرية . . . (١)

ويسخر يعقوب فى نفس العدد من توفيق سخريه لاذعة قاسية تجاوز بها الحد فى
عرف أيا من أياهم ، وإن لم تخل من طريف تميزت به صحف أبى نظارة ، قال

المليح جاي لنا عن قريب ، مكاننا أسعد الله أوقاته أرسل لنا أيضا دور جديد بتغيبه الأهالي على هوا المارسيليزه انفرنساويه وترجانا بدرجه في هذا العدد فها هو :
أرقصي وغان ياتو فيقه ، وسلي عشيقك لورد صمور . اللي نجاكي من الحريقه .
وركبك على الوابور . إرمي طربوشه يا صبيه . والبسي لك برنيطه عال . عرابي ، طلبه ،
عبد العال . هنوا توفيقه الإنكليزية . يا ابن البلد يا فلاح . زفوا توفيقه للنكاح .
هيا بنا هيا بنا نرى توفيقه خارجه من برنا ، وهكذا يمضي مصورا الخديو توفيق
في هذا الإطار الذي لا تخرج عنه سيرة هذا الخديو في أي كتاب علمي مدروس حين
لا يدلس على التاريخ أو يكتب التاريخ خضوعاً للظروف والملاسات كما كان يصنع
بعض حملة القمام من مؤرخي عصرنا سعيا وراء رتبة أوجاه !!

* * *

ثم يعترضنا في دراسة هذه الصحيفة عدد واحد باسم (أبو نظاره — مصر
للمصريين) لم يكن له نصيب في أي معنى جديد انطلوت عليه أبو نظاره زرقا ،
ولو أهمل في تاريخ صحفه لما خسر الكاتب شيئا ، فقد كان عدداً خاصاً بتذكير أهل
الذكر في مصر بما سبق أن كتبه لهم من ستة شهور عما يلقونه اليوم من أحداث (١)

* * *

ثم يتلو هذا العدد ، عدد واحد باسم (أبو نظاره زرقا — لسان حال الأمة
المصرية الحرة) ثم تختفي الفقرة الأخيرة المكتوبة تحت الاسم الأصيل ، وهذا
العدد الختامي من تاريخ هذا الاسم يتضمن حديثاً عن أبي نظاره وما سعى إليه في
انجلترا كي يحول بين عرابي والإعدام ، ومدى ماعرضه للإنجليز من رشاي رفض
أن يقبلها ، وسعيهم لنقله إلى لندن حتى تصدر صحيفته من هناك ، وكيف أبي أن
ينصت إليهم ، أو يخون قضية بلاده التي وقف عليها حياته .
وحقاً وقف قلبه على خدمة القضية الوطنية كما سنرى في مستقبل صحفه الكثر ،
ولم نر قط لها وناً في كفاحه أو يأساً من استقلال وطنه وتمتع بجميع الحريات (٢)

١ - أبو نظاره - مصر للمصريين - العدد ١٤ السنة السادسة

٢ - أبو نظاره زرقا - العدد ١٦ السنة السادسة

أبو نظارة زرقا

صدر العدد الأول من (أبو نظارة زرقا) في مطلع العام السابع من تاريخ مجلات ابن صنوع في ١٩ يناير ١٨٨٣ مصدراً بافتتاحية دعا فيها صاحبها البنى وطنه بالعز والتأييد حتى يصبح الفقير غنياً والأعمى مبصراً والعقيم منتجاً، كما حمل فيها على إسماعيل وتوفيق وابنه عباس، وإن كان فيما بعد سيُشمل عباساً بالعطف والتشجيع، وينهى المترجم له افتتاحيته بدعوة مواطنيه إلى الاشتراك في «النظارة الزرقاء الشهيرة»، ويطلب إليهم أن يسرعوا «في إرسال العشرين فرنك» قيمة اشتراك الجريدة في السنة، بحوالاة بواسطة أو عن يد بنك ...،

وقد تميزت (أبو نظارة زرقا) بكثرة الرسوم فيها، فنجد في الصفحة الأولى والأخيرة رسمين يعبران عن معنى من معاني الساعة، كما نجد كلمة (زرقا) قد كتبت بالزاي، إلى جانب تفاصيل واضحة عن المجلة، فتري صاحبها واقفاً بين رسمين يمثلان الحكمة والحرية وإن تغير رأس المجلة بين آن وآن ولم يتغير إسمها على أي حال وكلمة قلبنا في صحف يعقوب وجدنا طابع الصحيفة وأهدافها أهم ما فيها، فهي سجل عظيم لأحداث مصر، يحسن ألا نفوت الفرصة، فننقل عنها بعض هذه الأحداث لنبين طريقة النظر الجديدة في الصحافة المصرية، وهذا إلى أن نخط المجلة قد تحسن بشكل ملحوظ، ونظم عرض الموضوع فيها في نهدين، كما أدخلت فيها أبواب جديدة كباب (السياسة) ولم يكن لها ترجمة فرنسية لمدة سنتين، وإن كانت الرسوم قد احتوت على تلك الترجمة، ومن أبوابها الجديدة أيضاً «تلفرافاتنا الخصوصية» التي زخرت بها السنة الثامنة، وهي برقيات من تأليف المترجم له فيها المختار من الشائيم والسخرية، وسوف نعرض لها في سطور مقبلة

وقد سار أبو نظارة على نهجه فحدثنا حديثاً شائقاً في المخاطبة الأولى بين شهامتو حسام أفندي ضابط عسكري وقياقتلو عباقتلو نومة الضحى أفندي ... الخ، عن حريق الإسكندرية ومذبحتها خاصة، فرمى في الحوار إلى أن الخديو توفيق هو صاحب الجريمة ... على الواد الأهل مستندات وشهادات وحجج وأوراق وتلفرافات

وهو يحمل الحديد وعصبته كل النتائج التي وصلت بمصر إلى هذا الهوان ،
وتشر في ذلك قصيدة ممتعة نسبها لأحدهم ،نقتطف منها بعض أبياتها ، فهي إلى
دقة التصوير تجمع معاني أدبية لا بأس بها ، بعنوان « القول الوجيز في دخول
الإنكليز » (١) :

ياراوى الدهر حدث عن أفى العجب واندب زمان التصافى يا أخا العرب
ما بين جمل وحقد ضاع سوددنا واستأصلتنا يد الأرزاء والكرب
هذا العزيز تخلى عن سيادته للإنكليز ولم يقبض سوى الكذب
.

كانت شرارة نار لم تكن أبداً محتاجة في تلافيفها إلى نصب
لكن حشوا رأسه غشاً فأضرهما حتى تجاوزت البلوى إلى اللب
وبعد دربكته جاءوا لنصرته لكنهم جرعوه لوعة الحرب
حنوا عليه حنو الذئب إذ نظرت عيناه شاة تبحر الرجل من عطب
تخال أن ثنايا الذئب باسمته وما درى أنها أنياب محتلب
.

مصر الفتاة أبو سلطان أسلمها وإنما أسلم الإسلام بالذهب (٢)
هم رأسوه على النواب يرشدهم فكان نائبة من أكبر النوب
وقد أثار لهب النار ندوته فصار أولى بأن يدعى أبا لهب
تبت يدها على ما جاء من عمل لم يأت حسان في مسالف الحقب
.

فكم أصابوا بريئاً طوع غايتهم وأغمضوا أطرفهم عن كل مرتكب
وكم أهاجوا بزور القول من فن وروجوا الكفر في جدد وفي لعب
وهكذا مضت القصيدة الممتعة تحكي المصائب والخيانات التي حدثت في صفحتين

(١) أبو نظارة زرقا العدد ١٠ السنة السابعة

(٢) « أبو سلطان » هو سلطان باشا رئيس مجلس النواب الذى خاض وطه وعاون الانجليز
وأنماز إلى الحديد توليق في آخر لحظة ونال مقابل ذلك الرتب المصرية والانجليزية وقدراً دليلاً من المال
على سبيل المكافأة .. والفتاة - معناها مصر الممزقة

وأصحابه ، وهو في هذه الكراهية ينفس عن نفسه كواطن مصرى شريف ، ويعبر أيضاً عن السياسة الفرنسية التي كرهت هذا الاحتلال ووقفت له بالمرصاد في كثير من المناسبات حتى تم الاتفاق الودى بعد ذلك بسنوات . ومن العناوين الطيبة لحملته على إسماعيل وتوفيق ما نشره في معرض المقارنة بينهما وبين الأمير حلیم (١) وفي هذه المقارنة عرض الكاتب لسيرة إسماعيل في إيطاليا وما تعرض له من سوء المصير نتيجة اضطرابه في شئون السياسة وأموره الخاصة التي لا تليق بأمر كبير ...

ثم لا يني المواطن الحر عن الدفاع عن القضية المصرية بجميع الوسائل والطرق ، فيسعى خطيباً يعرضها في مدن فرنسا وعواصم أوروبا ، ويسجل آراءه في صحيفته ، وهو ينشر أيضاً نحو صفحتين كاملتين عما صنعه « صاحبة السعادة الخاتون كارتر المحترمة » في هذه القضية وكيف « عقدت محفلاً سياسياً دعت إليه جمعاً غفيراً من السيدات السياسيات مع بعولهن وأولادهم وبناتهن ، وكلفت بعض الرجال السياسيين إلقاء الخطب في سياسة الدولة البريطانية بمصر - فتولى رئاسة المحفل مستر وود - صاحب جريدة (المورينج بوست) وصار صاحب النحلة معاوناً أول له ... » (٢) وكان هذا الاجتماع ناجحاً وموفقاً ، وتعرض فيه المتكلمون لبربرية حكومتهم التي قطعت على استقلال أمة متحفزة وسمحت للفساد أن يستشري فيها دون وازع من ضمير وخلافاً لما أثير عن تقاليد الأمة الإنجليزية ، الأمر الذي يراه أحرار إنجلترا مسبباً في تاريخهم ويستوجب منهم السعي عند المسئولين للرجوع عن هذا الطريق وإخلاء مصر من الجنود الإنجليز

ويعقوب لا ينف مجلته من الآن فصاعداً على القضية المصرية وحدها ، بل يعرض لقضايا الشعوب المستعمرة في كل مكان ، وخاصة الشعوب التي تخضع لحكم الإنجليز ، وهو يعرض قضاياها ليعبر مواطنوه ويروا فيها كيف يجالد ويكافح الأحرار في كل مكان ، وقد صدر افتتاحية أحد الأعداد بموضوع عن الهند قدم له بأنه « وردت إلينا من أحد نبهاء الهند الرسالة الآتية درجها ، فالمرجو من محبي الوطن والحرية بمصر أن يقرأوها بغاية التأمل ويفهموها كلمة كلمة ، فنظير لهم خبائثة الحكومة الإنكليزية

١ - أبو نظارة ذرقا .. العدد التاسع السنة الثامنة

٢ - أبو نظارة ذرقا .. العدد الثامن السنة التاسعة

أغنياً كم وأذل أعزاًكم ودمر بيوتكم وسلب قوتكم وأهلك عساكركم وفرق شملكم... وكل العالم في جلبه وضوضاء واستخبار واستفهام عن أخباركم وقلوب الأجانب في قساوتها قد تفتتت حزناً عليكم.... ومع كل ذلك أراكم كاشري الأنياب غاري العيون متقلصي الشفاه كأنكم في حانة... يا أهل مصر! ما هذا السكوت. ما هذا الجود.... والله والله والله. هذا وقت لتفاعدتم فيه عن طالب حقكم لجحدكم كل إنسان حتى البرابرة والتكاريه والسومالية والسودانيون ولهم الحق بذلك» (١) وهكذا يبكى الكاتب موطنيه وكان تبكيته يصل أحياناً إلى الشنائم فيتحرر قائلاً «مافاضلشي في مصرنا إلا الجديان...» (٢).

ولم يعجبه في رجالات مصر في ذلك الوقت، أي في سنة ١٨٨٤ إلا شريف باشا، ذلك الوزير الذي أبى أن يفرط في السودان، وله موقف مشهور خلد في التاريخ، ويعقوب هنا منصف للناس والتاريخ، فقد كان خصماً لشريف باشا في أكثر من مرة، ولكنه مدحه أيضاً أكثر من مرة، وذلك كلما رقب الوزير موقفاً مشرفاً، وكانت آخر المواقف المشرفة ما ذكره عنه في أزمه سنة ١٨٨٤ على لسان شريف نفسه وهو يخاطب الخديوي بقوله «... سعادتك سيد العارفين وتعلم أن رجل اختيار مثلي التي قضيت طول عمرى شريف ما يصحش إنى أضحى شرفي على آخر الزمن... ثم يرسم صورة بمنعة لمكانة رئيس الحكومة في ذلك الوقت بقوله على لسان شريف باشا «أنا اليوم يا أفنديم صبيح رئيس نظار دولتك العلية أشبه بطرناور لأن لسوء حظ مصرنا الربط والحل في يد الجماعة» (٣).

إن صحفينا لا ينكر فضلاً لأحد، ويسجل هذا في إخلاص، مهما تسكن بينه وبين صاحب الفضل من خصومات، وقد دأب على نشر المديح في كل من يرعى ذمة وطنه ولو لم يكن مصرياً، وحسبنا على ذلك دليلاً تناوؤه الجهم على لويس صابونجي صاحب النحلة، وهي أشهر من أن تذكر، وكل مصري حر بها أخبر، ويعلن ابن صنوع فضل صابونجي على زعماء الثورة العرابية ولولا منشئها - يقصد المجلة - الذي أخلص

١ - أبو نظاره زرقه العدد العاشر السنة الثامنة

٢ - «... الثاني...»

٣ - أبو نظاره زرقه عدد ١ السنة الثامنة

الجد وثبت على الكد في الاستنصار للسيد أحمد عرابي وإخوانه وسعى لدى زعماء الحرية ونصره الإنسانية للتألب على أهل الفساد لكان عرابي اليوم قديماً ، ويمضي متحدثاً عن أنه كان — أي لويس — واسطة خير بين « مستر بلونت الشهم الهام وبين السيد أحمد عرابي ... » (١) .



قال أبو نزار

المستر بلنت وله في تاريخ العرابيين تاريخ ..

وقد نشر هذا تحت رسم لصاحب النحلة وهو من الرسوم القليلة النادرة للأشخاص التي وجدت في صحفه الأولى مرسومة وسط إطار جميل ، وكذلك نشر صورة للمستر بلنت وتحدث عنه « ترجماً لحياته نقلاً عن « جريدة النحلة الصابنجية » فذكر أن خصوم الحرية لمصر ادعوا أنه عين للإنجليز ، وأنه لم يصدق شيئاً من هذا بعد اطلاعه على مؤلفات بلنت عن الشرق وقضائله « فأثر السيد ويلفريد سكاون بلونت حبيب الأمم الشرقية ، أما قرينته اللادي عناً ، فهي جميلة كمحور الجنة ، ليس فقط بالحسن والجمال ولكن بالفضائل والكمال ، لسانها بالعربي فصيح ، ولفظها بلغتنا ملبح ، حفظت القرآن الشريف ، ودرست كل شاعر عربي لطيف ... » (٢) وقد نشر صورتها في عدد تال مادحاً بحباياها ذا كراً شمائليها في تفصيل (٣) وإن

١ - أبو نزاره زرقا عدد ٩ السنة السابعة

٢ - أبو نزاره زرقا عدد ٥ السنة السابعة

٣ - أبو نزاره زرقا عدد ١٠ السنة السابعة

ما ذكره يعقوب بن صنوع من ثناء على المستر بلنت ، وما أضافه عليه من تكريم
لجدير به حقاً عند من يعرف تاريخ الثورة العراقية (١) وعند من قرأ عنه في صحف
مصر أو في صحف أبي نظارة في باريس (٢) فقد زاد الرجل عن العراقيين وقضيتهم
وعاب على مواطنيه موافقهم من مصر ، ونشر ذلك في التيمس جريدتهم الكبرى (٣)
ويبدأ في (أبو نظارة زرقاه) تاريخ الحركة المهدية بما نشرته عنها المجلة من حوادث
وبيانات ورسوم ساخرة تهزأ بمسكاتهم كخود حرب (٤) ومن أمتع ما نشر في هذا الباب
تلك الأزجال التي تعرضت لرجال الإنجليز من ضباط الجيش أو من موظفي الحكومة
المصرية المدنيين ، فقرأنا زجلاً عن (دور على الجنرال جردون) قال فيه الكاتب (٥)

يا محملاً لنجليزيه	أم عين زرقا وشعر أصفر
يا خسارة دالصبيه	في جوزها العسكري الأحمر
شفقتا المبارح يا سيادي	ما كاش حولها انجليز
فقلت لها يا ميسلدي	جيف مي أكيس إيفيو بليز (٦)

أنا في عرضك وان كيس (٧) قالت جرديم بلادى فول (٨)

بلا فول بلا شعير	ما تبغدديش على
أنا ابن المهدي الكبير	إحلى على شويه

فشفتنا المهدي منصور	والجردون في الشق هكتوم
تاني يوم جابوه أسير	في مصيده سودانيه

١ - أبو نظارة زرقا عدد ٧ السنة الثامنة

٢ - أبو نظارة زرقا عدد ٥ السنة الثامنة

٣ - أبو نظارة زرقا عدد ٦ السنة الثامنة

٤ - أبو نظارة زرقا .. عدد ٨ السنة الثامنة

٥ - أبو نظارة زرقا .. العدد ٧ السنة الثامنة

٦ - تريبها اعطى قبة واحدة من فضلك

٧ - تريبها قبة واحدة

٨ - تريبها اعنة الله عليك يا جردون

أمام المهدي الشهير مع ضباطه لتجلبيزية

فإذا فرغ يعقوب بن صنوع من حملته على جور دن عقب عليها (بدور على كليفور د لويد) وهو وكيل الداخلية الإنجليزى وله تاريخ مشهور عرضنا له فى كتابنا عن جريدة الأهرام (١) بما يكفى لشرح سيرته فى أخذه لأدور مصر الداخلية وقد جاء فى هذا الرجل (٢)

لو لم يكن باش دجال	ما كان غلادسطن اختاره
قال جامصر يصلح لأحوال	خربها يخرب دياره
ياما نهب فلاحين	ياما غسدر جماديه
ياما ظلم مساكين	وفى شعبان مصره
أما رنى فعله عجب	كشفت ستره فبان غشه
وفى شهر شعبان ورجب	أمام النار سود وشه

ولم تقف السخرية عند حد ، سواء اتصلت هذه السخرية بنظام الحكم والادارة فى مصر أو فى السودان ، ومن ذلك ما نشره تحت عنوان (تلغرافاتنا الخاصة) وهى برقيات من صناعته (٣) وتشبه الأمثلة التى كان ينشرها منذ سنتين تحت عنوان (كلام فارغ وكلام ملى) (٤) ومن هذه التلغرافات ما جاء « من القاهرة فى ٧ منه » (٥) وفيه يقول « سلطان باشا متوجه إلى لندن بما موريتين إحداهما ينظر طريقه لإعفاء المسلمين من ليس البرابطكا أمرم الذى جرى مفعوله فى ١٥ مايو ١٨٨٤ — نائبا يتعمد للإنكليز بتسليم بر مصر كلها ، ومرضاة الأهل على الله ثم عليه بمبلغ أكثر شويه من الذى كان أخذه عندما سلمهم التل الكبير وكان ذلك عشرة آلاف جنيه » وتستمر (أبونظاره زرقا) تؤكد سياستها فى نقد أمور الداخل وكشف أستار

١ - راجع كتابنا عن جريدة الأهرام ص ١٢٠ وما بعدها

٢ - أبونظاره زرقا عدد ٧ السنة الثامنة

٣ - أبونظاره زرقا - العدد الأول السنة الثامنة

٤ - « « « « « السنة السادسة

٥ - « « « « « السادس السنة الثامنة

السياسة الدولية تجاه مصر ، وتشرح مقام المهدي في نفوس مواطنيه المصريين (١) وتحمل على الإنجليز والنحس الذي حل بمصر يحلوهم ، وتأتي في ذلك بمثال الكوليرا التي انتشرت في البلاد انتشار النار في الهشيم (٢) ثم لا يفوت المحررين أن وآخر الحملة على إسماعيل في منفاه ، ومن هذا القليل ما ذكره عنه وعن المجلة التي تصدرها في إيطاليا بقلم إبراهيم بك المويلحي (٣) فقال في خطاب مفتوح : « ... طي جواني هذا يا بوتوفيق تخدم مقالات أحدم الخوازيق ، فطفتها من أعظم جرائل باريس ولندن وروما وفينا وبرلين ، اقراهم يا كبدي وابكي على روحك يامسكين ، دول ذموك وهلهوك وكشفوا سترك وحقيقة أحوالك ، وأخبروا جميع الناس بأن جرنال الاتحاد هو جرنالك إلى آخر ما جاء من تسفيه الخديو وما احتوت عليه صحيفة الاتحاد التي كان يصدرها في الخارج من دعاية فجّة نافذة

وهكذا يحتم يعقوب بن صنوع بانقضاء سنة ١٨٨٤ حقبة من تاريخ حياة صحفه ، مليئة بالأحداث والعبر ، ويستقبل بعد ذلك بعض الحقب التي بلغت فيها صحفه غايتها من النضج والاستمرار ، وسجلت أحداث مصر كبيرها وصغيرها ، وقربت إلى الأفهام كثيراً من المشاكل التي كان يستعصى فهمها ، ويدق هضمها على عامة الناس ، وخاصتهم في بعض الأحيان

١ - أبوظاهرة زرقا - العدد الثالث السنة الثانية

٢ - « د د د د » التاسع

٣ - إبراهيم المويلحي أديب مصري معروف ، له جولان صحفية منذ كان الخديو إسماعيل يحكم البلاد ، وكان من أصدقائه وإن كان يوماً عدواً من أعلام الديمقراطية وقد صحب الخديو في الخارج ونشر عدة صحف يدعو فيها لتكون الخلافة في بيت محمد علي

٤ - أبوظاهرة زرقا - العدد العاشر السنة الثامنة

الوطنى المصرى

وهذه صحيفة أخرى ، من الصحف التى اضطرت له الحكومة المصرية إلى إصدارها فقد أصدرها حين قرر مجلس النظار مصادرة صحيفته (أبو نظاره زرقا) حتى يتمكن بذلك من إسماع صوته فى مصر عن طريق توزيع (الوطنى المصرى) على قرائه العديدين الذين كانوا يتشوقون إلى مجلته ، وينتظرون أعدادها وجلين من مصادرتها فى الجمارك المصرية .

والوطنى المصرى صحيفة تشبه فى حجمها (أبو نظارة زرقا) ، ولولا تغير الاسم لظنناها هى بنفسها ، فهى لا تختلف عنها شكلاً أو موضوعاً ، بيد أنها تميزت عن صحفه الأخرى باللغة الإنجليزية التى احتلت منها جزءاً واسع النطاق ، وهى ترجمة طيبة لبعض مقالاته المنشورة فى الصحيفة باللغة العربية .

وقد نشر المحرر اسم الصحيفة باللغة العربية محاملاً بترجمة حرفية لهذا الاسم باللغة الإنجليزية وهى The Egyptian Patriot ، هذا إلى أن جميع التفاصيل الخاصة بالمجلة كأمم صاحبها ونشرها وقيمة الاشتراك فى مصر وغير مصر من بلاد العالم وتاريخ الصدور وما إلى ذلك قد نشر باللغة الإنجليزية على رأس العديدين النادرين اللذين صدرا منها فى باريس .

وقد ذكر المحرر أنه سيصدر منها اثنى عشر عدداً ، والصحيح أنه لم يصدر فيها إلا عديدين فقط حتى رتب أموره مع معاونيه فى القاهرة ، فأعاد إصدار (أبو نظارة زرقا) فى الشهر التالى لصدور الوطنى المصرى ، ونقصد بالأمور التى رتبها مع معاونيه هى التغلب على عقبات إدخال (أبو نظاره زرقا) إلى مصر دون أن تحجز فى جماركها وذلك بطرقه المختلفة التى شرحنا طرفاً منها فى فصل سابق .

وقد صدر العدد الأول من (الوطنى المصرى) فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٣ أى بعد مضى سنة على الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وقد كان أبو نظارة يحسن لو استمر فى إصدار صحيفته ومعها ترجمة إنجليزية ، أو إصدار صحفه الأخرى ومعها تلك الترجمة حتى يمكن للإنجليز فى إنجلترا أو فى مصر أن يقرؤوا هذا الصوت البعيد ، ويتبينوا منه

سيقفون إلى جانب المصريين جعل المحرر يعنى عناية خاصة بنشر ترجمة لمقالاته باللغة الفرنسية دون الإنجليزية ؛ وحتى العديدين اللذين صدرا من الوطنى المصرى لم يخلوا من ترجمة فرنسية ، وإن اقتصرت الترجمة على الصور والرسوم .
وقد صدرت (الوطنى المصرى) فى ست صفحات ، على غير المأثور عن صحفه التى كانت تصدر إلى ذلك الوقت فى أربع صفحات فقط ، ولو حظ على هذين العديدين النادرين أن المعارك التى كانت دائرة فى السودان حينئذ كان لها المكان المرموق فيهما ، إلى جانب بعض الرسائل التى وردت للمحرر من « الجمعية الوطنية السرية بالقاهرة إلى أبى نظارة بباريس » (١) .

وفى هذه الرسائل يبدو أن وجهة نظرنا القائلة بأنه كان من صالح البلاد نشر ترجمة إنجليزية فى صحفه لما كان ينشره باللغة العربية من موضوعات ، قد أحسها مواطنونا فى ذلك الوقت ، إذ جاء من الجمعية الوطنية بعد شرح ما أصاب مصر من سوء . . . إنما مصائبنا دى المبهول ، عند أهالى أوروبا بالسكينة مجهول ، فيجب عليك نشر جريدة سياسية تترجم أهم ما فيها إلى اللغة الإنكليزية ، والقصد فى الترجمة هو عرض حال وطننا العزيز ، على الأمة البريطانية لأن لليوم موجود بين الإنسكيز ، كثير من محبى الإنسانية والإنصاف كما كنا نعهد فيهم من قديم الزمان ، فأذا سمعوا صراخ مصر ووقفوا على سوء حال المكان ، يادروا إلى إصلاح ما فسد فريق منهم إما جهلا وإما تعمداً ونحن نبلغ القصد والمراد ، وتعود لنا الحكومة الوطنية إلى حرمانها الواد .

ويكتب أبو نظارة حاشية على ما جاءه من الجمعية الوطنية السرية ، يقول فيها : « أنا مستعد لخدمة الجمعية الوطنية المصرية ونشر جرائدها ودرج جميع مراسلاتها فيه ، فقط أرجوا بأن كاتبى المقالات لا يمدحونى . مثل ما فعلوا فى الجواب المحرر أعلاه لأننى لست أهلاً لذلك ، وكلما فعلته وسأفعله لإصلاح وطنى فهو فرض على كل مصرى »

وفى رأى أن أحداً لم يكتب له فى هذا الموضوع ، وإنما هو تخيل أنه قد تلقى هذه الرسالة وغيرها من الرسائل ليعبر بها عما يعتلج فى نفسه ويدور فى رأسه من

العدد الثاني بعد العدد الثالث عشر ، وهما على أى حال لا يعنيان أن يعقوب بن صنوع اعتمد عليهما في إبلاغ رسالته سره للبرانيين أو للإنجليز ، بل هما في اعتقادي من صحف « الضرورة » التي نشرها المترجم له حتى يتغلب على الصعاب التي اعترضت سبيل صحيفته باسمها الأصلي ، فقد كان الاحتلال الإنجليزي قاسياً على الصحف في سنواته الأولى ، فصادر الصحف المحلية الوطنية وألغاهها ، كما أصدر مجلس النظار في سنتي ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ أكثر من قرار يحرم دخول جرائد بالذات إلى مصر ، وفي مقدمة صحف يعقوب والعروة الوثقى التي كان يحررها الأفغانى ومحمد عبده في سنة ١٨٨٤ ويصدرانها في باريس .

فإذا أصدر المترجم له مجلته (الوطنى المصرى) إلى جانب (أبو نظارة زرقا) فأما يصدرها من باب الحيلة وعلاج النقص إذا حدث ذلك حتى إذا صدرت صحيفته الكبرى ظهرت مكانها مجلته الأخرى وحلت عند قرائه محل صحيفته الأصلية ، وتمكن بذلك من أداء رسالته على طريقته الفريدة التي اتبعها ثلاثين عاماً دون توقف أو امتراء

أبوظارة مصر للمصريين

هي في ذمة المؤرخ أول مدارج النضج والاستواء في مجلات يعقوب بن صنوع، من حيث الشكل الذي صدرت فيه صحفه، إذ هي أكبر طولاً وعرضاً، وأجمل صورة ورسمًا، وأدق إملاء وخطاً، ومن حيث الموضوع وتنوعه، والأسلوب وصحته، والفكرة وحرارتها... فمذ سنة ١٨٨٥ سنشاهد داراً للنشر أو شيئاً يشبه دار النشر، مصدره انتظام حياة الكاتب المادية واستقراره في عاصمة النور، وشهرته بين الفرنسيين كموطن لاجيء حر شريف

صدر العدد الأول من (أبوظارة - مصر للمصريين) في ١٠ يناير ١٨٨٥ وكان آخر عدد صدر منها في سنة ١٩١٠، أي أن يعقوب بن صنوع مضى يصدر مجلته نحو ست وعشرين سنة، تقلبت فيها المجلة فبلغت فترة أوج العز والكمال، وانخفضت فترات فأصابها الهوان في شكلها وموضوعها، وهي في جل أعدادها خصصت جزءاً منها لنشر الموضوعات باللغة الفرنسية، فكانت الصفحتان الأولى والرابعة وقفاً على تلك اللغة (١)، وكانت اللغة الفرنسية تطغى أحياناً على اللغة العربية فتملاً أكثر المجلة وذلك لتفهم الأوروبيين ما صارت فيه مصرنا الآن من النشاط واليقظ وعدم قبولها الغفلة، كذا اجتهد أهلها في حزم الرأي وحسن المسلك واتحاد الكلمة... (٢) ومن الأمثلة على ذلك أيضاً أن المجلة في إحدى السنوات كانت تنشر ثلاثة أرباعها باللغة الفرنسية (٣)

وقد تغير رأس المجلة عدة سنوات، فظهرت في سنة ١٨٨٥ بالعنوان الذي ذكرناه، ثم تغير رأسها في سنة ١٨٨٦ فأصبح (أبوظارة - متبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً... ويأتيك بالآخبار من لم تزود) ثم عاد رأسها إلى ما كان عليه من قبل

١ - أبوظارة - العدد الثالث وما بعده سنة ١٨٨٥

٢ - في ٢٤ مايو ١٨٩٣

٣ - راجع سنة ١٩٠٨

في سنة ١٨٨٧ ، ثم تغير تغييراً خفيفاً في سنة ١٨٩١ ، ثم تغير تغييراً ملحوظاً في سنة

3^{me} Année
Journal Oriental
Directeur & Rédacteur
en Chef
Ismaïel Abou Naddara
22 Rue de la Banque
Paris
Abonnement
30 F^{rs} par an



Abou Naddara
أبو نضارة

السنة الثامنة
جريدة شرقية
مديرها ورئيس تحريرها
إسماعيل أبو نضارة
قيمة الاشتراك في طرود مصر وبلدان
عذرة مصر ٢٢ فرنك بالبريد
البريد
٢٢ فرنك بالبريد ٢٢ بالبريد

No 1 Paris le 10 Janvier 1885

عدد ١ باريس ١٠ جانفي ١٨٨٥



(Scène mémorable des jugements d'Ismaïel à Londres (voir plus loin le compte rendu en français).)

جانب بشار الديوك أوف سومرلاند - استقبل يحيى سباحته في أوروبا ويرجو التخليد للفرنسيين يسأرونه على رجوعه لمصر .



في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م -



في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م -



في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م -



في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م - في ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ - ١٨٨٥ م -

من صحف يعقوب في باريس

١٨٩٣ ثم أصابها التغيير أيضاً في سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٧ ، وهذا التغيير الذي شمل
رءوس صحيفته لم يغير من شكلها أو طابعها أو حجمها ، بل مضت على سجيته حتى ليفرت
القارئ العادي أن يلاحظ هذا الذي سجلناه هنا من ألوان التغيير المذكور
والجديد الخطير في شكل المجلة وروعها ، هذه الصور الممتعة الملونة عدة ألوان ،
وهي تنافس ما نراه اليوم من الصور الملونة ولا تقل عنها دقة وإخراجاً (١) ولم
يستطع المترجم له أن يستمر في نشر تلك الصور البديعة في جميع السنوات ، فاختفت
فترة طويلة من صحيفته (٢) ولم تعد إليها إلا بعد سبع سنوات (٣) على أن هذا لا ينفي
وجود صورته ورسومه الأخرى ذات اللون الواحد ، في الصفحة الأولى أو الصفحة
الرابعة ، وإن كان بعض الرسوم قد نشر في قلب المجلة في القليل النادر (٤) وقد
صدرت الصحيفة في ورق الصحف الجيد وإن كانت بعض الأعداد قد طبعت على
ورق أبيض جميل (٥)

تجويد الخط أو كتابة الكلمات دون خطأ أو اضطراب (١) حتى إننا نكاد نجزم بأن قبح الأعداد مصدره خطه الرديء ، وقد يستمر صدور الأعداد سنة كاملة على هذه الحالة (٢) ثم يتحسن بعض الشيء في سنة أخرى (٣) ويبلغ أقصى الجمال في معظم السنوات (٤) وقد رأينا مجلته فترة ما مطبوعة بحروف المطبعة ، فجاءت آية من آيات النشر والإخراج (٥) إلا أنه عاد إلى خطه اليد بعد نقل المطبعة من مكان إلى آخر واعتذر عن ذلك ، ووعد بنشر الصحيفة بحروف مطبعية غير أنه لم يف بوعده (٦)



التغير الذي أصاب رأس (أبو نظارة)

ولم يكن صدور المجلة منتظما ، فقد كان العدد يصدر مرة كل شهر ، وأحيانا يصدر مرة كل شهر ونصف شهر (٧) ، واستمر يصدرها مرة كل شهر منذ ١٨٨٥ إلى سنة ١٨٩٠ ، ثم كتب يعقوب يقول في ورقة خاصة ملحقة بالعدد الصادر في ٢١ يناير ١٨٩١ ، قد ازدادت رغائب مطالعي جرنالي لنمو أهميته ، واتسعت دائرة الاشتراك

- ١ - أبو نظارة - العدد ٥ من سنة ١٨٨٧
- ٢ - راجع سنة ١٩٠١
- ٣ - راجع سنة ١٩٠٢
- ٤ - راجع سنة ١٩٠٣
- ٥ - راجع السنة الثامنة والعشرين
- ٦ - راجع العدد الرابع في أبريل ١٩٠٥
- ٧ - صدر عدد (٩) في ٢٢ أكتوبر ١٨٩٥ وعدد ١٠ في ٢ ديسمبر سنة ١٨٩٥

فيه ولم تختص بمصر وسورية وتونس والجزائر والغرب بل بالهند والجزائر والقمور وغيرها من البلاد الشرقية ، والذي يؤكد لنا ذات أهمية الجرنال ونفوذه وانتشاره في وادي النيل مع شدة الحرس والمراقبين لمنعه . . . وبناء على طلب القراء جعلنا صدوره مرتين في الشهر عوضاً عن مرة واحدة غير أن هذا الوعد المسجل لم ينفذ ، بل إن مجلته مضت تصدر في بعض السنوات أربع مرات فقط ، وإن كان يصدر بجانبها وفي نفس الحجم مجلات مختلفة لم يحن الوقت بعد للتحديث عنها (١)

LE JOURNAL D'ABOU NADDARA
(15: Πηγάς)

جريدة أبو نضارة
السنة الخامسة عشر

Directeur & Rédacteur en Chef
J. SAUDY ABOU NADDARA
6 Rue Geoffroy Marie 14110
Abonnement 20^{fr} par An

مدير الجريدة ومقرها الأول
الشيخ ج. سافر أبو نضارة
تمنح وجوهها ما يقرب من
قيمة الاشتراك في كل سنة

Paris, le 21 Février 1891

باريس عدد ٢ في ٢١ فبراير ١٨٩١

من التغيير الذي أصاب رأس (أبو نضارة)

وقد ذكرنا أن يعقوب بن صنوع جعل مكاناً ملحوظاً لترجمة فرنسية لما يكتبه باللغة العربية ، وكان ينشر موضوعات كاملة بتلك اللغة لا علاقة لها بالمشهور باللغة العربية ، غير أن هناك لغات أجنبية أخرى نافست اللغة الفرنسية في كثير من الأعداد وخاصة اللغة التركية التي كانت تبرز بين آن وآخر بمناسبة المولد السلطاني الحميدي (٢) ثم احتفظت مجلاته جميعاً في أكثر السنوات بالتاريخ الهجري يتصدر رأس أعدادها كما كانت الصفحة الأخيرة مكاناً للتاريخ الفرنسي (٣) المعادل للتاريخ العربي ، غير أنه كان يغفل أحياناً كثيرة ذكر التاريخ الميلادي

١. أبو نضارة راجع ابتداء من ١٨٩٨
٢. راجع العدد المائتين ١٨٩٩
٣. راجع ابتداء من سنة ١٨٩٧ ، ١٨٩٨

بنى سؤالان قد يشغلان بال قارىء هذا الكتاب ، أولهما عن مقدار النسخ التى كان يطبعها من كل عدد، وثانيهما عن الأسباب التى عطلت المجلة عن الصدور أكثر من مرة فى الشهر ؟

ويجيب أبو نظارة بمناسبة بلوغ صحفهِ العيد الفضى عن السؤال الأول بقوله طبع كل مرة من كل عدد من الأعداد العادية ما يزيد عن عشرة آلاف نسخة أما الأعداد ذوات الأهمية مثل التى تضمنت عيد الجلاوس والمولد السلطانى فقد طبع كل عدد منها ما يتوفى عن خمسة وعشرين ألف نسخة ، وبحمده تعالى فلقد طافت مشارق الأرض ومغاربها، وسلت الحزين على همه وملأت قلب المظلوم أملاً بزوال ناف العبودية من على أكتافه . . . ثم نجد الإجابة على السؤال الثانى فى قوله إنه تقدم فى السن وضعف بصره وكثرت أشغاله ، بالتعليم والترجمة ، فضلاً عن اشتغاله بالقاء الخطب فى المحافل والمآدب السياسية والعلمية ، كل ذلك لم يمكنه من إصدار مجلته فى بعض الأحيان أكثر من مرة فى الشهر (١) .

ويعتبر يعقوب بن صنوع صاحب الجريدة وكاتبها وناشرها ، وإن قام بكتابة خطبها كثيرون من الشرقيين ، ووضع رسومها أكثر من رسام ، غير أن موضوعاتها جميعاً من قلبه ، سواء كانت باللغة العربية أو بأية لغة أجنبية ، فقد كان الرجل يجيد كتابة أكثر من عشر لغات ، غير أننا لاحظنا بين آن وآخر كتابات بقلم آخرين أفصحوا عن أسماهم إفصاحاً ملحوظاً ، وداوموا على نشر المقالات عدداً بعد عدد ، حتى ليخيل إلينا أنهم من محررى المجلة الأصليين ، وفى مقدمة هؤلاء القس لويس صابونجى صاحب مجلة النحلة (٢) .

* * *

أما سياسة المترجم له فى صحفه جميعاً ، فهى هى سياسته التى عرفناها له من قبل حتى سنة ١٨٨٤ ، ولا يزال إسماعيل وتوفيق ، وخاصة الأخير موضع سخطه وسخريته ، ومن ذلك ما نشره تحت عنوان (دور) (٣) ولا تنصب السخرية على توفيق وحده

١ - راجع سنة ١٨٩٥ من أبو نظارة

٢ - راجع سنة ١٨٨٦ من أبو نظارة

٣ - أبو نظارة - العدد ١١ سنة ١٨٨٥

بل تشمل المصريين الذين يرضون الذل ولا يرفضونه، إستمع إليه يقول

مستر توفيق ابن اسماعيل ماله رفيق في وادي النيل
الناس ساووه لكونه خان عصر وابوه حتى السلطان
باع للأجنبي كل الأصحاب أهبل وغبى غشاش كذاب

.....
في مصر رجال يخلصونهم من الأندال الى باعهم

غير أنه يستعرض تهاون مواطنيه في ظروف سابقة، ويتذكر مواقفهم الضعيفة في الشدائد والمحن، فيعلق على ضعفهم وخورهم في عنف بقوله في فقرة من فقرات هذا الدور :-

Visiteur Amis
FONDATION
Directeur et Rédacteur en Chef
J. SAHIB ABDO HADDARA
1, Rue Cadix - Paris, 74318

Le Journal d'Abou Haddara

Tout le monde s'abonne et s'inscrit d'abonnement d'abonnement au Journal de Journal

N° 6 22 JUNE 1995

ABONNEMENTS :
Edition de Luxe, avec sup-
plément hebdomadaire, 1 an, 500 F
Abonnement simple, 1 an, 100 F

يا أيها هؤلاء المرحومون في مقالة حامي وشيخ الكريهين السودانيين



محنة الانجليز في السودان

لا. دول بالهم أوفيق يسوقهم ددو حل مش دم الملى فى عروقهم

.....

وتأخذ القضية السودانية وأبطالها مكان الصدارة فى صحيفة ابن صنوع سنوات متصلة ، فنجد تحية رائعة من قلم صاحب النحلة عن (عثمان دقة بطل السودان) (١) استغرقت الصفحة الأولى ، وفيها يدافع صابونجى عن الثائر ويحمل على الإنجليز وإذا ذب المرء عن دينه وعرضه ووطنه كان أشد الناس ورعاً وشرفاً ومروءة فالبطل الهمام عثمان دقه الذى أضى على الإنكيز أشد نغمه ، قد تفرد بين قواد السودانيين بالبسالة والغيرة على حرية وطنه وقومه ، فلا لوم عليه إذا قاوم الإنكيز والأجانب الذين حاولوا غزو بلاد نشأ فيها ، ولذلك لاندري بأى حق يصفه الإنكيز بصفة عاص ، ثم يمضى مادحاً له ساخرأ من الإنكيز وجيشهم المدبر فى السودان . ويظهر أبو نظارة شماتته بهزيمة الجنود الإنجليز فى السودان تحت عنوان (برج إيفيل) وهو حديث عن هذا البرج ومهندسه فيزعم أنه كتب مقالا من أعلى البرج ذكر فيه أنه يرى وادى النيل « من السودان إلى اسكندرية ... ويرى أسود السودان قد أخذوا الإنكيز على أسنة رماحهم كأنهم كباب من لحم خنزير قد سيخ فى سيخ مسقى بيول الخير ، وهم على صورة الجراد ، ووجه الشبه أن الجراد لم ينزل بواد إلا خربه ... » (٢) وهكذا ينتقل إلى مدح شجاعة مواطنينا السودانيين ، مؤيداً كفاحهم ، راجياً نصرهم ، فهو يعتبر نصرهم نصراً لمصر أيضاً .

ويتحدث المترجم له عن فتح السودان ، ويرى ذلك خطراً على كيان مصر نفسها وافتئاناً على حقوق السلطان ، ووسيلة لإطالة بقاء الإنجليز فى مصر ، ويرتب على هذا الموضوع آراء لا بأس من تسجيل بعضها ، فاثلاً إن الاحتلال : سابق قدامه عسا كرنا المصرية ، لمحاربة إخوانهم السودانية ، ومصاريف السفر من خزنتنا الملى « فاتيحها بيد الإنجليز ، لحزنت على مصايب وطنى العزيز ... وكيف الإنجليز يشهروا الحرب على السودان ، من غير ما يستأذنوا مولانا السلطان ، يا هل ترى ديارنا المصرية ماهيش قسم من الممالك العثمانية ؟ ... عمرى ما أصدق أن سمو خديويتنا من الحرب

١ - أبو نظارة العدد الثانى ١٨٨٦

٢ - أبو نظارة فى ١٥ أغسطس ١٨٨٨

دى مسرور ، لأن جنابه سيد العارفين ، ويعرف أن محاربة السودانيين ، نتيجتها مشومة على وادينا ، وهزيمة لأعاديها ، لأنهم إذا اتصروا على السيد عبد الله العطايشي — يقصد التعايشي — ودقة عثمان — يقصد عثمان دقنه — يتسلطوا هم ذاتهم على السودان ، وإذا أنغلبوا مثل أول مرة يتخذوا كسرهم حجة جديدة ، لإطالة إقامتهم في ديارنا السعيدة ؟ لا . لا . ديارنا حزينة من يوم مداخلوها ، فنوا رجائها وأقبروها (١) إلى آخر هذا المقال الممتع الذى شرح جزءاً من سيرة فتح الإنجليز للسودان .

ويعبث الإنجليز بقبر المهدي ، ويسوء ذلك السودانيين والمصريين ، ويرى أبو نظارة أن يكشف للعالم ما ارتكبه المستعمرون من وزر ، فشر تحت عنوان (وحشية الإنجليز وعدم مرحمتهم) (٢) قائلاً : لا بد بلغكم يا خلان ، ما فعله من القساوة الانكليزيان ، بمدينة أم درمان ، بجثة السيد احمد محمد بطل السودان إلى متى تحلم على الانكليز يارحمي ، دول نابروا على المظالم ، ودارموا على الطغيان ... أف من الإنكليز ياماهم وحوش ، ياسلام عليهم متى قدروا ما يغفوش زاهم اليوم يفتحوا مقابر الأبطال ، ويخرجوا الميت ويفعلوا به أشنع الأفعال ، وفعلهم ده المشوم أجروه في المهدي المرحوم ، أخرجوه من قبره وأمام أهله وناسه ، يدمم النجسه قطعوا راسه ، وأعطوها لابن اخي غوردون الجنرال الحسيس ، اللي في عهد المهدي مات في أم درمان فطيس ، وفرقوا أصابعه بينهم ورموا ماتبقى من جسده الطاهر في بحر النيل ... ، ويكاد هذا العدد يكون وفقاً على فظة الإنجليز وتصويراً لبعثهم ، باللغتين العربية والفرنسية وقد شرح هذا كله بطريقته الطريفة وأسلوبه العامي المسجوع ، ورسم له صوراً بديعة تحكى المقول في وضوح يفنى عن الشرح الطويل

وإن ابن صنوع لا يحمل على الإنجليز فيما يعنى مصر والمصريين من شئونها المدنية أو يحمل عليهم فيما صنعوه في السودان من وحشية لم تراع حرمة الموتى ، بل يحمل عليهم ويسخر منهم كلها جد في حياة الإنجليز جديد ، فتجد أكثر من مقال

١ - أبو نظارة العدد الرابع في ١٨٩٦

٢ - أبو نظارة العدد الثالث في ١٨٨٩

وصورة ورسم عما يصادفه الانجليز في حربهم في الترنسفال ، وهو يشرح جهاد أصحاب البلاد ويسجل هزائم المستعمرين ، ويطالب مواطنيه بأن يتمزوا الفرص ويقوهوا قومة رجل واحد ، ويفعلوا بالانجليز ما فعله إخوانهم المجاهدون في جنوب إفريقيا (١) ومن روائع البحوث التي عرض لها يعقوب بن صنوع شئون الحرب بين اليابان والروس في أوائل القرن العشرين ، فقد حكى لنا في تفصيل موضوع تلك الحرب وأسبابها واحتمالاتها ، ولم يفوت عدداً دون أن ينشر من أخبارها ما اعتادت نشره الصحف الأخرى ، وزاد عليها بشرح الظروف وتفصيل الملابسات التي تحيط بالمحاربين ، وبين قدر الألم ومقامه في توجيه تلك الحرب ، مندداً بتأخر الروس مبشراً بتقدم اليابانيين ، وقصارى القول إنه قرأ ودرس عن تلك الحرب ماها لصحيفته أن تسجل من الاراء والبحوث خير ما سجلته الصحف المعاصرة في هذا الموضوع الخطير (٢)

أدي جنازة ست توفيق . رحمه باشا ام سمائل . التي جازوا للحرب . والضيف .. لبر مصر ولدينا ، وفي الليل . سمع يا اخ اني جميع معباد . يهود القدس ودماري . سجنسوا في الور . في النواد للاهل من سنجع الحمار . لكونه حتى العسكر ترفع عوض ما تغلب السامع حمدي الوهاب في الجارات . وهو عاظم نظيره في سيدة مختار . وحافظ زمره تحت ايد السار وليف التي يلمس من مكرمل اليرلات . وحانه بليس . صاحب توفيق من الدر لمار . ما تزعاشي يا غاري يا غرقام . العسكر ميل باقر دن ظريفق . وجبانك ضبابا نهي نعمام . بجي دورلش نجرى ام السلطان ونسحب الوارلنا روق .



جنازة جدة توفيق وتحكى طرائق النظر في وداع الأموات ١١

وسوف نقرأ في (أنى نظارة) أموراً تكاد تكون خاصة لاعلاقة لها بالشئون السياسية ، ومنها ذكره لوفاة جدة توفيق والدة إسماعيل وتعليقه على جنازتها بالكلام والرسوم (٣) ومنها حياته التي لا يغفل عن ذكرها فيما روى عن الناس

١ - أبو نظارة - راجع الصفحة الأولى من سنة ١٩٠٠

٢ - * * - راجع سنة ١٩٠٤ (وبلاحظان المجلة كانت تطبع في سنة ١٩٠٤ بمطبعة حروف)

٣ - * * - العدد السادس في ٢٤ يوليو ١٨٨٦

من قصص وحكايات ، وإنه ليحدثنا عن تاريخه حديثاً ممتعاً شائقاً (١) لا يخرج عما نشرناه في فصول سابقة غير أنه يخشى أن ينساه مواطنوه إذا مات فلا يكون لجهاده أو لتاريخه نصيب بين الأحرار وما نظنه بعد هذه الترجمة - وإن جاءت متأخرة - إلا سعيداً في قبره مرفوع الذكـر بين الأحياء على قدر ما وهبنا الله من خلة الوفاء للأوفياء .

إنه يخشى أن ينساه مواطنوه ، ولكنه لا ينسى وطنه ومواطنيه ، وإن تحناه لبلاده لينتزع منا العطف الشديد ، فقد تمني أن يغيب عن وجه مصر عدوها المستعمر ... كنت أودع قلبي وقرطاسي ، وأعود إلى مصر وأعيش بين أهلي وناسي ، لأن الغربة طالت عليّ ووحشتي الديار ، ونظري ضعف قوى وصيحت اختيار ... ويا هل ترى بعد هذا البعاد الطويل ، يسمح لي الزمان بالعودة إلى وادي النيل ، وأرى مبانیه وأتملي بأنس ذويه ... ولم يكن تمني ذلك لضيق القماش ، ولا لضئك المعاش ، ولكن الوطن عزيز ووجهه في الفؤاد عزيز ، وكل امرئ ، نقي النطفة ، لم يسئل ذوق هذه القطعة ، وذوقها في فـي أحلى من الشهيد ، وألذ من طيب المنام بعد طول السهد ، فأن كان لي في مجاري الغيب أراه ، فقد بلغت من الحظ أوقاه ، وإن دنى قبل الرؤية الختام ، فني عليه السلام . (٢)

ثم نجده يشمت شماته قوية حين يعفى نوبار من رئاسة الحكومة ، ويهمل لذلك فيؤلف تمثيلية بديعة بعنوان (سقوط نوبار) (٣) نشرت في عدة فصول ومناظر ، واستغرقت العدد كله ، معروضة عرضاً جميلاً في أسلوبه المعروف ، ويقابل هذه الشماته حزن عميق حين تلقى نبأ وفاة سامي البارودي ، إذ قال « كان مرادنا أن تشحن صحائفنا بأخبار مسرة حتى يتسلى بها أهل الوادي على همومهم لكن وآسفاه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، ولم يغلب ما في الغيب إلا صاحب الغيب ... إذ ورد لنا ما كدرنا وهو وفاة صديقنا محمود باشا سامي المعروف بالبارودي ... » (٤) وبين مدى حزنه في المحاورة التي تضمنت نعي الوطني العظيم .

١ - أبو نضارة - راجع الورقة الصفراء قبل بدء سنة ١٨٨٦ مباشرة في العدد الثاني من سنة ١٨٨٧

٢ - أبو نضارة - راجع ورقة واحدة وله حديث آخر في العدد الخامس ١٨٩٦

٣ - أبو نضارة - لي ١٤ يوليو ١٨٨٨

٤ - أبو نضارة - العدد الخامس ١٨٩١

وبعد قليل يقضى الخديو ، فيجلل جزءاً من الصفحة الأولى بالسواد ، وينشر تحت عنوان (توفيق) افتتاحية استغرقت العدد كله باللغتين العربية والفرنسية ، جاء فيها : « إن اللبالي والأيام لترينا عجائب لم تكن لنا على خاطر ويا ، لا يعلم بما يجرى إلا مدبر الأمور وباسطها ... » ثم يستطرد ذاكراً أن قضاء الله « لا يبالى به على ولا واطى » مبيناً أنه كان قد أعد مواد الصحيفة وفيها ما يسىء إلى ذكرى الفقيد غير أن قلبه « لم يزل رحباً دائماً وصفوحاً » غير أنه يحجل ما لتوفيق وما عليه « ولذلك قد أبديت كل ما أعلمه عن المتوفى من حسنات ومن مثاوى حتى يكون اعتباراً لمن يعقبه فيجتنب الخوض في فعل مثل ذلك ... » (١)

إن ابن صنوع يؤرخ لحياة الخديو المتوفى تأريخاً لا يمكن أن يوصف بالعرض ، فلم يذهب إلى ذمه إلى أبعد مدى ، إذ حاول أن يكون مؤرخاً عادلاً ، وأحسب أن تولية



محمد سامى البارودى

عباس الثانى بن توفيق كان لها دخل كبير في تهديته الخصومة بين الكاتب وخصمه العتيد ، وإن من يرجع الشاء الجم والتكريم المملووظ الذى احاطت به صحيفه يعقوب الخديو الجديد يجد ما يؤكد ما ذهبنا إليه من رأى (٢) فقد شغلت صحفها بمقالات المدح وصور عباس الثانى في كل مناسبة من المناسبات ، وكان مصدر هذا الإعجاب مواقف الخديو الشاب من الإنجليز وانحيازه إلى المواطنين الأحرار ، حتى إن المحرر لم يجد بداً وهو يعنى البرنس حلیم (٣) صديقه ومعقد آماله ، من ذكر عباس الثانى ذكراً فيه الولاء والوفاء ، وفيه الثقة بالأمير الوطنى الغيور ...

١ - أبو نظاره عدد ٢٥ يناير ١٨٩٢

٢ - أبو نظاره راجع سنة ١٨٩٢ وما بعدها وخاصة العدد الخامس في ١٨٩٤

٣ - أبو نظاره - العدد السابع ١٨٩٤

بشأن الدفاع عن مصر وأهلها وحقوقها ، فصار لها طنطنة في الجرائيل المعبرة ، فسررنا لذلك وبادرنا بأشهارها حتى يطلع ... قراؤنا ويعرفوا ما لهذا الخطيب الفصيح من البلاغة وحب الوطن ، ونسأله تعالى أن يكثر من أمثاله ويمن علينا جميعاً برؤية وادينا حراً سعيداً ، (١) ومن العجيب أننا — على قدر الجهد الذي بذلناه في دراسة صحفه — لم نجد أية إشارة إلى مصطفى كامل بعد ذلك ، مع أن هذا الزعيم الشاب قد ملأ الدنيا ، ومن بينها فرنسا ، برسائله التي هزت أعصاب الإنجليز وأرقت عليهم حياتهم في وادي النيل

ومن تحصيل الحاصل كما يقولون ، أن نذكر أن أبانظارة لم يفوت سنة من السنوات إلا وكان له حديث تمتع عن سلطان تركيا ، غير أن الجديد في أحاديثه شبه الخاصة مارواه عن الصحف المصرية الحديثة ، وخاصة تلك الصحف التي يعتقد الكاتب أنها صدرت لأدام رسالة (٢) تشبه رسالته وقد خص بالذكر حجارة منيتي ، فقال عنها الجرايد ترجمان الأفكار وحدائق الأخبار ، خصوصاً الجرائد الهزلية التي بالبدايع محلية ، وباللائكات اللطيفة مرقومة ، بجريدة حجارة منيتي المنظومة ، التي يتصدر في مصر المحروسة ، وهي عند أهل الحظ أصدق من الحاجة نفوسة ... (٣)

• • •

فإذا فرغ يعقوب بن صنوع من هذه الأمور العارضة لم يترك عدداً من أعداد صحفه إلا وعرض لشئون مصر الداخلية ، ومتاعها في الميدان الدولي ، وكانت لفرنسا مكانة خاصة في نفس المترجم له ، فما تردد أبداً في ذكرها الذكر الحسن كلما وجد فرصة لذلك (٤) وكثيراً ما حيا أصدقاء فرنسا وأكبر ثقافة الفرنسيين ، بقدر ما حمل حملة شعواء ، في سخرية لا ذعة ، على أولئك المتجلزين ، وقد أمتعنا في ذلك بمحاورة أدبية بين (سي لطيف أفندي وشعلان باشا المتجلز) (٥) وهي محاورة استغرقت

١ - أبو نظارة - العدد الأول ١٨٩٦

٢ - أبو نظارة - العدد السادس ١٩٠٥

٣ - أبو نظارة - العدد التاسع ١٨٩٨

٤ - أبو نظارة - العدد الثاني عشر ١٨٨٧

٥ - أبو نظارة - العدد الثامن ١٨٨٨

أكثر من صفحتين ، وقد مضت مصر فعلاً مبتلية بجماعة عاشت في أعطاف الأساليب الإنجليزية ، ولا يزال بعضها إلى اليوم — للأسف الشديد — يحيا في هذا الجو الغريب...



مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى

ولإن ضيق يعقوب بأمثال أولئك المتجملين لا يمنعه من إعلان سخطه على كافة المصريين الذين وجدوا الذل أحلى مذاقاً من العسل ... ، وده لكوننا أنذال ، لأننا لو كنا صحيح رجال ، ما كان يقدر لا اللورد كرنب ولا السردار كشنكار ، يلزمونا نقول لهم ياس سار (١) ، يعنى نعم ياسيدى سمعاً وطاعة . آه يامصر ضاعت منك الغيرة الوطنية والجرارة والشجاعة ، ده شى جنان ، ما يتصوره إنسان ، كيف خمسة آلاف عسكري الكايزرى بستر حمر وفساتين ، يدخلوا بلادنا ويحكموا على خمسة ملايين ؟ ... (٢) وهو يدرس الحالة

في مصر على هذا النمط الساخر الزاخر بالتبكيك والتأنيب ، مستعيناً بتمثيلاته وقصصه بين آن وآخر (٣)

وليس يعنى هذا أن الكاتب قد قطع أمله في مواطنيه ، بل إنه ليسذكر بالفخر جهادهم ، فيحييهم بمناسبة انقضاء عشرين عاماً على صحفه « صار لنا عشرين سنة تمام ، ونحن نقاتل الظلام ، وندافع عن حقوق الأوطان بالقلم واللسان ... »

١ — بقصد نعم ياسيدى وهى الترجمة العربية لهذه الكلمات الإنجليزية ، واللورد كرنب هو كرومر والسردار كشنكار هو كشنر

٢ — أبو نظاره - العدد التاسع ١٨٩٤ — ويشير بذلك إلى الفرقة الإنجليزية المشهورة بسر أو إليها المزركشة المعروفة

٣ — أبو نظاره - العدد العاشر ١٨٩٤



كرومر أو اللورد كرومر

أما نحن فلم نزل في الغربية باذلين ، جل همنا في المدافعة عن المصريين ، كما يرى القارىء في هذا المجموع ، الذى يدخل مصر ولو ممنوع ، ونحبر القارىء حتى يفرح ، أن جرنالنا هذا الذى فى الإنكليز يقدح من أعداده الذى صدرت فى هذا العام خمسين ألف نسخة دخلت بلادنا رغماً عن أنف اللثام ، والله الحمد اليوم جميع الوطنيين ، ينادوا مثلنا مصر للمصريين ، ولهم جرائل يحامى عن وادى النيل ، ويكتبوا ويخطبوا بغاية الجسارة مثل والدهم أبو نظاره ، ده شىء يفرحنا لأننا أصبحنا اختيارية ، فأذا توفينا هم يستمروا فى الدفاع عن الوطن والحرية (١)

إنما الهدف الرئيسى فى صحفه ، لم يكن هذا الذى عرضنا له ، بل كان على رأس أهدافها الحملة المتصلة على الإنجليز ، وتعقب فعالهم فى كل مكان . وكشف مستورهم فى كل أمر يتهيأون له ، وإظهارهم بمظهر الجماعة الباغية الطاغية التى استشرى فسادها فى الأرض ، حتى غضبت عليها بلدان العالم جميعاً ، استمع إليه ينطق لك إبليس مصوراً هذه الحقيقة السلام على الهندي الذى أصبح أرفع من البوص من موته من الجوع ، وعلى الفلاح الذى رايج يكفر من ظلم الإنكليز ، وعلى الطالبانى الذى المستر بول غشه وتسبب فى كسرتة وتقمقره ، وأزكى تحياتى أهديها لك يا أمريكانى يابطل الذى خلعت الإنكليزى يحط ذيله بين وراكه ، (٢) وهذا تصريح بديع لما صنعه الإنجليز فى شعوب الأرض ، فأفقروا الهنود والفلاحين المصريين ، وورطوا الإيطاليين فى حرب خاسرة مع السلطان !

ثم يسخر من الإنجليز وما صنعوا بمقومات حياتنا تحت عنوان (فضائل الإنكليز على المصريين) فيتعرض لمجلس شورى القوانين بقوله عن الإنجليز الذى دخلوا البلاد وظلموا العباد ، وشتوا شمل المصريين ، ونهبوا صندوق الدين ، وأنشأوا

مجلس شورى القوانين الذى كله عجز وبجر لكل من هب ودب ، وقال دى كلها فضائل يعملوها للمصريين يكرم السامعين . . . (١) ثم ينتقل إلى المحاكم الأهلية التى أنشأوها . . . وقال ياسيدى طلعت محكمة أهلية على ترتيب البلاد الأوروبية ، وكلها جدعان ظراف وصبيان لطاف ، وناس تخدم المحتلين ، ودا الذى زاد فى البله طين ، يحكموا من غير ما يفهموا ، ويفهموا من غير ما يحكموا ، أشباح بلا أرواح . . . ثم يختم سخريته اللاذعة بنقد المحتل فى طرائق نظره إلى حرية الصحافة ، وقد جاء ذلك فى زجل طويل استغرق نصف صفحة كاملة .



اللورد كينزر أو السيدار كينكار

وينتهز يعقوب بن صنوع الاحتفال بالعيد الستينى لولاية فيكتوريا شئون الملك فى بريطانيا ، ويرفع إلى باخطا بمفتبرحاً تنقل فقرات من المقدمة التى قدم بها هذا الكتاب بعنوان (إسحى عسا كرك من مصر تصبحى فريدة العصر) (٢) وفيها يقول : هذا موضوع مكتوبى لجلالة فيكتورية ملكة الإنجليز ، الذى جرادها الآخر يتلف زرع وطننا العزيز ، ربنا ينجينا عن قريب من شرهم ، ويسلط عليهم زوبعة قوية تطيرهم لبرهم ، لأنهم إذا هانكشعوش من هنا لسنة من وادينا ، مين يعرف إيش يجرى فينا ، تموت من الجوع لأن الجراد فى الزيادة فى الشيطان ، والبلاد ،

خلونا من الجراد الآخر وسيرته الرديه ، إحنا فى مكتوبى للحضرة البريطانية ، الذى اليوم ملوك الدنيا بتهنيا ، على الستين سنة الذى بقى لها متسلطنه فيها ، انمشت لها المكتوب ده بلسانها لسان الوز ، وقلت لها إن كان بدك فى الفخر والعز ، والذكر الطيب بعد العمر الطويل ، إسحى عسا كرك يامتى من وادى النيل . إنما الكلام

١ - أبو نقارة - العدد الأول ١٨٩٧

٢ - * * - العدد السادس ١٨٩٧

دا دخلته لها في قالب لطيف ، بنفس سياسي ولسان ظريف ، لاشك أنها لما تقراه تنسر ، إنما ما أظن أنها تأمر بسحب عساكرها من البر ، تيقنوا يا إخواني أن العساكر الإنكليزية ما ينجلوش عن مصر إلا بالقوة الجبرية ، دول ما يجوش بالمعروف ، ما ينفعش معهم إلا المتلوف ، ما ألعن سيرتهم عن الموضوع بتبعنا ، ربنا يقطع جرتهم ومن ظلمهم ينجدنا ، المكتوب المذکور ترجمته بالفرنساوى ، ودرجته هنا حتى يقرأه ويفهمه كل أورباوى ، وتنقله عنى كل الجرائد الإفرنجية ، لما فيه من أهم الأمور السياسية

وهكذا لا يفوت أبو نظارة مقالاً إلا ويهاجم الإنجليز ويتخير لهم ألوان الشتائم وأقبح الأوصاف كأعداء للوطن لا ينبغي أن يتهاون أحد في خصامهم . وقد يجد المطلع على مجلات أبى نظارة ، أن صاحبها ينصرف فجأة عن شئون مصر حتى ليخيل إلينا أن السلطات المصرية أو البريطانية قد استطاعت التغلب على أريحيته واشترته فيمن اشترتهم من الكتاب والصحفيين ، وهذا نادر قليل في صحفه الكثر ، إذ أن انصرافه عن شئون مصر لم يحدث قط إلا في سنة ١٩٠٠ حيث شغلت صحيفة (أبو نظارة) بأميرين ، الأمر الأول وهو الأهم ، معرض باريس ، فقد كانت بجلا لهذا المعرض بصورها ورسومها ومقالاتها المفسرة الشارحة للمعرض وما احتوى عليه من أشياء ، المبينة الأغراض التى يلتمسها ، وقدره في حياة الشعب الفرنسى ، وإعلانه عن حضارة ذلك الشعب العتيد ، والأمر الثانى يتصل بحرب الترنسفال ، وفي غضون الكلام عن تلك الحرب أشار الكاتب إلى مصر في بعض الأحيان

ولم يصب ابن صنوع بحرج قدر ما أصيب بالحرج نتيجة عقد الاتفاق الودى بين الإنجليز والفرنسيين سنة ١٩٠٤ ، فقد أغفل فترة التحدث في هذا الموضوع ، ثم طلع علينا في أحد أعداد سنة ١٩٠٥ بحديث غريب ، أوله يبدو فيه الحرج واضحاً والتخريب للحالة غير مفهوم ، فقد انتزع من الاتفاق أملاً لم يره أحد ولم يؤمن به إنسان ، ماذا ينتج لوطننا العزيز من اتفاق فرنسا والإنجليز ، هذا سؤال إخوانى المصريين ، سؤال ما يعلم به إلا رب العالمين ، إنما أنا كل ما افترى فيه ياسادة ، أقول المولى قادر على تبديل الذل بالحرية والسعادة ، ويمكن إن الاتفاق ده الى زاد فى نفوذ الإنجليز وفى سطوتهم على وطننا العزيز ، ينتهى بانجلاهم عن البر وتعود لنا مصر وننظن

وننبسط وننسر ، ربنا على كل شيء قدير ، وعلى السيد ينصر الأسير ، قلبي يحدثنى
بأن اتفاق الدولتين علينا سعيد ، ونرى مصر خالية من الحمر في عهد مولانا
عبد الحميد ، (١)

وهذا كلام أقل ما يقال فيه لأنه فارغ ، اضطرب الكتاب إلى نشره ليتخلص من
الحرج الذى أصابه كواطن مصرى موضع عطف الفرنسيين ، فأن التاريخ قد كذب
كل ما ذهب إليه شعوره وإحساسه ، بل إن منطوق الاتفاق يعنى أنه تهيئة للاحتلال
وتأكيده ، وليس اتفاقاً سعيداً كما حدثه قلبه ومن شأنه أن يمهّد لخروج الحمر من
وادي النيل ، وقد عقب المترجم له على هذه المقدمة برواية تتحدث عن الاتفاق ،
كان فيها موالياً للفرنسيين وخصماً شديداً للإنجليز ، غير أنها لا تعبر عن الواقع ، والواقع
كان يكذب الرواية ومقدمتها ولا يسجل شيئاً من حقيقة الحال ، والحال كان أسوأ
من أن يخرج به بن صنوع هذا التخريج الغريب !

غير أن يعقوباً لم يخفف قط من معارضته للاحتلال وأذنبه سواء قبل الاتفاق
أو بعده فقد حمل حملة شعواء على عالم دينى من أئمة الاسلام فى مصر « كتب بيراعه
السيال رسالة لم تزل محفوظة عند بعض الوطنيين تذكراً لمروق ذلك الإمام عن
واجباته الدينية والوطنية » فقد دعا الشيخ إلى مهادنة الانجليز والاستفادة من وجودهم
فى مصر لأن نظامهم « خفيف » وظلمهم « لطيف » وحكمهم يدر الخير ، ولم يعرب
لنا حفظه المولى عما نتج لأهالى تلك المستعمرات وفى مقدمتها الهند التى مر عليها
أكثر من قرن وهى مستظلة بالعلم البريطانى ، من الفوائد الخصوصية الوطنية حتى
تحمل رسالته المذكورة على أيدي الاحترام والاعتبار والامتنان ، وتتخذ قواه
صادراً عن نزاهة وصدق فى الايمان ، وولاء وإخلاص فى محبة الأوطان ، وإلا
فيكون كلامه كواو عمرو ، يكتبها ولا يلفظها القراء ، ورسالته لا محل لها من الاعراب
بين العلماء والأدباء ، (٢)

ثم يعرض يعقوب بن صنوع لمشاكل البلاد الكبرى فى أسلوبه العامى المأثور

١ - أبو نظارة العدد الثامن ١٩٠٥ (ويلاحظ فى أول المقال أنه كتب العدد ٧ وصحته ٨)

٢ - العدد الثالث من السنة السادسة والعشرين

فنجده بجونا طريفة في مشكلة العقبة تحت عنوان (الأسد والفهر) (١) ينشر المقال ويرسم له رسوماً ممتعة تصور حقيقة الحال ، ويقف فيه إلى جانب السلطان في ثقة واطمئنان إلى قدرته على حل المشاكل كما أشار في موضع آخر إلى الموقف الكريم الذي تلقاه من فرنسا وألمانيا وروسيا وذلك برسم بديع يبين إبليس يحمل إنجليزيين إلى جهنم لسوء معاملة بريطانيا لنا (٢) .

ولا نريد أن نطيل في تأريخ ماضيه جريدة (أبو نظارة) وإنما نسجل هنا طريفة من طرائفه التي تدل على بعد نظره ، بعد أن بينا قصر هذا النظر في الاتفاق الودي ، إنه يختلف اختلافاً عميقاً مع كافة المصريين الذين هزم الفرع بأقالة اللورد كرومر ، إن المصريين يعتبرون تلك الإقالة نصراً مبيئاً لهم وللحزب الوطني الذي يرأسه مصطفى كامل ، غير أن ابن صنوع يتوجس خيفة من ذلك الحدث ، وينصح

Vendredi ١٨ Mars
FONDATEUR
Directeur et Rédacteur en Chef
A. SANTA ARBO HARRABA
Rue de la Paix - Paris

Le Journal d'Abou Haidara

Toute communication et demande d'abonnement doivent être adressées au Directeur du Journal

N° 3.5 ١٨ Mars ١٩٠٦
ABONNEMENTS : *
Cahiers de 12 numéros par
an (12 numéros) 100 fr.
Abonnement simple 1 an 100 fr.

Lire à la 2^{me} page nos intéressants articles : « L'Union Française à Constantinople » et la « Baptême du Prince Boris ».



إبليس يحمل خصوم مصر إلى جهنم في حضور ممثلي الدول .

١ - أبو نظارة - العدد الرابع ١٩٠٦

٢ - أبو نظارة - العدد الثالث ١٨٩٦

بالتريث تحت عنوان (ماتفر حوش لمن يروح لما تشوفوا من يحيى) (١) فيقول
 «... تأملوا في المثل ده يا كرام ، لأن له محل شاهد في هذه الأيام ، بمناسبة
 استعفاء اللورد كرومر وانجلاؤه عن وادينا ، بعدما عمل كيفه ربع قرن فينا ، ودخول
 السار غرست في مكانه ، وهو من أوفى أصدقائه وأعز إخوانه ، بقي ماتفر حوش في
 استعفاء اللورد كرومر وارتحاله ، لما تشوفوا غرست خليفته وتأملوا في أعماله...
 ويقص أبو نظارة على مواطنيه نادرة من تاريخ الرومان فيها الحكمة والبيان
 الصحيح ، وفيها تفسير جميل لهذا المثل الذي يقوله دائماً عامة المصريين ، فصاحبنا
 ينقل إليهم أنه كان هناك ظالم خاين غدار ، طلع ذات يوم للحرب ومعه جيش
 جرار ، فرأى عبجوز شمطاء زى أم المستر بول ، طالعه تجرى وراءه وهي تصبح
 وتقول ، ربنا ينصرك يا ملك الزمان ، وتعود سالم غانم الأوطان ، فعرفها الملك ودعاها
 فهرولت نحوه وهي تصبح وتقول لبيك أنا جارية بين يديك ، فقال لها كيف تدعى لى
 بالفوز والظفر على الأعادى ، وأنا قتلت لآخرتك وزوجك وأولادك ، وظلمت أهل بلادى ،
 فقالت له المرأة . أبوك كان ظالم وجبار ، وكنا كلنا نتمنى له الموت طول الليل والنهار ،
 فربنا قبل دعانا ، ومن مخالفه نجانا ، فمات وأنت خلفته في الملك على الرومان ،
 فتراك ففته في الجور والظلم والعدوان ، فلذلك نطلب لك العودة بالسلامة من الجهاد
 لخوفنا إن مت يطلع خليفتك أزوط منك في الخيانة والرداوة والاستبداد ، ثم يقول
 الكاتب لمواطنيه « فعلى شان كدا أنا ما أفرحشى في الرايح ، قبلما أرى الجاى وأشوف
 إن كان يقبل النصايح ، ويعامل أبناء مصر والسودان ، باللطف والإحسان ، وينسينا
 حادثة دنشواى ، اللى حرقت القلوب ، واستعاذت بالله من سمعتها كل الشعوب ... »
 لقد كان أبو نظارة يحكى لنا الحكمة في كثير من أقواله وملحه ونكاته ، ولعل
 حكاياته هذه من أمتع ما تضمنته صحف المختلفة ، وهو دائب التحذير لمن يحسن الظن
 بالعدو ، دائب التأيد لمن يسعى لخدمة وطنه ، وإن استقبله لإعلان الدستور في
 تركيا ، وتحيته لأعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، مثل طيب على اقتناصه الفرص في
 تمجيد الأحداث الكبيرة وأصحابها ، سواء كان ذلك في تركيا أو في أى بلد آخر

حتى يمكن أن يأخذ منه المصريون العبرة فيعتبروا ويروا المثل فيحذوه (١)
 لقد كانت مجلات يعقوب مسرحاً لعواطفه وأمانيه وقلما كان يشاركه في تحريرها
 أحد من الكتاب إلا فيما ندر، وإن كان قد فتح صدرها لكثير من الكتب التي
 وردت إليه من مصر وغيرها من بلاد الشرق، فكان ينشرها جميعاً، وهي
 في أكثرها تنفق ومزاج الناشر وأهدافه، غير أنه لم يتردد في نشر آراء لا يؤمن بها
 وإن علق عليها بأنه غير متفق مع صاحب المقال ولا يذهب مذهبه في الرأي والتأويل (٢)



ويبدو أن الحماسة التي كانت تغلب على عواطف الكاتب في السنوات الأولى
 هدأت بعض الشيء حين بلغت صحفه الثلاثين من عمرها، ولعل للسن والأمراض
 دخلا في ذلك، وقد أشار هو منذ سنة ١٩٠٦ بأنه لم يعد قادراً على الكفاح كما عود
 قراه، غير أنه يعد مواطنيه بأن يصدر صحيفة فرنسية في باريس تكون لسان الوطن
 في الخارج (٣) وإن إعجزته السن والموارد عن الاستمرار في إصدارها حين تحققت
 أمنيته، إلا أنه لم يكف قط عن التليح ثم التصريح باعتزامه إغلاق صحفه، حتى
 حلت سنة ١٩١٠ وهي السنة التي مرض فيها ولزم فراشه حتى مات سنة ١٩١٣ (٤)
 فأعلن في العدد الرابع أنه سيكون آخر عدد يصدر لأبي نظارة تحت عنوان آخر
 عدد صادر من هذه الجريدة التي بأنظار عشاقها عاشت لليوم سعيدة، ويذكر الأسباب

١ - أبو نظارة - العدد التاسع ١٨٨٧

٢ - أبو نظارة - العدد الثالث ١٩٠٦

٣ - أبو نظارة - راجع الورقة المنفردة في ختام ١٩٠٦

٤ - ذكرت لنا كريمة المترجم له أن والدها أُمي في سرب المرض سنتين كاملتين قبل وفاته

ومنها أنه أصبح اختياره ونظيره ضعف ، ثم إن بلاده وبلاد الشرق عامة قد قامت فيها نهضة صحفية ولا محل لصحيفته بين تلك الصحف ، وهذه حقيقة سجلها وهو يحتم نشاطه الصحفي العظيم

ولم أنه منذ مطلع القرن العشرين ، وهو يحاول أن يصدر صحفه على النهج القديم غير أنه كثيرا ما اضطر إلى تأخير إصدار بعض الأعداد لأسباب التمسها ، وما أكثر ما التمس من أسباب (١) كما أن الأخطاء المطبعية أو الخطية كانت إنذاراً بقرب النهاية وإن جالسد الرجل في تأخير تلك النهايه سنوات (٢)

١ - أبو نظاره - العدد الرابع ١٩٠٦

٢ - أبو نظاره .. راجع الأعداد منذ سنة ١٩٠١

التودد

أصدر يعقوب بن صنوع ، إلى جانب صحفه الساخرة ، عدة صحف أخرى ، كان طابع الجدد فيها غالباً على رسومها وموضوعاتها ، وعلى رأس هذه الصحف مجلة (التودد) والتودد ، جريدة شهرية أدبية علمية تجارية تحت رئاسة جاك قطاوى بباريس ونظارة أبي نظاره ، وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات عن سنة واحدة وستة عن نصف سنة . وهي في حجم الكتب العادية ، وتفصح عنها مقدمتها إقصاحاً أبلغ من شرحنا ، فقد قالت في العدد الأول

« حمداً لمدير الكون الذي أناط نجاح الأمم بالمعارف ، وصاغ من العلم حلية بهية أدهشت كل تالذوطارف ، وشيد منه أركاناً قوية ككاشاء ، وأنزل أهله أسنى الدرجات وسماهم بالأحياء ، فهم مصاييح الأنام يستضاء بأفكارهم ويفتقن بآرائهم ، لهم السيادة على ماعداهم ، ولم يختص بالفصاحة وتقرير الأخبار سواهم ، وهم المحتاج إليهم في جميع الأحوال ، وإلى أقرانهم المرجع والمثال ، وما من أمة تقدمت وكثرت ثروتها وراجحت متاجرتها وزادت نوتها وتنعم بالها إلا باقتدائها بأهل العلم ، وما من أمة خذلت وتضعضعت واضمحلت إلا باستيناد الرأي وسوء التدبير وحب الذات والاكتفاء بمشورة عدم الخبرة ، والغفلة جهل والجهل لا يهتدى صاحبه إلى رشاد ولا يدريه فيطهره بالمداد ، بمقوت عند العامة ، متبوذ عند الخاصة ، لا يكاد يذكر حياً أوميتاً ، وكفى العلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه ، وكفى الجهل ذمماً أن يتبرأ منه أهله ، وفي الأمثال السائرة ، . العالم حي ولو كان في منازل الأصوات ، والجاهل ميت ولو كان في منازل الأحياء ، وصلاة وسلاماً دائماً على جميع الأنبياء والمرسلين ... »

« وبعد لما رأينا هلال الشرق بعد انحطاطه آخذاً في الارتقاء إلى برج الكمال الذي كان حالاً فيه فيما مضى ، وتنهت العقول فاستضاءت بمشكاة المعارف ومصايح الفنون نشرنا هاته الوريقات على رؤس الأنام وصميناها بالتودد أملاً بأن تكون واسطة في الألفة والوداد بين الأمم ، وشبهنا ما طلع في سماء صحفها بالبدر المنير لمناسبة

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS



• 1^{re} ANNEE •

N^o 1

15 JANVIER 1888

قيمة الاشتراك
١٠ فرنك عن سنة واحدة
٦ فرنك عن ستة أشهر
تُرسل إلى مسيو ليفير.
٨٩ بساج دو كيراردو

التوك

جريدة شهرية
دبية عليه تجاريه
تحت رياسته چالك
نطاوى بباريس
رئطارة ابنتظاره

السنة الاولى جاد اول

Revue Mensuelle Arabe

LETTRES - SCIENCES - COMMERCE

Sous la direction de M. Jacques CATTAUI

Rédacteur en Chef - Le Cheikh ABOU NADDARA

Abonnement UN AN, 10 fr. -- SIX MOIS, 6 fr.

S'adresser à M. G. LEFEBVRE - 89, Passage du Caire, Paris.

SOMMAIRE - Notre programme (Le Directeur). - A. M. Carnot (Vers l'Ann. Tunisien). - In partit de « Paris et la Grande Exposition de 1889 » (Abou Naddara). - Le nouvel an et les Grands Boulevards (Abdou-Z.). - La Science (Mohamed - R.). - La Famille (Fata L.). - Variétés (A. N.). - Illustrations: Portrait du Président de la République

من صحف يعقوب في باريس

ظهورها في الشهر مرة كظهور البدر، وإن نورها مستفاد من عقول الأمم كما أن نور البدر الحقيقي مستفاد من نور الشمس، وإن كان نور البدر حسي (صحتها حسيًا) ونورها معنوي (معنويًا) ولم تشتمل إلا على فنون ومعارف ومسائل علمية ومقالات أدبية وبعض من السياسة مما يلوح لنا من اللغات الأجنبية، ونسأل المولى أن يعم نفعها كل مريد لأننا لم نقصد بها سوى بث الأمن والراحة وتنوير العقول بالרגائب العلمية والآداب الدينية، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، (١)

إنه يصعب على القارىء أن يستنبط ما يعنيه الكاتب من مقدمته الأدبية المنشورة في صدر العدد الأول، نظراً لقبح خطها ورداءة طبعها على الحجر، وليس في هذا العدد إلا مقالات وأشعار باللغة العربية، وإن لم تسلم عبارتها أو يستقيم نحوها تماماً، وفيها من المديح لفرنسا وحياتها الشيء الكثير، ووصف تمتع لباريس (٢) وقد ازدحمت صفحاتها بالرسوم ومعظمها لشخصيات معروفة، وأكثر أخبارها ما اتصل بحالة فرنسا السياسية كتغيير الحكومات وتشكيل الوزارات (٣) ومن بين الصور التي عني بها المحرر صورة جميلة لمستربلنت صديق المصريين (٤)

وتختلف التودد اختلافاً عميقاً مع مجلاته الأخرى، ويتناول هذا الاختلاف السياسة والمنهج والشكل في معظم سنوات صدورها، فهي سجل لنشاط دول الغرب والشرق وراوية لتاريخ الزعماء والأمراء والملوك، تفصل ذلك حتى تستغرق كل صفحاتها وقد لا نجد عن مصر شيئاً لأعداد متتالية

وقد اقتصر المحرر في ذكر مصر على تاريخها القديم، إذ نشر فصولاً متصلة عن تاريخها وآثارها، وعالج قصة بعض تلك الآثار في أكثر من عدد، وقلما كان يعرض للنواحي السياسية المعاصرة وخاصة في السنوات الأولى، وإن زخرت مجلته بعد ذلك في رواية الحوادث المصرية، ولم تشر إلى تلك الحوادث في دقة وعناية إلا حين كبر حجمها فبلغ حجم (أبو نظارة) وأصبحت في سيرة مجلاته معاوناً أصيلاً ومنافساً خطيراً لصحيفته

١ - التودد - العدد الأول في ١٥ يناير ١٨٨٨

٢ - التودد - العدد الثاني ١٨٨٨

٣ - التودد - العدد الثالث ١٨٨٨

٤ - التودد - العددان الحادي عشر والثاني عشر في ١٨٨٨

الكبرى التي عرضنا لها في فصول سابقة
ولم نرى (التودد) إعلانات تعينها على أداء واجبها الصحفي، غير أن القارىء
اللبق يستطيع أن يعتبر كثيراً من الموضوعات مادة إعلانية إن صح التعبير، فأن مقالا
زاخراً بمدح زيد أو عمرو وليس لأحدهما فضل في وطنه، يعتبر فى الفن الصحفي إعلاناً
مستتراً دفع أجره خفية، مالا أو نشاناً أو اثتراً كما يجزياً

N:3

25 MARS 1888.

١٥ رجب سنة ١٢٨٥

عدد ٣

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS

جريدة شهرية
ادبية علمية تجارية
قيمة الاشتراك
١٠ فراكات من السنة

التغير الذى أصاب رأس الصحيفة

ولدراسة التودد يحسن أن تراجع سنة بعد سنة، فهي كثيرة التغير من حيث
الشكل والموضوع، غير أن هناك علامات أو ملاحظات عامة يحسن تسجيلها دفعة
واحدة، فهي قد بدأت ولرباستها اثنان، قطاوى وأبونظارة، فأما قطاوى فيبدو
أنه نحى عن رياستها ولم يعد فى تاريخها أحد غير يعقوب بن صنوع، الذى أشرف
على تحريرها وسياستها منفرداً بعد العدد الثانى مباشرة، وهى فى مجموعتها تكاد تبعد
ابتعاداً تاماً عن السياسة المصرية، ولا تعنى إلا بالأخبار الصغيرة إلى جانب بعض
الطرائف فى الأدب والتاريخ كما تخصصت فى مدح الملوك والأمراء وقادة الأمم
والشعوب، وقد عنيت أحياناً بشخصيات تافهة ما كان يليق أن تعنى بها (١)
وما يذكر أن صاحبها كان يصدر أحياناً عددين معا فصدر العددان الحادى عشر

والثاني عشر في ست عشرة صفحة ومعهما ملحق من أربع صفحات ، ظهره أبيض وباطنه عبارة عن رسوم كاريكاتورية بالألوان عن الحالة في مصر في عهدى إسماعيل وتوفيق وخلال الفترة الأولى من الاحتلال البريطانى ، وتحتها تفسير للرسم باللغة الفرنسية ، كما صدر العددان الثالث والرابع في عدد واحد من ست عشرة صفحة ، وكذلك كان الحال في العددين الخامس والسادس في سنة ١٨٨٩

باريس في ١٥ يوليو ١٨٨٨ 15 JUILLET 1888. N°6

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS

Revue Mensuelle Arabe
LETTRES - SCIENCES - COMMERCE

Directeur et Rédacteur en chef: J. SANUA ABOU NADDARA

Abonnement - UN AN, 10 fr. — SIX MOIS, 6 fr.

S'adresser à M. G. LEFEBVRE — 39, Passage du Catre, Paris.



التغيير الذى أصاب رأس الصحيفة

وإبتداء من السنة الثانية من (التودد) أخذت صفحاتها الأولى تختلف عما كانت عليه من قبل اختلافاً يكاد يكون تاماً ، وقد لاحظنا أن الصحيفة وإن انتظمت نوعاً

جريدة شهرية
ادبية علمية تجارية
تحت رئاسة جمال
قطاوى بباريس
وتجارة المنظار
السنة الأولى جلد ١
١٠ أفونك من سنة ١٩٠٦
٦ أفونك من سنة ١٩٠٦
ترسل الى مسيو ليفر
١٩ بساج دو كيرارد



Portrait de son Altesse
ALY BEY, Bey de Tunis

مترجم صاحب السعادة والاقبال
مولانا علي باي صاحب المملوك
التونسي

رسم بين النفر الذي اصاب الصحافة

في مواعيد صدور أعدادها إلا أنها اضطربت اضطراباً في سنوات الصدور ، إذ اختفت نحو أربع سنوات بعد السنة الثابتة ، ويعتذر ابن صنوع عن أسباب ذلك بقوله « لما ابتدأنا في إنشاء جريدة التودد كان العزم وضعها في سلك الاستمرار لكن بعد نشرها مدة عامين عرض لنا أمور ... أشغلتنا عن المداومة والزمنا الوقوف حتى نقضى ما نراى لنا من ضرورة الأسفار التي كانت طوراً في البلاد الإفريقية وأخرى في الممالك العثمانية »

ثم يبين لنا أسباب تلك الأسفار وما ترتب عليها من حسن النتائج ، ويتضمن فيمدح الشرقيين عرباً وتركاً وإيرانيين ، ثم يقول « هذا ولما قضينا هاته الأسفار ، وبلغنا ما كنا منولعين به من الأفكار وعدنا إلى موضعنا ، ورأينا الأيام قد راققت والنفس مسرورة بحصول المأرب لاسيما ما حصل لنا من الإكرام لدى الملوك والأمراء الذين تشرفنا بضيافتهم وخرجنا على محاسن مواظبتهم قصدنا امتنشار جريدة التودد ، وأملنا دوام استمرارها ، وقد حفظناها بحماية ذوي المعارف ، ورفقناها بنشاط أهل الرغائب ، ليشملها أولى المعرفة بمحاسن أقوالهم وبديع تصنيفاتهم حتى تعطر بأنفاسهم وتزين بمقالاتهم ، ويلبسها أهل الرغائب حلل المعالي باشتراكهم فيها ، فالأولون روحها والآخرون نفسها ، وجعلنا قيمة الاشتراك فيها ست فرنكات سنوياً تدفع معجلاً ، (١)

ثم أضيف تغيير طفيف إلى اسم الصحيفة ابتداء من السنة الرابعة فسميت (تودد أنى نظارة) ويتصدر صفحتها الأولى قوله وتودد أنى نظارة ، جريدة سياسية أدبية بالرسومات محلية ، وقدين اشتراكها وهو عشرة فرنكات في السنة وعنوانها وما إلى ذلك ، وقد أدخل عليها جديداً في هذا الفصل الممتع الذي يكاد لا يخلو منه عدد وهو (فكاهة العقل) وهو حديث باللغة العامية ، يشبه كثيراً ما كان ينشر في صحفه الأخرى الساخرة ، كما تتميز تلك السنة بأحصائية طريفة عن اليهود وتعدادهم في فلسطين (١)

ولم يصدر من التودد في سنة ١٨٩٥ إلا عشرة أعداد فقط ، ويتحدث كل عدد عن أمة من الأمم مع رسم جميل لحاضرتها وبيان طويل عن تاريخ سفيرها في باريس ،

me ANNÉE N° 9 & 10. - (6, Rue Geoffroy-Marie) 15 Novembre 1889.

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS



SOUS LE PATRONAGE DE M. LE DUC DE LA CHÂTRE



السنة الثانية : العدد التاسع والثلث

باريس في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٩

Revue Mensuelle Arabe

LETTRES - SCIENCES - COMMERCE

Directeur et Rédacteur en chef: J. SANUA ABOU NADDARA

Abonnement : UN AN, 10 fr. — SIX MOIS, 6 fr.

S'adresser à M. O. LEFEBVRE - 39, Passage du Catre, Paris.

التقوت الذي أصاب رأس الصحيفة

أما في سنة ١٨٩٦ فقد ازدحمت بالوفيات ، وهي وفيات نزلت بعرب وأوربيين ، وفيها ترجمة لأولئك الناهبين ، هذا إلى محاورات (١) طريفة باللغة الدارجة عن حرب اليونان والأتراك نشرت في سنة ١٨٩٧ وقد صدر في تلك السنة تسعة أعداد وليست ثمانية كما أشارت المجلة إلى ذلك خطأ ، وقد لاحظنا أخطاء أخرى كانت واضحة في تسمية الشهور المنشورة في بعض الأعداد ، ومن الأشياء التي تلفت النظر عناية المحرر عناية فائقة بسلطان زنجبار ، حتى إنه أفرد للشأن عليه مرة ملحقة نشره بعدة لغات (٢) ولا يخفى أن هذا السلطان قد وصل المترجم له بصلات أدبية ومادية ذكرت في أكثر من مرجع .

ثم نجد المجلة قد كبر حجمها حتى أصبحت في حجم (أبى نظارة) ومضت تصدر على غرارها في سنتيها الثامنة والتاسعة ، وإن اختلفت في أهدافها ، فبعدت عن شئون السياسة ما أمكن البعد عنها ، وعينت بشئون تركيا عناية ملحوظة ، وتخصص بعض الأعداد في رواية رحلة يعقوب إلى الآستانة ، كما تخصص بعضها الآخر في أمور فرنسا وأعلام باريس ، ولوحظ أن جزءاً من صفحات بعض الأعداد في سقتها التاسعة كان منشوراً باللغة التركية .

ومن الموضوعات السياسية التي عالجتها (التودد) حملتها على الإنجليز للفظائع التي يرتكبونها في حربهم مع البوير ، وقد جاءت تلك الحملة تحت عنوان (البوير لهم رب يحميمهم ، ومن ظلم الإنكليز ينجمهم) (٣) وقد بدأها بذكر سلطان تركيا وخديو مصر عباس الثاني بالإكبار والإجلال ، ثم دار بينه وبينه أنى خليل ، حديث طويل ننقل منه بعض فقراته لنبين للقارئ المدى الذي أصاب (التودد) من تطور خطير

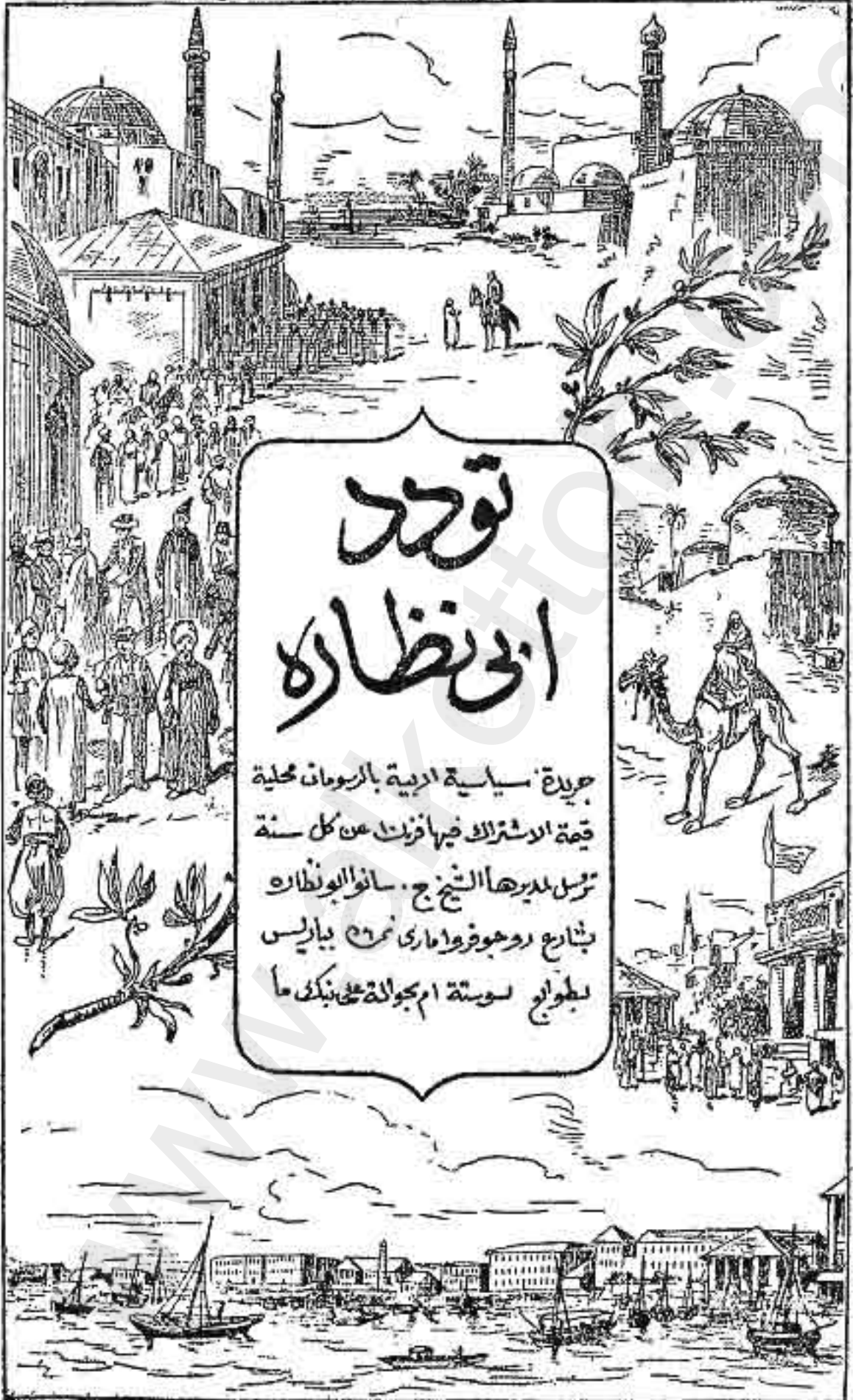
قال أبو خليل : أحسنت يا أستاذ ده رسم ما محتاجش لتفسير — بقى ده اللي ماسك الرشاسة الجهنمية ده الجنرال كشنز الشهير . ليس في البراعة والمهارة والشجاعة والجسارة . لا ده فقط شهير في غدر وقتل الأبرياء . ومكافئة الخوان والأشقياء —

١ - التودد ، العدد الخامس ١٨٩٧

٢ - التودد ، ملحق سنة

٣ - التودد ، العدد الثالث ١٩٩١

السنة الخامسة العدد الاول في شهر رمضان المبارك ١٤١٤



توحيد الى نظارة

جريدة سياسية ادبية بالرومان محلية
قصة الاشراك فيها فركت عن كل سنة
ترسل لمديرها الشيخ ج. سانو البونطاز
بشارع روجوفرو ماري نمون بياريس
لطوانج لوسنة ام بجولة على بنك ما

التغير الذي أصاب رأس الصحيفة

قلت — ما أذكاك يا بو خليل يازينة شبان وادى النيل . والنطع ده اللى واقف حداه المستر شامبرلين . ياربى اضربه بكبتين ، وانفيه فى جهنم هناك يرى الاخوان والأصحاب ييقاسوا أمر العذاب فى جهنم الحراء يعملوا من لحمه ييفتيك وكباب . لأن الملعون مدهن وسمين . يعملوا على كرشه عزومة للشياطين ... »

ثم ينتقل الحوار إلى قصة البوير وحريهم الضروس فيقول أبو خليل « طيب والأبطال دول ونسوانهم وأولادهم لا بد لانهم البوير الأسود . الله الله على وجوههم السامية وعيونهم السود . لاشك أن البوير دول سكان قرية من قرى الترнсفال . هجم عليها ليلا الجنرال كتشنر وعساكره الأندال — وأخذوا الأهالى أسراء أولاد ونساء ورجال ... »

فيرد عليه أبو نظارة قائلا « نعم وهما هو رايح يقتلهم بالرشاشة الجهنمية . ولو أن من سلم سلاحه حرم قتله فى شرايع الإنسانية » ثم يعقب أبو خليل « الإنسانية ماهاش اعتبار . عند المستر شامبرلين الطباع وكتشنر الغدار . وكلامك ده يا شيخنا العزيز . رأيت فى جرائل الإنكليز . ما أخبت وما أخشد الخصال . ولا البربر ما يعملوش فى العمايل . وهو حد فى الدنيا يقتل الأسرا ولا يرثى لحالمهم . ويدبح أمامهم والديهم ونسأهم وأطفالهم ؟ دول الإنكليز ذاتهم بيستخطوا على كتشنر وشامبرلين اللى جلبوا لهم لعنة أمم الشرق والغرب . بفعالهم الذميمة فى الحرب . صار لهم بيحاربوا الترنسفال سنتين تمام . ضيعوا ستين ألف عسكرى وماتين مليون من جنبياتهم العظام . ولليوم القتال داير . ودائره على الإنكليز الدواير .

ومن أمتع ما قرأناه حديث المحرر عن (الثلاث بليات الإنكليزية) وقد تحدث فيها عن المصائب التى جاءت فى ركاب المستعمرين « بحيث لا تمر سنة حتى يصاب قطرنا بأحداها وفى الغالب تتعاون الثلاث بليات علينا وتصد منا فى آن واحد ، ومصدق قولنا ما هو جار السنة الحالية وهى ختام العشرين عاما من نزول الجراد الأحمر بمصرنا ، يا أفندم سنة يهيج علينا النيل ويغرق أطيافنا ... وهذا من إهمالهم ، وسنة تطلب النيران بأباعدنا وهصلحاتنا وهذا من قصورهم ، وسنة يفشى الطاعون وتنشر الكبة وهذا هم الجالبون له من هندهم ... » (١)

السنة الثانية من جريدة شرقية عربية مدينتها الشيخ ج. سافوا البوظارة بباريس بشارة ريشة ١٨٧٤



مع جريدة البوظارة «التوحيد» «والضف» فوك ٤٦

قصة الإستكراه سنوي فوك ١٥ دفع سلفاً

البوير ما يتصوره بالعين . ولما يشرفوه يزعموا
ويقولوا سربا يملك يا شامبرلين . وقوادهم بوطه
ودريت ودلاري سمعوه وسخ اودانه . وسخطوا
عليه وعلى اعوانه . وبعض جراند لوندزه نشروا
كل هذه الاخبار . والصحف الأورو بيه قالت للانكليز
باللعار . فالحوادث دي ياساده . ثلثت بكم عليها
رسم كالعاده . وسقالات فرنساويه . وقصيده
بهمله . شفيتها غيل في الانكليز . سب كل بلاوي
وطني الغزير . الرسم يكتفي افسره كحضرات القراء
بكتلين . الجعيعه ده التي في العربية ده شامبرلين
والسينوره دي التي حذاء دي مراته . والجلاله التي
حولها دول يا ورائه . وصورت هناك القري والمدار
التي خرجها ككتشير وصبحها قفار لانها لا يجني البوير خرب
ديارهم . ودمرت قراهم ومنارهم ودملت
نساءهم وامتنوا العدو على اقتدارهم . والامراه
الشهيرة دي التي وقعت المرحبه . دي مارله بويريه .
وسولها اولادها التي صبحهم الانكليز ايتام . لان ابوم
وجدهم واعامهم قتلوهم . فخاف منها الخيل واصغر
لون وجبه المستر والمادام . ربا بصر المظلوم على
الظلم . اما الامراه البويريه صاحت وقالت لشامبرلين
هذا الكلام . ارجوكم شمه موه باكرام .
ارجع لورا ويملك يا شامبرلين ولا تقدم والا
الزبل لك . جاني تبلي ايه في بلادنا المسكينه ما شات
شايك الارض لساحراء من دم القوم البوير الذي
قتل وهو رافق عن وطنه الغزير . انظر ابا عدنا
للي حرقوها عساكرنا وديارنا التي خرجوها ونساءنا

عدد ا باريس في شهر ذي الحجه سنة
شامبرلين القتال . في بلاد الفرنسفال
المستر شامبرلين تعرفوه يا سادات . الرجل المزعج
ناظر المستعمرات . المستعمرات الانكليز . الكاشه
في الاقطار الشرقية . اخبركم هنا سرا يا خلان .
بما فعله من الجور والعدوان . فهو كما تعلموا قام
الحرب على البوير . القوم الصالح التي يستأجل كل خير . اما
نقاصه السيئه وغاياته القبيه . ساكات الا
للاستغلاء على اراضيهم التي مبادئ الذهب بحشيه .
من را يفته ما يملها الا التراب . اما لعلوسعه
وكثرة بختيه اما له ما خاب . وفي الواقع ولوان
بيومته انكسرت في ميدان الحرب والقتال . بخله
ومكره غش البوير وشلفن على بلاد الفرنسفال . وما
في طم ولا وعد واحد من مواعيده . وقبض على
دامام حكومتهم ويعمل فيهم كما يريد . وصبح المكسور
سيد والمضروبين عبيده . وده كله ما كناه الا وكان
راح يثثره في اوطانهم ومعا دنهم الذهبية . التي سبها
منهم واعطاها للحكومة الانكليزيه . فلما وصل المستر
شامبرلين الدجال . الى بلاد الفرنسفال . حصل بينه
وبين قواد البوير مشاجرات . طشت ورنش في سائر
الجهات . اما هو فتشير لهم شجرة جابت الملايين . وضرب
لهم ضرطه اغطت الملايين . وقال لهم انتم عبيدي
والبلاد بلا دي . انصرف فيها واعمل فيها مرادي . وكان
لما حل بمد يده من مدنه بيد خذها بموكب ماله مشيل .
فكده الفاخرات وتوصعه الجرايل . وتقول ان البوير
استرحبوا به وعللوه . واكرموه ويخلوه . والحال

التغير الذي اصاب رأس الصحيفة

وهكذا أخذت (تودد أبى نظارة) تنافس فى أحيان قليلة صحيفته الأصلية (أبى نظارة) ، وكانت تنشر أيضاً بعض الرسوم وصور الأشخاص ملونة (١) ، بل إن التودد ومعها صحيفة (المنصف) وصحيفة (العالم الإسلامى) كانت جميعاً معاونات صادقات (لأبى نظارة) حتى حُللن مكان بعض أعدادها ، وقد استكملت التودد أو تودد أبى نظارة السنة الثانية عشرة ثم اختفت نهائياً بعد أن عاوت فى أداء رسالة صحفيها الكبير

المنصف

« المنصف » إحدى صحف يعقوب بن صنوع التي نشرها في باريس وقد أصدرها في حجم (أبو نظارة) الكبير في سنة ١٨٩٩ وقد ظهر العدد الأول في ١٥ فبراير من تلك السنة مطبوعاً على الحجر ، مكتوباً بخط اليد ، وهي كما يقول صاحبها وجريدة سياسية أدبية تجارية مديرتها ومحررها الشيخ . ج . سائوا أبو نظاره المصري بباريس ، وقد جعل اشترائها عشرة فرنكات في السنة ، ترسل إلى مديرتها بطوابع بوسنة أو بحوالة تجارية ، وقد رسم على رأسها رسومات فنية مما يرسم عادة على منابر الجوامع والمساجد .

وللـمنصف رسالة وأهداف يحسن تسجيلها كما هي لتبين الأغراض التي انطوت تحت نشرها ، فقد وقع أبو نظارة على افتتاحية تضمنت ذلك كله وجاء فيها « أحمدك يا جميل الصنائع . يارفع البدائع . على فضلك الوافي . وعونك الكافي . أمرت بالعدل والإنصاف . وعلمت ما في القلوب من وفاق وخلاف . بفضلك يا مولاي نهضت . وبمعونتك يا إلهي نشطت . لأبدأ هذه الصحيفة . بآراء جليلة شريفة . إذ ليس الغرض من إنشائها سوى الدفاع بكل صدق وإقدام . عن إخواني أبناء الشرق الكرام . وتبيان حقوقهم . وسوء معاملة الغير معهم ومع أمرائهم وملوكهم . ومدح من نراه محباً لهم من الأمم الغربية . ومن يناضل عنهم في حومة الإنسانية . ويحفظ حقوقهم وبني عهودهم . لا سيما حقوق الأمة الإسلامية . وحقوق خليفاتها المعظم ذي الفعال المرضية . ومن الإنصاف أيضاً ذم من يحور عليهم ويظلمهم . أو يسلب أموالهم ويستخدمهم . أو يغور على بلادهم السعيدة . ويصحبها بحلوله في ضيقة شديدة . ويتسلطن عليهم بحجة حمايتهم . أو تمدنهم ورفع درجتهم . وأرجو لـجـرنـالى هذا أن يكون منصفاً لـبـنيه . من محبي الشرق وأعاديته . ولا فائدة في كثرة التكرار . والإشارة تنفي النباه الأخيار . وما أوضحته آنفاً فيه كفاية المعلوماتية . وإن أنحفتموني يا قرأني بآرائكم الصائبة ومقالاتكم البهية . بشأن معاملة الغربيين مع الشرقيين . من قبائح وملائع فلا بأس من المحبين . حتى إنني أبذل الجهد في الدفاع . عنهم في هذه النشرة وأجيد

المنصف

قيمة الاشتراك سنوياً فرنك
ومع جريدة البظارة "والودد"
وعلاواتها فرنكاً سنوياً
الى المدير بطرابلس بومته او بحالة تجارية

السنة الخامسة جريدة سياسية
ادبية تجارية مديراً ومحرراً
الشيخ ج. سافو البظارة
باريس بشانغ ريشه رقم ٩٤



عدد باريس في شهر محرم الحرام سنة ١٣٤١
مصر للمصريين

اجعل يارنى السنة دى الجديد. على انباء الشرق
سنة سعيدة. ونجى كل من لا يؤمن. من مخالب ظالمه
المشوم. حتى نرى اولاد بلادنا المصريين. بالحريه
والامن والراحه متمتعين. لان ظالما الجراد الاحمر
يتسلط فى الوادى. مصر تعتبر انكليزية يا اسيا دى.
الامر ده بليل نهار مشاغل بالى. احلم به ليل واسطره نهار
فى جرنالى. وفى الواقع ليله اميل يكرام. رايت نفسى
فى المنام. كائى فى مصرنا العزيزة. واقف على سطح احرام
الخير. ورايت هناك المصري والسودانى. والانكليزى
والامريكاني. فلما جئت من النوم سمعت النغم. ورسمت
الى جوارى والننى مقلهم. وكنت الحد يث الذى جرى بين الجماعة.
كلام حقن وشرارته وتجاهده. فرحت لما سمعت كلام القوم
والسودانى. والبطل الصند بيد الامريكاني. اما كلام
السترون. ما يقوله الا المجهول والمنصفون. اسمعوه
يا خلان. واسمعلوا على الانكليزى. انما نصايح الامريكاني
بالاخوان عليكم تتبعوها يا اخوانى. والاذا سطر والى
الرسم وقاموا فيه. واسمعو الى قول الانكليزى
والله هو معنا فيه. قال الفلاح - نهارك سعيد يا بطل -
قال السودانى - ونهارك رى اللين يا عزيزى - قال
الفلاح اه - الليام السعيدة الى رى اللين دى نركنا
من يوم ما دخل الانكليزى وادينا - قال السودانى
- صدق يا اخى اما العشم فى ربنا بنصرنا على الاعادي
انصر سيدنا المهدي عليهم فى اول حرب. انما كنت فى
رقعة عبيد ورايت الجنرال هكس وعساكره العشرة
الاف مطروحين على ميدان الحرب عرقاين فى دماهم

ونبارحم دالايام. اما ثانى حرب وهو الاخير كسرونا
الانكليز لان انما مصر الى كانوا معنا فى اول حرب قاتلونا فى
الثانى - قال الفلاح - ففنا فى عرضك من السيرة دى.
٥٥. كروم وكشبير غشوا الجيش المصرى بقولهم ان
الغضد بالحرب خلا من السودان من يد الدمر وليش
واعطاه الى الحكومة المصرية. والحال انهم شرعو ان يبيعوا
بيرق الفلم دول يا اقدى من يوم حلولهم هنا ما تمسنة
الا وبجنى المعائب سنة حريق وسنة غريق وسنة
هو اصغر وسنة طاعون. قال السودانى - امته يارب
تخلصنا من جور الانكليز الى ياكلو الحنا ويشربوا دما -
عندنا طلع الامريكاني على سطح الاحرام وقال للفلاح والسو
دانى - رشا بخلصكم من بيد الانكليز لما يرمى سيجانه وتعالى
حس الوطن دخل فى قلوب حكامكم - فقال السودانى للفلاح
بصوت خفى - من اين هذا الرجل ده. بكونتى جاسوس
انكليزى؟ صورته ما تشبه بشي صورة اعادة الجراما
كلامه رى كلامهم - فقال الفلاح للسودانى - صاحبنا
ده امريكاني. ده يجب مصر ومراده براها نكرنا فى الجيوب
الى مركبها الانكليز على قفاها - فقال السودانى للامريكاني
- ان كان صحيح صب بلادنا قل لنا نعمل ايه لا نقاده من جور
الانكليز - قال الامريكاني - اول كل شى لازم اننا الالهالى
تتردب بعنى تعلم نقر ونكتب - قال له الفلاح كل اولادنا
يعرفوا يقرأ ويكتبوا بالفرنسى والفرنساوى حتى بلسان
الوربعينى الانكليزى - قال الامريكاني - طيب وانتم...
- قال السودانى - احنا نفرق بحارب وموت فذل الوطن
- قال الامريكاني - يا هل ترى لكم رئيس لار. ما عندكم
رئيس يغودكم كل واحد منكم بده يا مر وما حدش فيكم
يطيع وغير ذلك لانهم الان للحرب والقتال والامم المتد

التراع . وأملى دوام هذا الشأن بصواب ومسرة وإحسان . ولا فلاح . إلا من الفتح .
وحقق أدت المنصف رسالتها أحسن الأداء في هذه الفترة القصيرة التي عاشتها ،
أى في السنتين اللتين صدرت فيها ، وحققت أهدافها كاملة ، فكانت تكشف عن متاعب
أهل الشرق من استعمار الغرب واستبداده في أسلوب عامى هو الأسلوب الذى غلب
على صحف يعقوب جميعاً ، مع بعض الرسوم والصور ، ومع ترجمة فرنسية استغرقت
نصف صفحات المجلة ، على أن الملاحظ في سياسة الجريدة كان إعلان فضائل
الفرنسيين ، وكانت تصدر أفتتاحياتها أحياناً عن رؤساء جمهوريتهم أو كبار رجالهم (١)
ثم تضمنت (المنصف) كثيراً من صور الأشخاص ، وهم أشخاص لهم في حياة
الشرق والغرب نصيب ، ولم تلجأ قط إلى ما اتبعه ابن صنوع في نشر القصص والروايات
السياسية التى أجادها وأبدع فيها في صحفه الساخرة الأخرى ، كما تضمنت أخباراً
من هنا وهناك وفصولاً خاصة بمصر بعنوان : زهرة من تاريخ وطنى الغالى ونبذة
من ترجمة حالى ، (٢) كتبها ابن صنوع ، وروى فيها المحاسن والمساوى في أسلوب
بعضه عربى وبعضه عامى .

وقد دأب الكاتب على نشر رسائل مختلفة كانت ترسل إليه من مبرر والبلاد العربية
والشرقية الأخرى ، وكانت هذه الرسائل نثرأ وشعرأ ، وهى غاية فى الضعف من
حيث أسلوبها وركاكة عباراتها ، حتى إن بعض الأشعار التى نشرها جماعة من الشرقيين لم
نستطع فهم معناها ، لأنها جاءت فى لهجة وعبارات لا يفهمها المصريون سواء فى
جيلنا أو فى عصر ابن صنوع (٣)

وقد نهجت (المنصف) نهجاً عرفناه ليعقوب فى بعض سنوات صحيفته (تودد
أبى نظارة) إذ تكاد تقف صفحاتها على مدح كبار رجال الشرق من ملوكه وأمرائه
وحكامه ، مما يعطينا صورة لعواطف الكاتب التى تلاعبت بها الصلوات الأدبية والمادية
كما أثر عن حياته فى أخريات أيامه ، لأن بعض من عرض لهم هنا ما كان يكتب لهم
فى التاريخ سطر لولا أن يعقوب بن صنوع أرخ لهم تاريخاً قلباً يؤمن به أحد ،
فقد ظهرت فى هذا التاريخ أغراض الكاتب ، وليس تاريخاً ذلك الذى يبنى على الغرض

١ - المنصف - العدد الثانى فى ١٥ مارس ١٨٩٩

٢ - المنصف - العدد الثالث فى ١٥ أبريل ١٨٩٩

٣ - المنصف - العدد الخامس الصادر فى ١٤ يونيو ١٨٩٩

وتميزت السنة الثانية من حياة (المنصف) بالتعرض للشئون السياسية الصارخة إن صح التعبير ، وعاد الكاتب إلى حماسه الوطنية الملحوظة ، فجعل بعض الافتتاحيات حملات متصلة على الإنجليز وسياستهم في وادي النيل ، وله في هذا مقال يمتع عنوانه (الشهر الآتي الاسكيز . تنجلي عن وطننا العزيز) (١) وهو يتحدثنا فيه عن وعودهم في الجلاء عن مصر وكذب هذه الوعود ، غير أنه يستنتج من هزيمتهم في الترنسفال اضطرابهم إلى الجلاء عن وطنه ، وقد شرح ذلك في ألفاظ لا يمكن أن ننشرها في مطبوع ، بل لا يمكن أن نتحكى على لسان ١١٩

واحتلت سيرة البوير وحربهم للإنجليز مكاناً ملحوظاً من صحيفة المنصف في سنة ١٩٠٠ وفيها من الشهامة بالبريطانيين شيء كثير ، وهو يربط دائماً في التحدث عن البوير وثورتهم ، بين كفاحهم وكفاحنا ، وقد حدثنا في ذلك حديثاً ممتعاً بعنوان (حقاً البوير جدعان . أما الإنجليز جديان) (٢) يبدوه بالاعتذار عن تأخر المجلة عدة شهور ثم يتحدث عن مصر وينتقل أخيراً إلى شجاعة البوير فيقول : يا هل ترى وحشتك أنا وأخباري ، مثلها وحشتي أنت يا حضرة القاري ؟ لأن صار لنا شهر تمام (٣) . ماتحدثناش سوا يا ابن الكرام . فإن سألتني عن سبب تأخير جرنالي يا صاح . أقول بأنه لا نشغالي في نشر مقالات في صحف باريس الملاح . ترى مقالة منهم في العدد ده بالفرنسيس . أظهرت فيها ما بتقاسيه مصر من جور المستربول الخنيس . والعوايد والفرد والضرايب والتخريجات . اللي بياخذها ظلماً وعدواناً من الفلاحين والذوات . والآلوف اللي بيرفقههم اللورد كرنب من الدواير والدواوين . فله الحد مقالاني دي الوطنية . وجدت أعظم قبول لدى أصحاب الجرايد الافرنجية... إلى آخر ما جاء في هذا المقال السياسي الطريف

وما يذكر أن صحيفة (المنصف) دأبت في بعض الأعداد على ترجمة ما نشر باللغة العربية إلى اللغة التركية بجانب القسم الخاص باللغة الفرنسية ، غير أن خط الكاتب كان رديئاً بحيث يتعذر على كثيرين قراءته ، ومن ثم فهمه الفهم الصحيح ، غير أن ذلك لا يمنعنا من أن نذكر (للمنصف) — على قصر عمرها — أنها عاونت في أدام رسالة المترجم له سواء اتصلت تلك الرسالة بمصر أو غيرها من بلاد الشرق

١ - المنصف - العدد الأول في ٢٠ فبراير ١٩٠٠ و ٢ - المنصف - العدد الثالث في ٢٠ نوفمبر ١٩٠٠
٣ - الصحيح أن المنصف غابت عن قرائها ثلاثة شهور كاملة

العالم الاسلامى

نختم بهذه الصحيفة تاريخ النشاط الصحفى ليعقوب بن صنوع ، وهى صحيفة تتميز بأشياء جديدة ، تتميز بلغتها الفرنسية التى انفردت بها ولم تشاركها فيها لغة من اللغات الأخرى ، وتتميز بورقها ولونه الضارب إلى الحمرة ، وصورها الواضحة المعالم والأشخاص .

هى صحيفة (العالم الإسلامى) لمديرها ومحررها الأول ، شاعر الملك الشيخ جسانوا أبو نظارة ، ونقول أيضاً (L'Univers Musulman) فى رءوس أعدادها أنها صحيفة أدبية ، تجارية ، صناعية ، مالية ، وتشير الرسوم المنشورة دائماً فى رءوسها أنها صحيفة العالم الإسلامى حقاً ، فقد رسمت على جانبي اسمها قباًباً ومآذن وأشخاصاً باللباس العربى الأصيل ، وباللباس المصرى ، مما يعطى صورة عن أنها تعبر عن أصحاب تلك المآذن والقباب ، وقد قررت عشرة فرنكات اشتراكاً لها وعشرين فرنكاً مع (أبو نظاره) وخمسة وعشرين فرنكاً للصحيفتين وما يصدر عنهما من ملاحق .

أما أهداف الجريدة فقد بينها صاحبها وهو يتحدثنا عن مجموع أعداد ، دأبى نظارة ، ود العالم الإسلامى لسنة ١٩٠٧ فقال : أهديك يا حضرة القارى فائق احترامى . وأرجوك قبول مجموع أعداد جريدة أبى نظارة ومجلة العالم الإسلامى . إيش قولك يا عزيزى فى هذا الكراس الكبير . ماهوش عال العال ومزين بأنقر التصاوير ؟ إتحفه بنظرة من أنظارك الجليلة . ترى فيه مقالات جميلة . كلها مدح وثناء فى جلالة مولانا السلطان . حفظه وحرسه ونصره الرحمن . وكذا ترانى أبجل علماء وشعراء الترك والفرس والعرب . اللى أقوالهم كلها طرب . إنما الأعداد دى وردت لك فى مواعيدها يا صاح . واطلعت على ماحوته من الجمل والصور الملاح . ورأيتنى أقاوم الإنجليز . وأدافع بالباع والذراع عن حقوق وطننا العزيز . وليل ونهار أرفع عيني إلى السماء وأقول . ياربى إنقذ مصرنا من مخالب المستر بول . لأن وادى النيل من الممالك العثمانية . فكيف يتسلط عليه جيش الحكومة البريطانية ؟ واليوم

يا حضرة القارى داعيك أصبح اختيار . وخايف أموت قبلها ينجلي عن وادين الجراد
الأحر الغدار . وأعود لبلادى وأراها متمتعة بالحرية . وأشاهد رؤية سمو خديونا
البيهة . شوقى لأبناء مصر والسودان يعجز عن مصفه أفصح لسان .

ANNUÉ N° 1 15 FÉVRIER 1927

لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

L'UNIVERS MUSULMAN

LITTÉRAIRE, COMMERCIAL, INDUSTRIEL, FINANCIER

Direction et Administration : 43, RUE RICHER, 43 PARIS

ABONNEMENTS : 10 francs par an (France) 12 francs (Étranger) 15 francs (Soudan)

Imprimerie : L'Égypte Française, 10, rue de la Harpe, Paris

Imprimerie : L'Égypte Française, 10, rue de la Harpe, Paris



Palais impérial de Téhéran



Le Caire

L'Univers Musulman

Dieu seul, jadis et toujours,
En qui nous nous reposons,
Préside à tous nos destins,
Monsieur l'Univers Musulman,
Inspire-nous, bon Seigneur,
L'union et l'harmonie
En un accord si cher,
Où nous serons de la main,
Non loin, le le cercle bien
Placer nos l'Union
N'a pas de frontières,
Ni point de division,
Car l'Union est si belle,
Monsieur l'Univers,
Et son bon sens
Tout bon sens et amour.

Que Christos et Mohammed
Se soient donc unifiés,
Car, Dieu le veut,
Il nous a fait un seul
Un seul, Dieu le veut,
Ce que l'on veut dire
Un seul et doux être,
N'a pas de division.

Après ce que Dieu de bon, Dieu de toutes les unions, dont
je suis d'origine, je vous salue, nobles hommes et futurs
héritiers de ce monde et son peuple, mes amis,
Ce monde est un seul et la Turquie, l'Égypte, le Grand
Kahlan et chacun des nombreux royaumes et peuples du monde
musulman, ne s'en est pas séparé, mais s'est unifié par
les Musulmans, pour mettre leur esprit au service de la cause
de progrès et de la civilisation et leur offrir les moyens de
leur développement.

Ce que nous nous sommes unifiés, notre nouvelle publication, c'est
d'abord l'union, c'est-à-dire l'union de tous les peuples, de tous les
peuples d'Europe et d'Asie, de tous les peuples de la terre.

من صحف يعقوب في باريس

إنما يرجع مرجوعنا للمجموع ده الغالى ، ولما فيه من اطراف وظراف جرنالى .
جرنالى القديم والجديد لأن اليوم يا قارى يانور العين . بالشر صحيفتين . أبو نظاره
والعالم الإسلامى . أهديهم بضعة لجنايك السامى . وعلى شان ده كتبت لك بخط يدى
هذه السطور . حتى أكون بعد وفاتى عندك مذكور . والآن أقول لك فى الختام

كل سنة وانت طيب يا ابن الكرام ، (١) .

هذا هو حديث يعقوب بن صنوع عن صحيفتيه في سنة ١٩٠٧ ، وهما الصحيفتان الباقيتان من صحفه الكثار ، غير أن مجلة (العالم الإسلامي) لم تعمر طويلا ، ولم يصدر منها في سنتها الأولى إلا ثمانية أعداد ، وفي سنتها الثانية لم يصدر صاحبها منها إلا أربعة أعداد فقط ، ثم اختفت ولم يبق من صحفه إلا (أبو نظاره) التي عاشت إلى سنة ١٩١٠ ولم تقف عن الصدور إلا بعد أن كاد أن يكون كفيف البصر ، وبعد أن عجزت صحفته عن مداومة صدورها ، وثقل به المرض فأمضى في سريره نحو سنتين يجاهد في سبيل الحياة من غير نتيجة حتى نزل به قضاء الله في سنة ١٩١٢ ونعته الصحف ووكالات الأنباء ، (٢) .

أما رسالة (العالم الإسلامي) وأهدافها فكانت شيئا يختلف عن رسالة وأهداف صحفه الأخرى ، فهو يبدأ عدده الأول بقصيدة شعرية ينتهل فيها إلى الله أن يحفظ العالم الإسلامي وأن يهبه من الفصاحة ما يجعله يثبت أن الإسلام دين يسر ولا يخاصم ديناً من الأديان ، ثم ينشر كلمات التشجيع التي تلقاها من تركيا وإيران وأبناء العرب وأحد محرري جريدة التيمس ، ويلاحظ على صحيفة العالم الإسلامي أنها تكاد أن تكون وقفاً على شئون تركيا .

إنه داعية السلطان في هذه الصحيفة ، فهو يروى بالصور والرسوم مفاخر السلطنة ونشاطها الاقتصادي والاجتماعي والأدبي ، ويحكي تفاصيل شتى عن المصانع والمدارس ، وخاصة الأخيرة التي برهنت على أن المسلمين لبسوا أعداء الثقافة والتعليم (٣) ثم نجد نص بعض الخطب التي تحض المسلمين على مؤاخاة المسيحيين وخاصة الفرنسيين الذين أمرت حكومتهم بطبع القرآن الكريم على نفقتها على ورق فاخر ، وكلفت عالماً فرنسياً بترجمته إلى لغتهم .

ولا يقف يعقوب بن صنوع عند حد وهو يدعو لخليفة المسلمين في صحيفته ، فلا يقتصر على الرسوم التي نشرها ، ولا على المقالات التي ديجتها براعته بل

١ - العالم الإسلامي - العدد الأول في ١٥ فبراير ١٩٠٧

٢ - أعلام الصحافة العربية لمؤلف - الطبعة الثانية ص ٢٠ وما بعدها

٣ - العالم الإسلامي - العدد الثاني في ٥ مارس ١٩٠٧

ينقل مقالات المدح التي تنشر في الصحف الأوروبية وخاصة الصحف الانجليزية ويفتش عما جاء في تلك الصحف خاصاً بسلطان الأتراك فيرد على كل نقد يوجه إليه كما أنه لا ينسى بين آن وآخر خديو مصر عباس الثاني ، فينشر أحاديثه للصحفيين وخاصة الانجليز منهم (١)

وتخصص العدد الرابع في مسائل العلوم والفنون ، فقرأنا شعراً فارسياً ومسائل علمية وأمثلة عربية ونوادير عن ذكاه الأتراك (٢) ثم يتحدثنا في عدد آخر عن انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة وبناء المساجد في استراليا (٣) ولا يفوت أبداً الحديث عن وطنه كلما جاءت مناسبة ، ومن ذلك نشره لمقالة مصطفى كامل التي قرأها في صحيفة الفيجارو (٤)

أما سلطان زنجبار ، صديقه وحفيه ، فكانت له سطور بين آن وآخر ، وحديث عن أوسمته ونشاطه ، (٥) بجانب فصول أخرى منقولة من الصحف التركية عن نشاط السلطان واستقباله للأمراء وهداياهم من الفوائيس ، للمدينة المنورة ، ورعايته للإسلام في الصين (٦) وسهراته في قصر يلندز (٧) ثم يحتفل بحلول أصدقاء السلطان في باريس ، وهم من صحفيي الآستانة كمحرر الليفانت هيرالد مثلاً ، هذا إلى مجموعة طيبة من القصص التركي نقلها عن صحفيهم وترجمها إلى اللغة الفرنسية (٨) . وهكذا كتب وأنشأ كل ما يهيم السلطان وحكومته حتى لنحکم في اطمئنان على أن (العالم الإسلامي) كانت صحيفة السلطان قبل أن تكون صحيفة أبي نظارة ١١

-
- ١ - العالم الإسلامي - العدد الثالث في ٢٥ أبريل ١٩٠٧
 - ٢ - العالم الإسلامي - العدد الرابع في ٥ يونيو ١٩٠٧
 - ٣ - العالم الإسلامي - العدد الخامس في ١٥ يوليو ١٩٠٧
 - ٤ - العالم الإسلامي - العدد السادس في ٢٥ أغسطس ١٩٠٧
 - ٥ - العالم الإسلامي - العدد الثامن في ٥ ديسمبر ١٩٠٧
 - ٦ - العالم الإسلامي - العدد الأول لسنة الثانية في فبراير ١٩٠٨
 - ٧ - العالم الإسلامي - العدد الثاني لسنة الثانية في أبريل ١٩٠٨
 - ٨ - العالم الإسلامي - العدد الثالث لسنة الثانية في يونيو ١٩٠٨

ختم السيرة

إن خاتمة أبنى نظارة في سير المجاهدين والأحرار لترفع من قدر الوطن الذي أنجب هذا المواطن نادر المثال . . .

إن ابن صنوع قصة في تاريخ الصحافة المصرية ، يفخر بها كل من احترف الصحافة أو سجل أحداثها ، أو أحس أنها مهنة القراع والنضال ، لا ينتظم في صفوفها عبد ، ولا ينضوي تحت لوائها تاجر . . .

إن الصحافة دنيا يعبرها روادها في أتون من الأعصاب الثائرة ، قد يفقد الإنسان فيها بصره ويعتصر دمه ، وتصرخ أمعاؤه من الجوع ، بيد أنه لا يفقد بصيرته أو يفقد ضميره أو تهون مثله في الحياة . . .

لقد كانت في سيرة يعقوب العبر والعظات . . .

لقد أبى ابن صنوع أن يبيع ضميره ويحبس رأيه بالفرن الذي باع غيره من صحفيي جيله ذنهم وأقلامهم . . . لقد خير المواطن الحر بين متعة الحياة حيث نشأ ودرج ومباهج العصر حيث انحلت الأخلاق وهوت القيم ، وبين النقي والتشريد في بطاح الأرض بلا أهل ومال ، فأثر أن يكون طريداً على أن ينتظم في صفوف العبيد . . . وفي حياة يعقوب ندرس جهالة المسؤولين فينا ، فقد حورب الرأي الحر والفكرة الناضجة في عهد إسماعيل ، وذهب العهد في الضغط على الحريات إلى أقصى المدى ، حاول قصف الأقلام وتكليم الأفواه ، فسلت الفكرة عرشه ، وهوت أسنان الأقلام بسيرته ، ولم يستطع خلفاؤه من بعده أن يحموه من التاريخ وحكمه . . .

ولم يتعظ ذلك الخلف بالصنم الذي تحطم ، فعاودوها نقمة على القلم والرأي جيل بعد جيل ، ومع ذلك هوت الأصنام صنماً بعد صنم ، وبقي الرأي الحر مارداً لا تمس أقدامه ، وعاشت الفكرة السليمة عنقا لا تنال حرمتها

لقد كشفت سيرة يعقوب بن صنوع عن ضعف حكام مصر في العصر الحديث ، فلم يهضم واحد منهم حرية الرأي ولا قداسة القلم ، وإنما ساموا أصحابهما خسفاً وعالجوا أمورهم عسفاً ، وكان الجهل بالقيم والمثل مسيطراً على عقولهم ، حتى طواهم

الردى ، وعراهم التاريخ ، فما حفظت لهم الدنيا إلا سوءات تحكى ، وما روى الناس عنهم إلا أقبح الأقايص ...

إنه القلم الذى يسجل التاريخ ولن يسجل التاريخ سيف ولا مدفع ...
لقد ذهب إسماعيل بخيره وشره ، وبقي أبو نظارة برأيه وقلبه ، ذلك أن ، ولى
النعم ، استند إلى الحديد والنار ، بينما كان « أبو نظارة » يستند إلى قطعة من جريد
وقرطاس من ورق ...

إن من القلم أحمى من طرف السيف ...
إن صفحة الورق أخطر من رصاص الطاغية ...
إن الفكرة تصهرها المحنة وتلهبها الشدة ...
إن الفكرة من صنع الله ، والله فى كل مكان ...
حتماً إن أباً نظارة كان خطراً على إسماعيل وتوفيق ، وما كان لهما أن ينالا
من إيمانه ، والحرية دينه ومبتغاه ، والحرية قبس من السماء ، وما كان لقوة أن تقضى
على شيء التمس مكانه فى السماء ...
ما أكثر ما أعطانا أبو نظارة من عبر وعظات ! ...

ولكن هل قصر يعقوب حياته على مكافحة الطغاة ومجادلة البغاة ، بالكتابة
والخطابة ولم يكن له شاحذ غير هذا النشاط ؟

سؤال أجبت عنه فى فصول هذا الكتاب ، فقد شرحنا سيرة يعقوب بن صنوع ،
وينا دوره فى إنشاء أول مسرح عربى فى مصر الحديثة ، وذكرنا رسالته فى إنشاء
الصحف الخيرية فى مصر والخارج ، وفصلنا تاريخ تلك الصحف وما احتوت عليه
من معانى وأفكار ، وعرضنا أثناء المتن إلى أن يعقوب بن صنوع لم يقصر نشاطه
فى مصر وفرنسا على المسرح والصحافة ، بل تشبث إلى إلقاء المحاضرات وكتابة
المؤلفات بشرى اللغات ، وقد وجدنا من المناسب أن نختم سيرته ببيان عن الكتب
التي ألفها ، ولا يعنى هذا البيان أن هذه الكتب هى كل ما ألفه المترجم له بل إنها —
فيما نعتقد — أكثر الكتب التي أمكننا حصرها ، بعضها مطبوع وبعضها مخطوط
ينتظر النشر فى أوسع نطاق ، ومن بين الكتب التي افتقدناها بعض رواياته التمثيلية التي

عرضها على مسرحه في القاهرة قبيل نفيه ، وإن كنا قد أشرنا في الفصول الأولى إلى أسماء بعضها



أبو نظارة قبيل خروجه من وادي الديموع ١٩
آخر صورة له قبيل مرضه في ١٩١٠

ومؤلفات يعقوب بن صنوع
متفرعة متباينة ، بعضها يتصل
بالشئون العامة ، وبعضها الآخر
يتحدث عن الكاتب ومآمر بحياته
من ألوان الكفاح والجهاد ، والبعض
الآخر تمثيلات لم تر خشبة المدرج ،
وهي جميعاً من المؤلفات القيمة التي
تدل على أن الكاتب كان أستاذاً
متمكناً من مادته ، عالماً بكثير من
اللغات ، قادراً على التعبير بها جميعاً
في مستوى واحد من الكفافية
وحسن العرض وسلامة العبارة .

وبيان هذه المؤلفات : —

١ — ملحق لأبي نظارة باللغة الفرنسية ، وهو عبارة عن قصيدة بتلك اللغة ،
نشرت بباريس سنة ١٩٠٩ بمناسبة مرور سبعين سنة على مولد يعقوب بن
صنوع ، وتحكي تلك القصيدة حياة (أبو نظارة) وما اكتشفها من أحداث
سبق أن عرضنا لتفاصيلها بما لا يحتاج إلى مزيد

٢ — حسن الإشارة في مسامرات أبي نظارة : طبع سنة ١٩١٠ على نفقة الحاج
محمد أمين دربال النخعي ، وهذا الكتاب عبارة عن شرح لفرنسا وتاريخها
وسيرة الفرنسيين ووسائلهم في تناول الحياة وعراقق نظارهم إلى تلك الحياة ، وهو
لا يخرج عما اعتاد نشره في صحفه عن فرنسا ووطنه الثاني .

٣ — الأخوات اللاتينيات : وهو كتاب نشره منشورا ومنظوماً بعدة لغات .
تأليف الشيخ ج . سانوا أبو نضاره شاعر الملك . وقد طبع في باريس
سنة ١٩٠٥ . وقد أهدي المؤلف هذا الكتاب إلى المسيو أميل لوبيه رئيس

جمهورية فرنسا ، وهو يحتوى على قصائد مدح وكتابات ثناء وجهها صاحبه إلى رؤساء الدول اللاتينية ، وهم المسيو إميل لوييه والملك فيكتور عمانوئيل الثالث ملك إيطاليا ، وألفونس الثالث عشر ملك أسبانيا ، ودون كارلوس الأول ملك البرتغال . كما تضمن الكتاب قصيدة ثناء على سلطان تركيا وشاه العجم بست لغات ، وقد طبع من هذا الكتاب عشرة آلاف نسخة وزعت جميعا

٤ — مولير مصر وما يقاسيه : رواية تمثيلية هزلية بقلم الشيخ يعقوب صنوع المشهور بأبي نظاره المصري ، شاعر الملك ومؤسس التيارات العربية في وادي النيل طبعت بالمطبعة الادبية ببيروت سنة ١٩١٢ . وقد أهديت هذه الرواية إلى الفيكونت فيليب دي طرازي مؤرخ الصحافة العربية . وفي مقدمة هذا الكتاب يقص أبو نظاره ما قاساه في إنشاء المسرح المصري ، وهي بيانات لا تخرج عما ذكرناه في متن هذا الكتاب

٥ — فاطمة : كوميديا من ثلاثة فصول ألفها جيمس سانوا — أى أبو نظاره — باللغة الإيطالية ، ولم نعر على تاريخ تأليفها غير أن المترجم له حددنا في موضع آخر عن هذه التمثيلية : فبين أنها مثلت على مسرحه بين سنتي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ، ومعنى ذلك أنها ألفت في تلك الفترة من نشاطه المسرحي ، وما يذكر أنها ترجمت إلى اللغة الفرنسية ومثلت بها أيضا .

٦ — IL marito infedele كوميديا من فصل واحد ألفها يعقوب بن صنوع باللغة الإيطالية بمدينة القاهرة سنة ١٨٧٦ ، وأهداها إلى السكوتيس دي كفهولر ، وطبعت بمطبعة السنترال بالأزبكية لصاحبها جول بارييه سنة ١٨٧٦

٧ — غزوة رأس نور ، وهي تمثيلية تسخر بالمداهين أصحاب المظاهر

٨ — غنائية باللغة العامية ، من فصل واحد تضمنت كثيراً من الأغاني المعاصرة

٩ — شيخ البلد ، تمثيلية تدعو إلى أن يعنى الآباء بآراء بناتهم حين الزواج

١٠ — زوجة الأب ، تمثيلية حمل فيها على السكحول الذين يتزوجون من صبيات صغيرات

١١ — زبيدة ، وهي تمثيلية تنقد تقليد الشرقيات للغريات دون وعى أو تفكير

١٢ — تمثيلية راستو وشيخ البلد والقواص

- ١٣ - تمثيلية حلوان والعليل والاميرة الاسكندرانية
١٤ - تمثيلية البورصة
١٥ - تمثيلية البربرى
١٦ - تمثيلية الخشاش
١٧ - الصداقة (١)
١٨ - Invo - Cazione : وهى مجموعة أشعار باللغة الإيطالية ، ومعناها : دعاء ، وهى من المخطوطات التى كتبها المترجم له بخط يده ولم تطبع بعد ، ولا يعرف تاريخ تأليفها .
١٩ - السلاسل المحطمة : وهى تمثيلية وطنية عثمانية ، نشرها يعقوب بن صنوع باللغة الفرنسية وأهداها إلى الصدر الأعظم حسين حلمى باشا ، وقد طبعت بباريس فى سنة ١٩١١ .
٢٠ - La Constitution Ottomane et ses Héros أى الدستور العثمانى وأبطاله وهى : رسالة لطيفة كتبها المؤلف بالشعر فى بعضها ، وبالثرى المقنى فى البعض الآخر ، وقد ألحقها بمجلته L'univers Musulman ، وهى مطبوعة بباريس دون تاريخ .
٢١ - Ma Vie en Vers et mon Théâtre en Prose أى حياتى بالشعر ومسرحى بالثرى وهى حياته التى حدثنا عنها فى أكثر من موضع وشرحناها فى الفصول الأولى من هذا الكتاب ، وقد طبعت بباريس دون تاريخ .
٢٢ - Les Conférences du Sheikh Abou Naddara Chair - El- Molk . L'Exposition de 1900 . وهى أحاديث شتى ومعارضات تناولها المؤلف بالعرض أثناء معرض باريس سنة ١٩٠٠ .
٢٣ - رحلة أبى نظارة بالآستانة العلية فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٨ هـ وقد طبعت
-
- ١ - هذه بعض تمثيلياته التى أمصكتنا حصرها ، يضاف إليها ما أشرنا إليه من تمثيلياته الأخرى التى جاء ذكرها فى الفصول الأولى من هذا الكتاب ، وقد ألحقها بعد مودته من إيطاليا من البينة التى أرسله فيها الأمير أحمد يكن .

- هذه الرحلة يباريس في شهر رجب سنة ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ ميلادية .
- ٢٤ - Sohais d'Egypte أى تهاى مصر : وقد نشرها المؤلف باللغة الفرنسية بمناسبة أعياد ميلاد السلطان عبد الحميد خان الثانى ، وهى مكتوبة بالشعر والنثر .
- ٢٥ - Baliet Hotel مؤلف أصدره الكاتب شعراً ونثراً بست لغات .
- ٢٦ - Les Soupirs du Proscrit أى ذكريات المنفى : وهى بالنثر والشعر ، أصدرها بمناسبة مضى خمس وعشرين سنة على تأسيس (أبو نظارة) وفيها يروى يعقوب قصة حياته وموقف الإنجليز في وادى النيل وتمنيات الشرق لفرنسا ، والحروب الإنجليزية في مصر والسودان ، وتمنيات مصر للسلطان وحديث عن نفسه وصداقته لفرنسا .
- ٢٧ - ترجمة الجزء كبير من القرآن : مخطوط باللغة الإنجليزية لم يستكمل المؤلف نظراً لمرضه في سنة ١٩١٠

مراجع البحث

١ - كتب عربية ومعربة

- إبراهيم عبده تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ - ١٩٤٢) الطبعة الثانية
 إبراهيم عبده أعلام الصحافة العربية - الطبعة الثانية
 إبراهيم عبده حول الصحافة في عصر إسماعيل (حقائق غير مطوية)
 القاهرة ١٩٤٧
 إبراهيم عبده جريدة الأهرام - تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة
 القاهرة ١٩٥١
 إبراهيم عبده تطور الصحافة المصرية - الطبعة الثالثة
 بنت التاريخ النسرى لاحتلال إنجلترا مصر - ترجمة البلاغ
 الطبعة الأولى
 فيليب دي طرازي تاريخ الصحافة العربية - أربعة أجزاء - بيروت
 ١٩١٣ - ١٩٣٣
 محمود رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (ثلاثة أجزاء)
 مطبعة المنار ١٣٤٢هـ

٢ - مخطوطات

- مذكرات يعقوب بن صنوع (وتحفظ بالأصل كريمة السيدة لولي صنوع)
 رسائل خاصة - أشرنا إليها في المتن

٣ - الصحف والمجلات

- صحف يعقوب بن صنوع (وقد أشرنا إليها في المتن)

Saturday Review 26 July 1879

٤ - مراجع فرنجية

- Baignières, P. L' Egypte Satirique 1896'
 Blunt, W. S. My Diaries, London 1919 - 1920
 Hartmann, M. Arabic Press of Egypt 1899
 Sabry, M. La Genèse de L'Esprit National
 Egyptien, Paris 1934

الواد اللثيم - توفيقه - فردريك (ص
١٣/١٤/٢٠/٤٧/٧١/٧٢/٧٨/٩٢/٩٣/٩٩
١٠٠/١٠١/١٠٣/١٠٥/١٠٦/١٠٧/١٠٨
١٠٩/١١٢/١١٦/١١٧/١١٩/١٢٣/١٢٤
١٢٥/١٢٦/١٢٧/١٢٨/١٢٩/١٣٠/١٣٤
١٣٥/١٣٦/١٣٨/١٤١/١٤٨/١٤٩/١٥٠
١٥١/١٥٣/١٥٤/١٥٥/١٥٧/١٦١/١٦٤
١٧٢/١٧٣/١٧٤/١٧٦/١٩١/٢١١/٢١٤

(ث)

ثابت ص ١١٧

(ج)

جربني ص ٦٨
جلادستون (غلادسطون) ص ١٦٠
جوردون (الجوردون - غوردون -
الجزال الخسيس) ص ١٧٥/١٥٩
جون بول ص ٢٨
جيرار (الكايتين) ص ٥٧
جيل سيمون ص ٦٨

(ح)

حين حلي (الصدر الأعظم) ص ٢١٥
حليم (البرلس - الحليم - أبو الحليم -
الشيخ المنصف بالحلم - الحبيب -
المليح) ص ٢٥/٥٥/٧١/٧٢/٩٩
١٠٠/١٠١/١٠٢/١٠٤/١٠٥/١٠٦/١١٠
١١٩/١٢٢/١٢٣/١٢٤/١٣٦/١٤٩/١٥٠
١٥٥/١٧٨
حيدر ص ١١٧

(خ)

خيرى (أحمد باشا - مكتوبى الحضرة

الصديق (إسماعيل باشا المفتش) ص ٨٨
القطار (محمود) ص ١٠٩
العطاشي (عبدالله العائشي) ص ١٧٥
العقاد (موسى) ص ١٢٤/١٢٥/١٢٦
القونس (الثالث عشر ملك أسبانيا) ص ٢١٤
المهدى (محمد أحمد) ص ١٥٩/١٦٠
١٦١/١٧٥

المويلحي ص ١٠٩/١٦١

النديم (السيد عبدالله) ص ١٤٢/١٤٣

١٤٤/١٤٨

أوجستان ص ٧٩

أورفرى (الباشا محافظ الاسكندرية) ص ٧٩

أورليان ص ٦٨

أوغسطيني (وكيل صنوع في مصر) ص

١٢٥/١٢٧

(ب)

باربيه (جول) ص ٢١٤

بسمارك (بنرط) ص ١٣٤

بلنت (بلونت - ويلفريد سكاون) ص

١٥٨/١٥٩/١٩٢

بوالو ص ٧١

بونابرت (الجزال - الامبراطور نابليون)

ص ٦٩

(ت)

توفيق (الخديو - العزيز -

توفيق - توفيق أفندي - الواد -

الواد المرق - الواد الأهل - أفندينا

فرعون الصغير - الحضرة الكتيبة

(س)

سلطان (محمد باشا — أبو سلطان —
أبو لهب) ص ١٥٣ / ١٦٠
سودان (جيهان) ص ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢

(ش)

شامبرلين ص ٢٠٠
شاهين ص ١١٧ / ١٤٧
شريف (الباشا — ناظر النظار — ناظر
الخارجية — أبو شرف) ص ٣٩ /
٤٠ / ١٠٠ / ١٠٦ / ١٠٩ / ١١٧ / ١٤١ / ١٤٢ /
١٤٥ / ١٥٦

(ص)

صابونجي (لويس القس — صاحب النحلة
— الصابونجي) ص ٨٣ / ١٢١ / ١٢٣ /
١٢٤ / ١٥٥ / ١٥٧ / ١٥٨ / ١٧٢ / ١٧٤

(ط)

طلبة ص ١٥٠

(ع)

عباس الاول ص ٨٤
عباس الثاني (الحديو — أفندينا) ص ٧٢ /
٨٠ / ١٤٤ / ١٥١ / ١٧٤ / ١٧٥ / ١٧٨ / ١٧٩ /
١٩٨ / ٢٠٨ / ٢١٠
عبد العال ص ١٥٠
عبد العزيز (الخليفة — السلطان -
شيخ التمن) ص ٥٥ / ٩٩ / ١٠٠ / ١٠٢
١٠٤ / ١١٠ / ١٢٨ / ١٣٥ / ١٧٣ / ١٧٤

الحديوية الفخيمة — كبير الامناء

ص ٣٦ / ٣٧ / ٣٩ / ٥٨ / ٥٩

(د)

دربال (محمد أمين) ص ٢١٣
دقة (عثمان دقنه) ص ١٧٤ / ١٧٥
دوبلنير (الانور — وزير الاشغال)
ص ١٠٢

دوبنير (بول) ص ٥٦ / ٦٢ / ٦٣ / ٦٦
دون كارلوس (ملك البرتغال) ص ٢١٤
ديري ص ٧١
دي طرازي (الكونت فيليب) ص ٢١٤
ديماس (اسكندر) ص ٦٢
ديوس أغا (القواص) ص ١١٥

(ر)

راجنو (صاحب المطبعة) ص ١١٤
راغب (بابا راغب — أحد وزراء
العهد) ص ١٠ / ١٠٩ / ١١٧
روتشيلد (جيمس) ص ١٩
روشفور ص ٦٨
رياض (الباشا — أبو روضه — الوزير
المختلغ) ص ٨٤ / ٩٩ / ١٠١ /
١٠٣ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٥ / ١١٦ / ١١٧ / ١١٩ /
١٢٣ / ١٢٤ / ١٢٥ / ١٢٦ / ١٢٧ / ١٢٨ / ١٣١ /
١٣٤ / ١٣٥
رشوبان ص ٦٨

(ز)

زرم (بائعة خبز) ص ١١٥

كافور ص ٤٥
 كتشتر (اللورد كتشكار) ص ١٨١
 ١٩٨/١٨٣
 كرومر (اللورد كرنب) ص ٨٠
 ٢٠٦/١٨٧/١٨٦/١٨٢/١٨١
 كفنولر (الكوننس) ص ٢١٤
 كاوفيس هيج ص ٦٨
 كليمنسو ص ٦٨

ل

لافوتين ص ٧٠
 لامارتين ص ٦٢
 لويه (إميل) ص ٢١٤/٢١٣
 لولى صنوع (ابنة يعقوب — صنوا بيلمور)
 ص ٦٦/٦٣/٥٠/٣٦/٢٢/١٧/٨/٧/٦
 لويد (كليفورد — وكيل الداخلية —
 البلاص كليفورد) ص ١٦٠/٨٤

م

مارتان ص ٧٢
 ماير (ألبير) ص ٦١
 ماليت ص ١٤٨
 محمد أنسى ص ٤٢
 محمد عبد الفتاح ص ٣٢
 محمد عبده (الشيخ — الأستاذ الإمام —
 المفتي — محور الدعوة الوثقى) ص
 ١٦٦/٨٢/٨١/٤١

عبد الحميد (السلطان — الخليفة) ص
 ٢١٥/٢١٤/٢١٠/٢٠٩/١٩٨/١٨٦/١٨٥
 عراقى (احمد باشا — سيد العرب)
 ص ١٥٨/١٥٧/١٥٠/١٤٧/١٣٨/١٣٦
 عزمى ص ١١٧
 على مبارك ص ٩٦
 عمانويل (فيكتور ملك إيطاليا) ص ٢١٤
 عمر لطفى ص ١١٧

(غ)

غاريدالدى ص ٤٥
 غورست (السير) ص ١٨٧

ف

فريسيليه ص ٦٨/٦١
 فنلون ص ٧١/٧٠
 فيكتوريا (فيكتوريه ملكة الإنجليز)
 ص ١٨٤/١٨٣

ق

قطاوى ص ١٩٣

ك

كارتر (الخاتون) ص ١٥٥
 كاستيلي ص ٥٤

١١٦/١١٥

(هـ)

هكس (الجنرال — إخص — عكس —
هلس (ص ٨٤
هيجو ص ٦٨

(و)

واسن (ريفرز — فلسن — ناظر المالية)
ص ١٢٨ / ١٠٣ / ٩٦ / ٨٩ / ٨٨

محمد على (ولي النعم) ص ٧٦ / ٢١ / ٦١

مصطفى فهمي (الواد الامر د) ص ١٢٥

١٢٧

مصطفى كامل ص ١٨١ / ١٨٠ / ١٧٩ / ١٦٥

٢١٠ / ١٨٦

(ن)

ناكيه ص ٦٨

نوبار (غوبار — الوزير المصري) ص

/ ١٠٢ / ٩٦ / ٩٥ / ٩٣ / ٨٩ / ٨٨ / ٨٤

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوي . . .	٥	الإهداء
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطني المصري . . .	٤١	مجلة أبو نظارة في مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع في باريس
٢٠٧	العالم الإسلامي . . .	٨٥	رحلة أبي نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوي . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطني المصري . . .	٤١	مجلة أبو نظارة في مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع في باريس
٢٠٧	العالم الإسلامي . . .	٨٥	رحلة أبي نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوى . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطنى المصرى . . .	٤١	مجلة أبو نظارة فى مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع فى باريس
٢٠٧	العالم الإسلامى . . .	٨٥	رحلة أبى نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوى . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطنى المصرى . . .	٤١	مجلة أبو نظارة فى مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع فى باريس
٢٠٧	العالم الإسلامى . . .	٨٥	رحلة أبى نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوي . . .	٥	الإهداء
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطني المصري . . .	٤١	مجلة أبو نظارة في مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع في باريس
٢٠٧	العالم الإسلامي . . .	٨٥	رحلة أبي نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوي . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطني المصري . . .	٤١	مجلة أبو نظارة في مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع في باريس
٢٠٧	العالم الإسلامي . . .	٨٥	رحلة أبي نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوى . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطنى المصرى . . .	٤١	مجلة أبو نظارة فى مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع فى باريس
٢٠٧	العالم الإسلامى . . .	٨٥	رحلة أبى نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوى . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطنى المصرى . . .	٤١	مجلة أبو نظارة فى مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع فى باريس
٢٠٧	العالم الإسلامى . . .	٨٥	رحلة أبى نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوي . . .	٥	الإهداء
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطني المصري . . .	٤١	مجلة أبو نظارة في مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفي صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع في باريس
٢٠٧	العالم الإسلامي . . .	٨٥	رحلة أبي نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبوزمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوى . . .	٥	الإهداء . . .
	أبو نظارة - لسان حال الأمة	٦	تصدير . . .
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
	أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة	١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الأستاذ الأديب . . .
١٦٢	الوطنى المصرى . . .	٤١	مجلة أبو نظارة فى مصر . . .
١٦٧	أبو نظارة - مصر للمصريين	٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع فى باريس
٢٠٧	العالم الإسلامى . . .	٨٥	رحلة أبى نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	أبو زمارة . . .	٣	كتب للمؤلف
١٣٢	الحاوي . . .	٥	الإهداء
أبو نظارة - لسان حال الأمة		٦	تصدير
١٣٧	المصرية . . .	١٠	روح العصر . . .
أبو نظارة زرقا - لسان حال الأمة		١٧	مدارج الطفولة . . .
١٤٦	المصرية الحرة . . .	٢٥	الفنان المفتن . . .
١٥١	أبو نظارة زرقا . . .	٣٤	الاستاذ الاديب . . .
١٦٢	الوطني المصري . . .	٤١	مجلة أبو نظارة في مصر . . .
أبو نظارة - مصر للمصريين		٥٦	إغلاق الصحيفة ونفى صنوع
١٩٠	التودد . . .	٦٥	إلى منى الأحرار . . .
٢٠٣	المنصف . . .	٧٦	صحف ابن صنوع في باريس
٢٠٧	العالم الإسلامي . . .	٨٥	رحلة أبي نظارة زرقا . . .
٢٠٨	ختام السيرة . . .	٩٩	أبو نظارة زرقا . . .
٢١٧	مراجع البحث . . .	١١٢	النظارات المصرية . . .
٢١٨	قاموس الأعلام . . .	١٢١	أبو صفارة . . .